آثار الشيخ العَلَاوِي رحمه الله :

أبرز تلامذته ، رحلاته داخل الوطن وخارجه وَمُذَاكراته الشفَويّة

جمعه عبد ربّه محمد بن الطّاهر خلّاف
من تلامذة الشيخ سيدي علي البوديلمي المسيلي - الطريقة العلاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، نحمده حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ونستغفره ونتوب إليه وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وحين صلاة تنحلّ بها العقد وتنفرج الكرب وتقضى بها الحوائج وعلى آله وصحبه أجمعين.

نستعرض ضمن هذه الكرّاسة بعض المقتطفات عن حياة الشيخ الهمام ومربّي السالكين لطريق الله سيدنا الأستاذ أحمد بن مصطفى العلاوي رضي الله عنه تخصّ جوانب من سياحاته في بلاد الجزائر وخارجها للدعوة إلى الله ونشر الهداية بين الناس خاصّة وعامّة، ونتلوه بذكر تراجم أبرز أتباعه الذين قاموا بنشر طريقته من بعده، ثم نتوِّجها ببعض مذاكراته الشفويّة التي كان يلقيها على مريديه أثناء مناسبات عديدة حضراً وسفراً.
ومصادر هذه المقتطفات ما احتوى عليه كتاب "الشهائد والفتاوي فيما صحّ لدي العلماء من أمر الشيخ العلاوي" لكاتبه السيد صالح بن مراد التلمساني سنة ١٩٢٤م رحمه الله تعالى وأيضاً كتاب "إتحاف ذوي النهى والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه" للشيخ عبد ربِّه البوزيدي رحمه الله، استناداً على ما نقله لفظيّاً الأتباع الذين كانوا ملازمين للشيخ العلاوي أثناء إقامته وأسفاره، وأيضا ما أورده الأستاذ درويش العلاوي حفظه الله عن مصادره المختلفة والموثوقة.

نسأل الله تعالى أنّ ينفعنا بذكر الصالحين الذين عند ذكرهم تتنزّل الرحمات، وأن يوفّقنا لاتّباع آثارهم، وأن يسلك بنا مسالك الرفق والفوز إنّه سميع مجيب وبالإجابة جدير.

======<<<>>>========

ترجمة موجزة عن الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي



إمام العارفين وأهل التحقيق هُو مَنْ أحْيَا الله به طريق القوم بعد ركودٍ دام طويلاً، وكان مِنَ المُجَدِّدين وأهل الطيّ في وقته. أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشريف الشيخ سيدنا محمد بن الحبيب البوزيدي وبقي في صحبته خمسة عشر سنة. وبعد رحيل شيخه رحمه الله سنة ١٩٠٩م تصدّر للدّلالة على الله بإذن خاصّ من الحضرة النبويّة، وانتشرت طريقته في أرجاء المعمورة واشتهرت كشَمْسٍ على عَالَمٍ بفضل ما ظهر فيها من سرّ وفتحٍ مُبِين لمُرِيدِيه أذْعَن له الخاصّ والعام.

قال رضي الله عنه في بعض قصائده:

جَاءَ نَهْجِي لِلطُّرُق :: كَشَمْسٍ عَلَى عَالَم

أتباعه يُعَدّون بالآلاف مِن عَرَب وعَجَم وزواياهم التي شيّدوها تُعدّ بالمئات في القرى والمدن مِن بلدان الجزائر وتونس وليبيا والمغرب والسودان وسوريا واليمن وفلسطين وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وهولندا وغيرها من البلدان، ولا زالت بفضل الله عامرة إلى اليوم. وفي طريق عودته من الحجّ سنة ١٩٣٠ رُفْقَة وفدٍ من الفقراء، توجَّهَ إلى دمشق تلبية لدعوة أهلها فاسْتُقبِلَ بحفاوة كبيرة وأخذ عنه الكثير منهم الطّريق أمثال الشيخ محمّد الهاشِمي والشيخ الفَيْتُوري وغيرهم من علماء ومحبّين، ثم واصل رِحْلَتَه إلى فلسطين ودخل بيت المقدس ثمّ غَزَّةَ حيث أكرمَ أهلُها نُزُلَه وتبرّكوا بحضرته وأخذ عنه الطريقة جماعة كبيرة من العلماء وغيرهم، ثم قصد لبنان واجتمع بالشيخ النبْهَاني رحمه الله. وكان الشيخ لا يفتر عن السياحة في المدن والقرى والبوادي داخل الجزائر وخارجها كالمغرب وتونس والمشرق وفرنسا للدّلالة على الله وإحياءً لِقُلوبِ العباد عَبْرَ حِلَقِ الذّكر والمذاكرة. وحيث ما حَلّ انجذب

إليه جماهير من علماء ومحبّين وانتفعوا بوعظه وإرشاده ونهلوا من فيوضاته الربّانية. ونجح في إحْباطِ الكثير ممّا أنْجَزَتْهُ مُنْذ عقود حملات المستشرقين في تنصير الأهالي في بعض المناطق الجزائرية. وأصدر مجلّةَ البلاغ الأسبوعية التي كان الشيخ يقوم من خلالها بتوعية الجماهير، والدعوة إلى لمّ الشمل ونبذ الفُرْقَة والتّعاوُنِ من أجل إصلاح المجتمع مركّزاً على تعليم الشباب على منهاج الشريعة، وكان من أهدافه إعداد جيلٍ يمكنه القيام بنهضة متعدِّدة الجوانب دينيّاً وفكْرياً ونضاليّاً لِمُواجهة مشاكل الجهل والتخلّف والإحتلال الفرنسي. وما أصدر مقالاً إلّا وأكّد فيه أنّ المَسْلَكَ الوحيد لاسترجاع مجد الأمّة وعزّتها هو عَودتها إلى دينها الحنيف. وحارب التيار الإلحادي الذي تأثّر بالفكر الغربي وحَذَّرَ منه. وكان على اتصال دائم بالشيوخ وأهل الفكر والإصلاح داخل الوطن وخارجه بشأنِ القضايا الكُبرى للأمّة حيث كانت جُلّ البلدان المسلمة في تلك الفترة تعاني من ويلات الإحتلال الأجنبي. ومِمَّنْ قصدوا الشيخَ للأخْذِ عنه الزعيم ابن عبد الكريم الخطّابي - الذي كان حينها يقودُ الثورة ضدّ الغزاة الإسبان في المغرب - وتجَرّدَ للذّكر لِأيام، ثمّ سُرّحَ لمواصلة الجهاد. وكان الشيخ رافعاً لرايةِ الدّفاع عن طريق القوم بالحُجَج البالغة عَبْر كتاباته ضدّ المُتَفَيْقِهين مِنْ أهْلِ عَصرِه، وحارب دعاة العلمانية والمرَوِّجِين لعمليّة التجْنيس والإنْدِماج مع المحتلّ الصّلِيبي باسم الإصْلاح كما زعموا. وخلّف رحمه الله العديدَ من الشيوخ والعارفين الكُمَّل. وقد أدركنا ولله الحمد جماعةً مِنْ خواصّ فقراءه في سبعينيات القرن الماضي وكانوا يحدّثوننا عن سيرة الأستاذ وكرم أخلاقه ومجالس تذكيره وأيضا عن كراماته الكثيرة التي تحتاج إلى مَن يجمعها في تأليف. أمّا طريقته في التسليك فكانت بتجْريدِ المريد لأِيّامٍ في خلْوَةٍ منفردة لذِكْرِ الإسم الأعْظَم بكيفية خاصّة. وكانت دعوته لِلأُورُبِيّين بالحوار، وقد أسْلَمَ على يده نخبة كبيرة منهم مفكّرون ومثقّفون وأخذوا عنه، وسلكوا الطريق على يده وبلغوا الغاية فيها. وألف نَحو العشرين كتاباً وله قصائد ربّانية مُشوِّقة وجَذّابة تأخذ بالقلب والروح جُمعت في ديوانه. انتقل إلى جوار ربِّه سنة ١٩٣٤م، وضريحه بالزاوية الكبرى في مُستغانم، رحمهُ الله وجزاه خيراً على ما قام به من الدفاع عن طريق القوم.

- 1 -

ذكر بعض الشيوخ الذين تخرّجوا على يد الأستاذ العلاوي رضي الله عنه

=========☆☆☆☆☆☆☆=========

الشيخ محمد بن خليفة المداني المديوني

الشاهد الواحد من القسم الثالث في سرد جملة من شهادات أعيان الطريقة العلاوية وفقهائها. (3-01)



الشيخ محمد المدني بن خليفة بن حسين بن الحاج عمر خلف الله, ولد بقصيبة المديوني ولاية المنستير عام ١٣٠٧ هجري الموافق لسنة ١٨٨٨ م. إزدان شبابه بتعليم القرآن الكريم وبعد الحفظ وتصحيح الرواية, انخرط في سلك طلبة جامع الزيتونة المعمور وتتلمّذ على مشائخ عظام وأئمة كرام منهم العلامة شيخ الإسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف وشيخ الإسلام المالكي سيدي بالحسن النجار والعلامة سيدي محمد طاهر بن عاشور.

وبعد الإنتهاء من التعليم بجامعة الزيتونة, اتصل بالصوفي الأكرم المشهور بتلقين الإسم الأعظم الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي حيث يقول الشيخ المدني: "أما إجتماعنا بالأستاذ رضي الله عنه وأرضاه فقد كان في أول زيارة تشرفت به حاضرة تونس في سنة 1328 هجرة من بعث على أكمل وصف, و كنت أظن أن الأستاذ كغيره من مشائخ زماننا المدعين ولكن ما لبثت بعد استماع تذكيره ولطيف تعبيره وصولة كلامه وسطوة معانيه وأفهامه أن قلت كما قال ابن عبد السلام مع الشاذلي: "هذا الكلام قريب العهد من رب العالمين", فعند ذلك تشرفت بالتسليم عليه والمثول بين يديه, فلقنني ورد طريقته العام بطريق المصافحة, ثم لقنني الإسم المفرد وأذن لي في ذكره بكيفية خاصة بعد أن أدخلني الخلوة, ولكن ما لبثت في الذكر زمنا يسيرا حتى فتح الله على عين قلبي فحصلت على الفتح المبين ببركة الاستاذ رضي الله

عنه والمنة لله, و قد بقيت في خدمته بعد الذكر نحو الثلاث سنين متفرقة منها سنة متصلة استكتبني في تلك المدة لتئاليفه ورسائله, فكنت أستفيد منه في كل وقت وحين من أسرار التوحيد ودقائق تفسيره في القرآن العظيم ورقائق شرحه للحديث الشريف, وما سمعت منه مدة إقامتي عنده كلمة إلا فيما يعود بالنفع ظاهرا وباطنا, ثم **أجازني رضي الله عنه في تلقين الورد العام والإسم المفرد الخاص** لمن فيه أهلية للمزيد و تلقي أسرار التوحيد ففتح الله على كثير من الفقراء ببركة إذنه المبارك والله يزيدنا من فضله فإن الفضل بيده يؤتيه من يشاء من عباده وهو على كل شيء قدير".

رؤية العارف بالله والدّال عليه الشيخ محمد المدني القصيبي رحمه الله: "لما تعلّقت بالطريقة العلاوية رأيت سيدي الشيخ الصادق النيفر القاضي بحاضرة تونس يقول لي هل تعرف سيدي الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي ؟ فقلت له نعم، هو الشيخ الذي أخذ عليه أستاذي سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة رضي الله عنهم أجمعين، وأخذت في مدحه، وبينما أنا كذلك إذ تمثّلت طيرا، وأخذني الشيخ النيفر، فرماني من وراء الحائط، وقال لي اغمض عينيك، فسيلقاك سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة رضي الله عنه، ورماني أيضا، وعندما فتحت عيني وجدت نفسي بين يدي سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة رضي الله عنه واقفا عند باب دارنا".

فامتثل الشيخ محمد المدني للإذن المطاع ونشر الطريق في عدة بقاع وقضى 49 سنة في التذكير إلى أن أتاه اليقين بأحد مستشفيات سوسة و ذلك صبيحة يوم الخميس 8 ذو القعدة 1378 هـ / 14 ماي 1959 م رحمه الله

ملحق :

كان والده من أتباع الصادق الصحراوي، حفظ القرآن في سن الثانية عشر من عمره، ثم تابع دروسه مدة عامين في المدرسة القرآنية بالمنستير، وفي مدة انتسابه لجامع الزيتونة التقى بالشيخ ابن عليوة عند مروره بتونس وقد أذن له بالإرشاد في ديسمبر1911. تجرد محمد المدني بزاوية مستغانم كاتبا للشيخ مدة سنتين متتاليتين ثم أجازه الشيخ أحمد العلوي في تلقين الورد العام والاسم الخاص المفرد، وتلقين أسرار التوحيد، كما أذن له في نشر الطريقة

بالقطر التونسي. وكان حينها حديث السن فكبر عليه أن يقوم بدعوة النسبة، فقال لأستاذه مازلت صغيرا على هذا الشأن. فرد عليه الأستاذ: (يا سيدي محمد المدني الذي قلنا له هو صغير فهو صغير و إن كان كبيرا, و الذي قلنا له هو كبير فهو كبير و إن كان صغيرا...) ولما وصل إلى بلده وجد نفسه من بين قومه كبيرا، وأصبحت له عدة زوايا انتسبت له فيما بعد.

الإجازة العلوية الشاذلية

يقول الفقير إلى ربه عبده أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي:

"حمدا لربنا على ما أولانا من الكرم جل ثناؤه, يتزايد بتواصل النعم العبد من مولاه, وأشكره على الباقيات الصالحات, في هاته الملة ملة إبراهيم حنيفا التي استلزمت بقاء هاته الطائفة التي سقاها ربها من لذيذ لطائفه طائفة المحققين المخبر عنها في حديث سيد المرسلين "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" فيا سعادة من تمسك بأذيالهم ويا فوز من اعتمد عليهم, فشرب من مناهلهم بشرط الإتصال بهم, فحذف الواسطة اختلال والسير بدون دليل مظنة الضلال, فإذا كانت الواسطة مطلوبة فالإجازة إذن مشروعة ومرغوبة وهي على قسمين: قلبية ولفظية.

فالقلبية هي التي خوطب بها صلى الله عليه و سلم في قوله "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء" واللفظية هي المشار لها بقوله "يا يحيى خذ الكتاب بقوة" ولا بد و أن تتقدم عليها الإجازة القلبية, وقد أخبر عن تقدمها في قوله "وءاتيناه الحُكْمَ صبيا" فهذه إجازة العارفين الذين لهم لسان صدق في الآخرين, هذا أيها الفقير الفاني, المنتسب الرباني محمد بن خليفة بن الحاج عمر المشهور بالمدني, وقد عاشرتنا أياما فأزال الله عنك حجبا وأوهاما, واستفدت منا بقدر ما لك من الرغبة فينا وعليه فيجب عليك أن تفيد إخوانك من العبيد, لأنه مهما استفاد الإنسان إلا و يجب عليه أن يفيد إذ لا حل للإنسان أن يكتب ما أعطيه من العلم السديد, فهذه رتبة الإرشاد تطلبك بكل الإجتهاد, فارشد من استرشدك وصل من قطعك, فإنا أجزناك في الطريقة الشاذلية الإجازة اللفظية تعضيدا لما تقدم لك من الإجازة

القلبية. وعليك بمحبة ربك, فالله ينزل عبده حيث أنزله العبد من نفسه, فأرجو الله لك دوام الوداد, وأعلم أن المدد يكون بقدر الإستعداد ولا يخفاك ما عرفته من سيرتنا فاتبع أحسنه ولا تقتدي بتقصيرنا في الإرشاد, فقد كان أستاذنا سيدي محمد البوزيدي يسهر الليالي العديدة لنفع العباد, واتّبع سيرة أسلافنا ومن أخذنا عنه طريقتنا فإنك متصل بهم ما دمت على سيرتهم، فحافظ بارك الله فيك على ودهم وعهدهم فالله يحفظك وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين، وفي الختام أسال الله العظيم بجاه نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم أن يحفظنا فيما منحنا ويوفقنا لما أمرنا.
اللهم بحق نبيك الأكرم ورسولك الأعظم خير من تأخر وتقدم، أسألك أن تهيأ له الصراط المستقيم، فإننا أوقفناه ببابك يحببك للخلق ويحبب الخلق إليك، فافسح اللهم له معرفتك وأحففه بجنود نصرتك وأدخله في حيز منعتك وأحفظ من تعلق به بفضل الدخول لحضرتك وكن يا مولانا سمعه وبصره ويده ورجله و أفنه يا ربنا عن وجوده في وجودك حتى لا يبقى له وبه إلا ما هو لك وبك, آمين بحرمة سيد المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
كتب عن إذن الأستاذ رضي الله عنه بلفظه فإنك ترى أسفله إثر ختمه نفعنا الله وجميع المسلمين آمين, وكتب في الحادي عشر من ذي الحجة عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. أحمد بن عليوة"

صلاة "شجرة الأكوان" للشيخ سيدي محمد بن خليفة المدني :

☆ اللهم صلّ وسلّم على أصل شجرة الأكوان المتفرّع من نوره ما يكون وما كان، بحر نورك المنزّه عن التّحديد المبرّأ عن ربقة الإطلاق والتقييد، عين كلّ الأعيان، المتدفّق من أصل النقطة الأزلية، المتجلّي بما هو ظاهر لسائر البرية، الذي برزت للعيان حقائقه المحمّدية، الفرع الزّاهر الزّاهي بل الأصل الباهر الإلاهي، فيض الأماكن والأزمان، وينبوع المعاني والعرفان، فهو جنان والأنام أثماره، أو روض وبروق الخلق أنواره، بل هو سماء الوجود أضاءت في ليل الأكوان بدوره وأقماره. صلّى الله عليه وسلم ما انتشر على لوح الوجود سرّ الألوان وانفلق من عالم الجبروت لطائف الملكوت وكثائف

الأعيان، نسألك ببطون ذاتك عن الشهود وظهور آياتك للوجود أن تجعل في الصلاة قرّة عيني كي يتحقّق جمعي ويزول بيني، وتثبت في شهود العين بدلا عن غيني، ونسألك بوحدانيتك أن تصلّي على التّنزّل الأول والظهور الثاني، قبضة نورك الأزلي وسرّ سائر الأوان.

اللهم صلّ وسلّم على مرآة الحقائق مصباح نورك الممتدّ ضياؤه إلى أجزاء الخلائق، من تجلّيت عليه بلا فاصل ولا فارق حتى قلت: "إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله" فاسبل اللهم عليّ حلّة سناه وحلية بهاه كي يسقى "عدمي بماء وجوده وتنتعش روحي بعذب موروده فينطوي في حضوري غيبي فأقول كقوله: "لي وقت لا يسعني فيه إلاّ ربّي.

وصلّ وسلّم عليه عدد فيضك الرحماني المتدفّق من عالم الجبروت على هذا العالم الفاني، فقلت: "الرحمان على العرش استوى" فاختفى عدم الخلق في وجودك وانطوى، فقلنا: لا موجود غيرك وما في الشهود إلاّ برّك وخيرك، فأحجب اللهم بصائرنا عن العدم وكحّل أبصارنا بنور القدم وأوقد لنا نور التّوحيد من شجرة "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" حتى لا نرضى بصحبة غيرك ولا نراه.

الصلاة والسلام عليك يا نور الوجود وعين الوجود ومفتاح الشهود، أيها المظهر الأتمّ والنور الأكمل الأعمّ، يا من أسري بك إلى سدرة المنتهى حتى كنت قاب قوسين أو أدنى، فانطوى ليل البشرية في نهار تلك الذّات العلية، فأوحى إليك ما أوحى وانبعثت إلينا أشعّة ذلك النّهار وأشرقت على عدمنا الشموس منك والأقمار، فوجودنا وجودك وشهودنا شهودك، ونحمد الله حمدا يليق بجماله ونشكره شكرا يناسب إنعامه وإفضاله، ونصلّي ونسلّم على الخلفاء في الشريعة والأحكام المطهّرة المنيعة، وعلى جميع الآل والأصحاب الأولى غرفوا من بحر حقائقه الواسعة الرفيعة وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى أزواجه أمّهات المؤمنين وذرّيته وأتباعه إلى يوم الدين والحمد لله ربّ العالمين ☆

=====<<<>>>======

نبذة عن حياة الشيخ سيدي علي البوديلمي المسيلي



هـــو العالم العلّامة، العارف بالله، قدوة السّالكين ورَافع لواء أهل الطّريق. وُلد سنة ١٩٠٥م بالمسيلة وترَعْرَع في وسط أسرة عريقة معروفة بالعلم والصلاح. حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم في الزاوية الرحمانية التي كان يشرف عليها والده الشيخ سيدي بن عبد الله. ثم الْتَحَق بزاوية الهامل لطلب العلم، ثم في سنة ١٩٢٢ توجّه إلى قسنطينة ودرس علوم الشريعة واللّغة والتفسير وغيرها على جماعة من العلماء منهم الشيخ العلّامة عبد الحميد بن باديس وشيوخ آخرين رحمهم الله جميعاً. وفي سنة ١٩٢٧ سافر إلى تونس قاصداً جامع الزيتونة المبارك الذي كان وقتها قِبْلةً لطلبةِ العلم، لمزاولة الدروس عن أساتذتها الفطاحل حتّى تخرج منها سنة ١٩٢٩. أخذ الطريق عن الشيخ العلاوي سنة ١٩٣١ بعد قصّة يطول ذِكْرُها. وبقي متجرّدا في الزاوية للذِّكْر بالإسْمِ الأعْظَم تَحْت نظر الأستاذ لمدّة حتى فاضت عليه الواردات النورانيّة وغمرته الأحوال الربّانية. ولمّا سَكن حالُه تدريجيا، ورجع من استغراقه في جذبته إلى عالم الصّحْوِ والتمييز، كَلّفه الأستاذ بالسفر إلى مدينة غيليزان لإلقاء الدُّروس على الفقراء في الزاوية. وبعد سنة ونصف عاد إلى مستغانم بأمر من الشيخ للقيام بكتابة المقالات في مجلّةِ البلاغ التي كانت تصدر أسبوعياً من الزاوية العلاوية بمستغانم.

وبعد رحيل الشيخ العلاوي رحمه الله سنة ١٩٣٤، طلب منه بعض الأحِبّة الذهاب معهم إلى قرية الجعافرة بناحية برج بوعراريج لتدريس عُلُوم الشريعة واللغة للفقراء هناك، فمكث بينهم سنتين وقد تخرّج على يده الكثير من طلبة العلم. ثم انتقل إلى تِلمْسان سنة ١٩٣٧ بطلب من أهلها، فقام بتدريس اللغة

وعلوم الشريعة والحديث، وتصدّر للوعظ والإفتاء، وعكف على تفسيرِ القرآن الكريم في حلقات طويلة ومتواصلة دامت عشرين سنة في المسجد الكبير حتى أتمّه، وأُقِيمَ إثر ذلك احتفال بهيج حضره جمهور كبير من العلماء وعامّة المؤمنين. وكان رحمه الله كالغيث للنّبات، فحيث ما حلّ أحيا الله به القلوب وأجرى على يده النفعَ والخيرَ الكثير حِسّاً ومعنىً للعباد والبلاد. وهذه إحدى الكرامات التي ميّز الله بها أولياءَهُ. قال الشيخ أبو مدين رحمه الله في ذلك:

تَحْيَا بِكُمْ كُلُّ أَرْضٍ تَنْزِلُونَ بِهَا :: كَأَنَّكُمْ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ أَمْطَارُ

ودافع عن الشريعة المطهّرة والتصوّف بقوّة الأدلّة ضدّ المُنكرين ودُعاة التجنيس باسم الإصلاح والتقدّم كما زعموا، ونصره الله عليهم وانطفأت نار فِتْنَتهم. وتصدّر للدّلالة على الله سنة ١٩٣٨ وانتشرت طريقته في تِلِمْسَان بين طلبته أوَّلاً ثم في القرى المُجاوِرَة ثم في المدن والقرى الكثيرة في القطر الجزائري وفي المغرب والمشرق وبَلْجِيكَا، وقد قام بجولات في تلك البلدان وزار بيْتَ المقدس والشام حيث اجتمع بنخبة كبيرة مِنْ علمائها وشيوخها العارفين أمثال الشيخ محمد الهاشمي الجزائري والشيخ عبد الرحمٰن الشاغوري والشيخ الشّريف إبْرَاهِيم اليَعْقوبي وغيرهم رحمهم الله، وأُخْبِرْنَا أنَّ بعضَهم جَدّدَ عليه العَهْدَ. وكانت له اليَدُ الطُّولَى في تلقين الإسم الأعظم للمريدين مع إلزامهم الْخلْوَةَ لأيّام، وقد ظهرت على أتباعه أحوالٌ نورانيّة ومعارف إلٰهيّة. وكراماته مشهودة ومعروفة بين الفقراء وتحتاج إلى تدوين في تأليف خاصّ. كانت له صِلَاتٌ كثيرة بالشيوخ وخاصّة بالشيخ القدوة سيدنا محمد بن الحبيب المغربي. فكانت بينهما زيارات متبادلة، وما قام سيدنا الشيخ بن الحبيب بسياحة في الجزائر إلّا ونزل مع جماعته عند الأستاذ سيدي عَلِي في زاويته بتلمسان. وذات يوم وأنا أساعده رحمه الله في ترتيب جملة من الوثائق والرسائل، منها ما يعود إلى زمان أجداده أثناء حُكْم الأتراك، أطْلَعَنِي على إجازةٍ كتبها له الشيخ سيدنا محمد بن الحبيب بخطِّ يده وخَتْمِه فيها إذنٌ منه لسيّدي عَلِي البوديلمي بالمشيخة في الشريعة والطريقة والحقيقة. أخذت عنه الطريق بحمد الله في صيف سنة ١٩٧٣م. انتقل إلى جوار ربّه سنة ١٩٨٨م وضريحه بالمقبرة السنوسية في تِلمسان رحمه الله ورضي عنه.

محمادي بالحاج الطّاهر - الشهائد والفتاوي (5-03)



جلالة الصوفي المعتبر فضيلة الشيخ السيد محمد بن الحاج الطاهر ذي الأتباع المنتشرين بنواحي القلعية حكم مليلية التي بها مقره الآن. كنت قد اجتمعت بالكثيرين من أتباعه فرأيت عليهم شيم الذاكرين وشعار المحبين, ومن ذلك تصبرهم على ما لحقهم من العذاب الهون من حكومة الإسبان وما عاملتهم به من المضايقات والسجون على أن يتركوا نسبتهم ويغيروا شعارهم, فما فعلوا ولن يفعلوا إن شاء الله إلى أن طال بها ما حاولته, فأطلقت شبيل الكثير منهم الآن. أما فضيلة الشيخ سيدي محمد بن الحاج الطاهر المذكور فهو إلى الآن رهين السجن راضياً من الله بقسمته بعد ما مرت عليه نحو السنتين. وما كان طلب حكومة الإسبان منه إلا أن يترك ما كان قائما به من إرشاد الناس وبث النسبة, وما ينبغي له أن يترك وقد كان سبق الحديث عنه وعن جماعته في بعض التقارير.

أما علاقته مع الأستاذ فقد كان يعتبر نفسه مملوكا لديه. وكان قد أقام بزاويته عدة سنوات, فاشتغل في أول الأمر برعاية بعض دواب الزاوية ثم اشتغل أخيرا بإقامة الآذان وبعض الشؤون الأخرى إلى أن سرحه الأستاذ إلى بلاده بعد التحصيل على غايته من الطريق, و**أمره بإرشاد الخلق وأجازه في ذلك.**

ولما وصل إلى بلاده تعذر الأمر عليه بحيث لم يجد من يجتمع به, فرجع إلى الأستاذ فوجهه ثانية, ثم رجع على غير طائل فوجهه الأستاذ لثالث مرة, فعنج ذلك أقبل عليه الناس إقبالا, فشاع ذكره وانتشر خبره وانتفع الجم الغفير بصحبته وشهد له أهل الفضل بما ظهر على يده, وقد تقدم ما اعترف به حضرة قاضي القضاة بتلك النواحي في هذا الباب (وقد شهد له قاضي قضاة

منطقة مليلية الحاج حمو بن أحمد القادري: بأنه قد بذل وسعه في نصح العباد, وأن الفقراء يجتمعون ليلة كل جمعة ويعمرون وقتهم بذكر الله وإلى الآن (سنة 1925) لم يزل أتباعه وأهل قبيلته تتوارد على الزاوية بمستغانم مع ما هم عليه من التشديدات, خفَّفَ الله ما نزل بهم وحفظهم في إيمانهم". (الشهائد والفتاوي صفحة (190-192).

جاء في الروضة السنية للشيخ عدة بن تونس رضي الله عنه ما يلي:

"ومنها زاوية المنتسب الذاكر, الشيح سيدي محمد بن الحاج الطاهر بقبيلة بني شيكر بقلعية السعيدي أصلاً, الشيكري منشأً, وهو أحد حملة كتاب الله, وقبل قيامه بشؤون النسبة, كان منقطعا في خدمة شيخه سنوات عديدة بمدينة السوقر من عمالة وهران، وبعضها بزاويته الكبرى بمستغانم (حيث اشتغل بإقامة الأذان). ولم يكن في جميع ذلك إلا العامل المخلص الذي أخلص وجهته لله تعالى. وبعد قضاء تلك المدة ذهب مأذونا إلى بلاده, فانتشر ذكره وقبلت دعوته, وبعد مدة أبتلاه الله بفتنة السجن, فمكث فيه زمنا غير يسير, ثم انفرجت عنه كربته وأطلق الله سراحه وأصبح بريئا مما ألصق به من التهم, فاشتغل بما يهمه من جهة القيام بواجبه, ولم يزل على حاله إلى اليوم, والله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور)". (الروضة السنية صفحة 119-120).

وجاء في نفس الكتاب ما يلي:

"ومن ذلك ما أخبر به العارف بالله الشيخ البركة سيدي محمد بن الحاج الطاهر القلعي قال: "كنت أرعى بعض دواب الشيخ سيدي أحمد بن عليوة رضي الله عنه لما كنت متجردا بزاويته, وكانت من بينها فرس, فنمت ذات ليلة فرأيت نفسي منقسما على نصفين, فأخذت أبحث عن السبب الذي يجمعني في ذاتي, فقيل لي: "إذا أردت أن تحصل على اجتماع شقيك والتئام ذاتك فتمسح على فرس الشيخ", ففعلت كما قيل لي, فكان الأمر كذلك, ولما أفقت صرت أحب تلك الفرس على خلاف ما كنت أعاملها به من قبل". (الروضة السنية صفحة 181-182).

ترجمته من كتاب "إتحاف ذوي النهي والبصائر في تراجم الشيخ العلاوي شيوخه وبعض خلفائه الأكابر" للشيخ عبد ربه البوزيدي رضي الله عنه:

الشيخ الصالح والولي المفلح القطب الرباني المجاهد في سبيل الله, وفي رفع لواء الطريقة العلاوية صاحب الأسرار وعناية الله والسكينة والوقار, الشيخ سيدي محمادي بلحاج الطاهر. كان والده رحمه الله فاضلاً من عباد الله الصالحين, وهو من قبيلة بني سعيد, وانتقل إلى قبيلة بني شيكر, وكان استقراره في قرية بني علي بالقلعية, فانخرط في الطريقة القادرية هناك, وكان معظماً ومحترماً عند الشرفاء القادريين بزاوية ورش (بني شيكر). وكان يجتمع الفقراء عليه في داره ويتكرم عليهم ويقوم بضيافتهم. وبما أنه من حملة القرآن الكريم ومن أهل الاستقامة, رشحه الفقراء القادريون مقدماً عليهم, ثم زوَّجوه كريمة منهم, فأنجبت له أولاداً إناثا وذكوراً, كان من جملتهم سيدي محمادي, فنشأً تحت أحضان والديه.

ولقا تم له من العمر سبع سنين أدخله والده الكتاب لتعليم الكتابة والقراءة فجد واجتهد حتى استظهر القرآن الكريم عن ظهر قلبه وهو لا يزال صغيرا. ثم توفي والده فبقي يتيماً كباقي إخوانه وأخواته. ثم خطر بباله يوما أن يذهب إلى البلاد المقدسة لتأدية فريضة حج بيت الله الحرام عن طريق البر, فخرج بهذا القصد إلى أن بلغ به المطاف للجزائر, فنفد ما كان عنده من الزاد وجعل يتنقل من مسجد إلى مسجد, وأجَّر نفسه في بعض المساجد على تعليم الأطفال والإمامة.

يوماً ما، نزل عنده ضيف من الفقراء العلاويين قادماً من زاوية مستغانم ,فأكرمه وسهر معه تلك الليلة وهو يحدثه عن الطريقة العلاوية, وأخبره عن ظهور الشيخ العلاوي وما يقوم به من التربية وتلقين الاسم الأعظم, فاشتاق للالتحاق به.

وعند صباح الغد صحب ذلك الفقير وذهبا معاً لمستغانم, فلما وقفا في باب الزاوية ذكر الفقير صيغة الجلالة "لا إله إلا الله" بأعلى صوته فسمعه الشيخ العلاوي فخرج لملاقاتها, فتقدم الشيخ سيدي محمادي للسلام عليه, فقبَّل يد

الشيخ ونظر إليه وكان وقت الصلاة, فأمره الشيخ بالآذان, فأذن وكان جوهري الصوت عذب اللهجة.

بعد ذلك لقنَّه الشيخ العلاوي الورد العام ثم أمره فيما بعد بالخلوة على الطريقة المعروفة عند القوم، وفي أقرب وقت، لاحت له الأنوار ونال الفتح الأكبر وظهرت عليه ملامح الفتح, فأخرجه الشيخ من الخلوة وأمره بالخدمة في الزاوية والتجريد والقيام بمصالح الشيخ, فكان تارة يرعى البقرة حيث يأخذها للبادية, وتارة يشتغل بتعليم الصبيان وقراءة القرآن.

في إحدى الأيام بعثه الشيخ العلاوي لقبائل زواوة مع أحد مقدمي الطريقة من بلاد زواوة, وكانت الطريقة العلاوية قد انتشرت بينهم فيما قبل. وسبب بعثه لهناك هو جمع الفتوحات والهدايا والمعاونة لبناء الزاوية الكبرى بمستغانم. ولما نزلوا عليهم, أكرموهم حيث استقبلوهم بالإكرام والضيافة والحفاوة, فجمعوا لهم هدايا كثيرة وبعثوا بها إلى الشيخ.

وكانوا في كل ليل ونهار يجتمعون مع الفقراء وكانت تكتظ بهم الزاوية لذكر الله وعمارة الوقت, والناس يعتنقون الطريقة أفواجاً. ولكن وُشِيَ بهم للحكومة (الاستعمارية) فسجنوا مع جماعة من الفقراء مدة ثلاثة أشهر, ولما فرَّج الله عنهم رجعوا للزاوية بمستغانم.

واستمر الشيخ سيدي محمادي على عمله للتجريد والخدمة, حتى أمره الشيخ العلاوي بالرجوع إلى بلده وأذن له بالتلقين (والتربية والإرشاد) ونشر الطريقة.

لما قدم لبلاد الريف, نزل أول مرة بقبيلة فرخانة في قرية ببني جوهرة حيث كانت أخته متزوجة بها عند سيدي الحاج حمُّو جوهرة, فتوظف بمسجد كإمام, وكان يلقن الطريقة, ثم انتقل إلى مسجد مولاي إدريس دار المخزن فجعل يدعو الناس إلى الطريقة والدخول في أهل سلك الله, فجعل الناس يأتون أفواجا ذكوراً وإناثا.

وكان من تلامذته سيدي علال زريوح, فزوجه بابنة أخيه ونقله إلى قرية عطيطن (إعطارن) حيث كانت سكناهم هناك, فسكن رضي الله عنه معهم.

فكان اجتماع الفقراء لذكر الله عز وجل أولا بداره ثم بعد مدة انتقل إلى دار أبيه بقبيلة بني شيكر حيث جاء بطريقة جديدة علاوية.
كان يلقن ببني شيكر الأوراد والناس يأتون إليه أفواجا من كل القرى, ثم قامت قيامة الحسدة من أهل الطريقة القادرية وكانت لهم يد مع الحكومة الإسبانية فأذوه وطردوه خوفا على أتباعهم أن يميلوا إلى الطريقة الجديدة التي جاءت بنور ساطع قوي, فلما فرَّ لمستغانم تشاور مع شيخه في الموضوع فأمره بالرجوع والصبر والثبات. فرجع رحمه الله إلى داره وأجَّر نفسه في بعض المساجد لتعليم الصبيان قراءة القرآن واستمر على نشر الطريقة. فعاد الحسدة لأذاتيه, فرفعوا أمره إلى الحكام الإسبانيين وألصقوا به تهمة, فألقي عليه القبض وزج به في السجن, أولا بتزطوطين حيث جعلوه في مطمورة في تخوم الأرض, ولكن كان ذلك كخلوة له, فكان ذكر الله دأبه وهجيره ليل نهار كما حكى عنه بعض الجنود من كان مكلفاً به, ثم نقلوه بعد ذلك إلى مدينة زايو, وفي النهاية أخذوه لمدينة مليلية حيث دام سجنه بها سبع سنين.
كان رحمه الله ثابتاً في طريقة شيخه راسخاً في محبته وممتثلاً لأوامره لا يتحرك إلا بإذنه ولو في السجن, وبهذا نال رضاه ورضا الله ورسوله, ونال تلك الحكمة التي أخذها بالصبر والامتحان كما يقال "عند الامتحان يعز المرء أو يهان". وقد جاهد في سبيل الله, وبذلك ابتاع نفسه لله. لم يوجد مريد في هذه الطريقة العلاوية تحمل هذا التكليف مثل هذا الرجل العظيم ,فقد امتحنه مولاه وقواه وأمده بالثبات, باع نفسه وبذل مدة طويلة من عمره وفارق أهله وترك أولاده صبياناً صغاراً في محبة الله ونصرة لطريقة شيخه وغرسها في بلاد الريف رغم كل حاسد.
وكان الإسبان في الآخر يراودونه على ترك الطريقة العلاوية واعتناق طريقة أخرى ويعدونه بالإفراج عنه إذا تركها فيرفض ذلك, ولما علم حكام إسبانيا إخلاصه وإصراره على طريقته وإقباله على الله أعطوا له حرية في السجن وسمحوا لزواره بزيارته في أي وقت شاءوا, وكان السجن مفتوحاً للفقراء الزوار لا يمنعهم مانع, حيث كان الفقراء يأتون من كل القبائل

يقصدون زيارته والتبرك به ويلتمسون منه الدعاء الصالح, وكان يلقن اسم الله الأعظم لبعض الفقراء داخل السجن ففتح الله عليهم.

وكان أول ما دخل سجن مليلية وجد به أناسا جاهلين بالله غافلين عنه فدعاهم إلى الله وعلمهم مبادئ دينهم ولقنهم الورد وأجابوه, وأصبح السجن كزاوية له يدوي بذكر الله تعالى وتظاهر بشعائر الدين والإسلام كالأذان وإقامة الصلوات الخمس جماعة والاجتماع على الوظائف والأوراد وإقامة حضرة الذكر.

وكان هذا الشيخ العظيم هو السبب لنشر الطريقة في بلد الريف قبل كل أحد, فلو جاء بها أحد قبله لكان هو المسجون ولكن هو الذي أظهر بها لأول مرة وشهرها ورفع رايتها في جميع قبائل الريف وقبائل القلعية, فكان وهو في السجن يلقن الأوراد ويدعوا إلى الله ويعين المقدمين ويأمر بتأسيس الزوايا. وأول زاوية تأسست بإذنه هي زاوية الشيخ سيد بلقاسم السعيدي من أنجال القطب سيدي محمد بن قدور الوكيلي, أسسها وهو في السجن.

وكان رحمه الله يأمر المقدمين بإرشاد الناس خفية حتى لا تشعر بهم حكومة إسبانيا, وكم من أتباعه بسب دخولهم في طريقته ذاقوا في السجن كل أنواع العذاب ليتركوا نسبتهم وما تركوها وما زادهم ذلك إلا إيماناً وتمكيناً, ولهذا كان توجه الشيخ العلاوي بنظرته الصافية وبدعائه الخالص لهذا الشيخ سيدي محمادي وأتباعه من بلد الريف, فمنذ انتسابه إلى شيخه رحمه الله تعالى وهو يناضل ويجاهد في سبيل الله ونشر الطريقة العلاوية. وقد شهد له شيخه بذلك أمام رجال الطريقة وأفرادها خصوصاً إذا حضر بين يديه فقراء الريف, كان يجهر بذلك أمامهم ليزدادوا إيمانا ويقيناً, ولنذكر منها بعض الشهادات التي شهد له بذلك.

فمنها أنه إذا قدم فقراء الريف إلى الشيخ العلاوي كان يسألهم ويقول لهم: "رأيتم الشيخ سيدي محمادي بلحاج؟", فإن قالوا رأيناه أو جاءوا بسلامه أو برسالته, استبشر وتظاهر بالبشرى على وجهه ويستقبلهم بكل فرح وسرور, ثم يأمرهم بمحبته والوفاء بعهده, فإن ذكروا له عدم رؤيته ولم يكن عندهم شيء من أخباره أعرض عنهم.

ومنها أنه كان يوما جالسا مع أفراد الطريقة وبعض العلماء وكان يذاكرهم, وفي أخر مذاكرته قال: "هذا الشيخ سيدي محمادي بلحاج, فإن ادَّعى الطريقة فقد أدَّى فيها المهر".

ومنها كان رضي الله عنه جالساً في محضر الفقراء والعلماء وأعيان الطريقة, فكانت المحاضرة كبيرة, فذكر الشيخ سيدي محمادي وقال: "هذا الشيخ سيدي محمادي بلحاج من بلد الريف مسجوناً على طريقتنا, فيستدعيه الحاكم الإسباني إلى المحكمة, فإذا حضر بين يديه يراوده على ترك الطريقة العلاوية واعتناق طريقة أخرى ويعده بإطلاق سراحه, فيقول لهم: "أرجعوني إلى السجن", ثم يضيف الشيخ: "والله لوكنت أنا لرميت هذه السبحة"، وكانت السبحة في يده فرمى بها على الأرض.

ومنها كان رضي الله عنه جالساً يوما وبين يديه فقراء الريف, فكان يذاكرهم في شأن الشيخ سيدي محمادي حتى قال لهم: "إخواني, من عجز منكم عن زيارتنا لمعذر من الأعذار, فعليه بزيارة الشيخ سيدي محمادي بالحاج, فهو يدنا في بلد الريف".

هؤلاء الشهود كلهم سمعوا الشيخ يصرِّح بهذه الشهادات المتنوعة وكلها تصرخ وتلوِّح بتعظيم الشيخ العلاوي لتلميذه الشيخ محمادي بالحاج وباعتباره رجلاً فاضلاً شهماً لله وبالله, ومن لم يذعن فيعتبر عاقاً لشيخه ورجال الطريقة وأعيانها والفقراء الحاضرون. هكذا سمعوا من شيخهم سيدي احمد العلاوي الذي كان يسميه بصراحة الشيخ إمامهم توضيحاً لمرتبته العالية في طريقته.

كان فقراء الريف يحكون عنه ذلك طيلة مدة حياتهم بين العامة والخاصة, وبعض الحاضرين من أولئك الشهود الذين سمعوا من فم شيخهم لا زالوا على قيد الحياة يرْوُون ذلك. وهكذا بقي رحمه الله وهو في السجن يدعو الناس إلى الله ويدلهم عليه والسجن مفتوح وفي داخله الحضرة والذكر والسماع بالأشعار والإنشاد. كان السجن كزاوية من الزوايا, فما خرج من السجن رحمه الله حتى اجتمع له جموع غفيرة من الفقراء.

وهكذا قضى ما قدر الله له من مدة السجن حتى سفر الشيخ العلاوي لأداء فريضة الحج, حيث اجتمع بالديار المقدسة ببعض كبار المغاربة من بلد الريف

كانوا موظفين من طرف الحكومة الإسبانية, فتكلم معهم في شأن هذا الشيخ لكي يتوسطوا له ويتشفعوا فيه لإطلاق سراحه. فلما رجعوا من فريضة الحج تكلموا مع المسؤولين بتطوان في شأنه, فأصدر الأمر بالإفراج عنه, فأطلق سراحه وخرج من السجن رحمه الله تعالى, وكان قد قضى في السجن سبع سنوات فتصورت له كسبعة أيام لِمَا كان فيه من الأنس بالله والاشتغال بذكر الله, لا يبالي بمرور الأيام ولا بالليالي ولا بعدد السنين, فما وهن لِمَا أصابه في سبيل الله, وفي مثل هؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين﴾ (آل عمران, 146).

ولما خرج من السجن وهو في عز الله وعنايته وفاز بأعلى المراتب على كل مريد حيث جاهد وامتحن وصبر وفاز بالرضى من الله والرضوان, فاجتمع به الفقراء من كل جهة فرحين مسرورين بخروجه والإفراج عنه واحتفلوا بقدومه. ثم استدعاه حكام إسبانيا بالناظور فطلبوا منه المسامحة واعتذروا وقالوا له: "إننا غير ملومين, وإنما إخوانك المسلمين هم الذين وشوا بك حسداً منهم وتشفيا". فقال لهم: "إنني سامحتهم وسامحتكم". فشكروه على ذلك وقالوا له: "من الآن فصاعداً كلما ظهر عدو قد تسبب لك في الإذاية والسجن, فاستدعيه للمحكمة تأخذ حقك منه ", فكان جوابه رحمه الله: "أنا ليس لي عدو إلا الشيطان".

وحينما خرج وحان وقت الاحتفال العام السنوي بمستغانم, ذهب بخمسمائة فقير مصحوبين بهدايا عظيمة للشيخ العلاوي, وحصل للشيخ العلاوي فرحٌ وسرور وابتهاج كبير بقدومه إليه مع تلك الجماعة العظيمة الموفقة على يديه, فلما وصلوا خرج الشيخ لملاقاته, وخرج معه كل من في الزاوية, فعانقه وأشار للفقراء بزيارته. وكان الفقراء يتزاحمون عليه, فلما احتفلوا بتلك الأشواق والأذواق وفيضان الأنوار وختم الاحتفال وأرادوا الانصراف, استدعاه الشيخ العلاوي إلى منزله وجمع كل ما توفر عنده من الهدايا المالية, فأعطاها له وأمره أن يؤسِّسَ بها زاوية في بلده على تخطيط زاوية مستغانم,

فامتثل لأمره وبنى زاوية عظيمة في قبيلة بني شيكر قرية بني علي كما أمره شيخه حيث جعلها مقرا للدعوة إلى الله واجتماع للفقراء والوافدين إليه.
لما تم بناء الزاوية احتفل الفقراء بزاوية جديدة تأسست على التقوى وهدى من الله, وحضر الاحتفال عدد كبير من الرجال والنساء جاءوا من كل بلد ومن كل ناحية من بلد الريف وقبائل القلعية, فاستمر الاحتفال ثلاثة أيام, وفي أخر يوم من الاحتفال تقدم بعض العلماء للخطبة, وكان إرشاده للفقراء بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يزدادوا إيمانا ومحبة لهذه الطريقة الجديدة العلاوية التي أسعد الله بها بلد الريف, وشكروا ذلك الرجل الثابت الراسخ الذي تسب لدخولها ورفعوا أيديهم جميعاً سائلين الله تعالى طول عمره.
ومن نظر في حياة هذا السيد الجليل لا يمتري في مشيخته وخليفته للشيخ العلاوي في شرق شمال المغرب وغيره, وقد شهد له بذلك أكابر من أصحاب الشيخ العلاوي.

وهذه أسماء المشايخ الذين شهدوا لسيدي محمادي بالمشيخة:

1. القطب سيدي مولاي سليمان الشريف الحسيني أكبر عارف في الطريقة العلاوية من جبل القلعية قبيلة بني بيافر.
2. الشيخ سيدي محمد المدني التونسي أكبر عالم للطريقة العلاوية.
3. سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي أوّل متجرد بالزاوية العلاوية بمستغانم.
4. الشيخ علي البوديلمي من العلماء المرشدين للطريقة العلاوية - تلمسان
5. الشيخ سيدي علي الطراش من مدينة العيون ناحية وجدة.
6. الشيخ سيدي أبو مدين البوتشيشي من ناحية بركان.
7. الشيخ سيدي المختار حديدوان من قبيلة كبداني.
8. الشيخ سيدي إدريس العرباوي من قبيلة العراب ناحية زايو.
9. الشيخ سيدي ج. عمر من قبيلة بني بو يحيى بركان.
10. الشيخ عبد القادر بن قدور من قبيلة بني بو يحيى ناحية أدوري.

11. الشيخ سيدي عمار بن مشيش من قبيلة سيدال.
12. الشيخ سيدي عبد القادر معنان من قبيلة بني بو يافر.
13. الشيخ سيدي الحاج الحسن الشكري من قبيلة شكار.
14. الشيخ سيدي بن عيسى المجرد من قبيلة فرخانة.
15. الشيخ سيدي الحاج محمد العلوي من مدينة الناظور.
16. الشيخ محمد الصغير من أنجال القطب قدور كركر من قبيلة تمسمان.
17. الشيخ سيدي بن عودة من ناحية الحسيمة من بني ورياغ.
18. الحاج العربي محمد من ناحية ترجيست بني مزدوى.
19. الشيخ سيدي الحاج المختار الغماري من مدينة شفشاون.
20. الشيخ سيدي أحمد الكواش من مدينة تطوان.
21. الشيخ سيدي أحمد الحصار من مدينة طنجة.
22. الشيخ سيدي أحمد الملوسي من مدينة القصر الكبير.
23. الشيخ سيدي محمد بلحاج الصنهاجي من ناحية فاس.
24. مولاي الطاهر التمسماني حفيد سيدي محمد قدور كركر.

هؤلاء المشايخ كلهم كانوا في صحبة شيخهم العلاوي وأخذوا عنه الفتح بذكر اسم الله الأعظم, وكان لهم أتباع اللذين لا زالوا على قيد الحياة, منهم من كان مأذونا لتلقين اسم المفرد للمؤمنين, وكان الفتح على يدهم في أقرب وقت, كلهم كانوا يشهدون لهذا الشيخ سيدي محمادي بلحاج بالمشيخة والقدم الراسخ في الطريقة, وهذا بالإضافة إلى ما كان يشير به إليه الشيخ العلاوي أيام حياته. ومنهم المذكورون من قبائل الريف, ولما انتقل شيخهم العلاوي إلى رحمة الله, رجعوا لصحبته وكانوا تحت إذنه إلى أن وفاه أجله رحمة الله عليه.

وقد أذن له شيخه العلاوي بتأسيس زاوية علاوية جعلها للإرشاد والدلالة على الله, وكان رحمه الله يستقبل فيها الوافدين عليه من كل مكان من الفقراء والعلماء والصالحين, وأسس فيها الجمع الأسبوعي في كل ليلة جمعة. كان يحضر في جمعه نحو مائتين فقير وبذلك اشتهرت الطريقة العلاوية في بلد الريف وانتشر صيته في جميع القبائل خصوصاً قبيلة فرخانة وبني شيكر,

حيث كثر أتباعه في هاتين القبيلتين العظيمتين, لما وصلت الطريقة الجديدة عندهم استقبلوها رجالاً ونساء, وقد كانوا قبل ذلك في غفلة وجهل, فتبدّلت أحوالهم في الحين, فكان في كل قرية من القرى المجاورة للزاوية لا تجد فيها إلا ذاكراً الله وذاكرة سرا وعلانية, فقاموا للطريقة بأحسن قيام وأذعنوا للتربية, فرباهم بأحسن تربية وأدبهم وهذب أخلاقهم, وأخذوا عنه الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة في جميع حركاتهم وسكناتهم وحتى في لباسهم, امتازوا على غيرهم بتلك الهيأة الحسنة التي كانوا عليها, فهي شعيرة من شعائر الصوفية ومظهر من مظاهر الإسلام, فكانوا ملتزمين بها أين ما كانوا وأينما نزلوا, وإليهم يشير بعض الشعراء :

إذا نزلوا بأرض كأنهم أقمار وفي عيون الناس كأنهم أزهار
وفى ظلام الليل كأنهم أمطار ومشهدهم يصـــــدق الواقـــع

وقد أدبهم بأحسن أدب في جلوسهم وقيامهم وخصوصاً إذا قاموا للحضرة بالسماع والذكر, فلا تسأل عن تخشعهم وتواجدهم بذكر الله, لا يجري على لسانهم في حركاتهم وسكناهم إلا ذكر لله, وإذا كانوا في لحظة اشتغال الفقراء (بالذكر) لا يتكلمون برفع الصوت بل بخفض الأصوات والحنانة واللطافة, وقد كانوا على نظام واحد وكانوا لا يتكاسلون ولا يتعب أحدهم في الحضرة.
وكان رحمه الله يخمر بنفسه في وسط حلقة الذكر لتهييج المحبة في الله العلي العظيم, وهو قوي في ذاته ولهجته يحرك الفقراء بحاله وكثرة شوقه لله, فإذا جلسوا من الحضرة كان يجود الآيات المناسبة للحال من القرآن الكريم, والفقراء حوله متواضعون خاشعون قلوبهم مملوءة بأنوار ذكر الله ومحبة شيخهم لا يتحرك منهم أحد ولا يجهر بالقول بين يديه لهيبته, وكان أحياناً يجلس على جنبه القطب سيدي مولاي سليمان رضي الله عنهما وكان يحبه حباً شديداً.
فهنيئا للفقراء العلاويين بهاذين القطبين الشريفين من بلد الريف, وكان إذا حضر الفقراء بين أيديهما مؤدبين شاخصين فيهما أبصارهم, وكانت سمة

عناية الله ظاهرة عليهما ووجههما يتلألأ بالأنوار, فهما رجال الله الأخيار إذا تكلم أحدهما بالمذاكرة استقبلها الفقراء بأذن واعية, كلامهما حلو في القلوب, وأحرى مذاكرة الشيخ سيدي مولاي سليمان لما كان هو المذكر, فقد كان له أسلوب جذاب للقلوب في المذاكرة يوضح الكلام ويعيد المذاكرة مرتين أو ثلاثاً.

أخلاقه وسياحته وأواخر أمره

وكان هذا الرجل العظيم ذو الأخلاق الحسنة والأوصاف الكريمة, تقياً ورعاً زاهداً مثابراً على ذكر الله تعالى, شغوفاً ولوعاً بالدعوة إلى الله, وكان متواضعاً يخدم الفقراء بنفسه ويقوم بشؤونهم ويهيئ لهم الفراش بيده سيما أيام الاحتفال, ويستقبل الفقراء فرقة بعد فرقة, ويجلس معهم لا يتعاظم عليهم, ولا يرفع صوته فوقهم ولا يغضب على من أساء منهم, ويربيهم بالشفقة والرفق, وينفق عليهم كل ما كسب.

وكان رحمه الله كثير الصمت لا يتكلم إلا لضرورة, وكان إذا أقبل عليه أيام الاحتفال يبعث بالرسائل إلى جميع الفقراء يستدعيهم للحضور. وكان أحيانا يخرج للسياحة ليتعاهد الإخوان, غير أنه لم يكن يكثر ذلك في قبائل القلعية إلا لبعض المواضع منها, ومع هذا كان يذهب لتطوان وطنجة والقصر الكبير وسلا وغير ذلك من مدن المغرب. وكان يأذن للشيخ سيدي مولاي سليمان بالسياحة لجميع قبائل القلعية ويقول له: "جزاك الله عنا خيراً, قد تحمَّلت عنَّا هذا التكليف".

وعندما توفي شيخه العلاوي, قامت قيام الحسدة من بعض أصحاب الشيخ العلاوي الذين اشتركوا مع بعض الحسدة من أكابر قبيلة بني شيكر, فجعلوا يكيدونه ويتسببون له في الإذاية حسداً وبغضاً, وفي الآخر نصره الله عليهم فانقلبوا خاسرين, فترك زاويته في بني علي وانتقل لداخل الحدود بضواحي مليلية, فبنى بها زاوية أخرى واستمر على الإرشاد والدلالة على الله إلى أخر حياته, وكان الفقراء يأتون من كل ناحية ومن كل مكان يقصدون زيارته والتبرك به, وطلب الفتح على يديه بتلقين اسم الله الأعظم. ولازالت زاويته

عامرة بولده البار رئيسا عليها سيدي الحاج ميمون. كان رحمه الله مرشداً وداعياً إلى الله كما كانت سيرة شيخه العلاوي في مستغانم أيام حياته إلى أن وافاه أجله المحتوم رحمة الله عليه عدد ما صبر وجاهد في سبيل الله.

وفاته رضي الله عنه

ولما دنا أجله كان صحيح الجسم ليس به ألم ولا علة ولا مرض فتوضأ وأراد النزول إلى مدينة مليلية, فخرج ومشى غير قليل ثم رجع مسرعاً, فأمر معلم الأطفال بتهيئة الفراش فاضطجع عليه مستقبل القبلة فخرجت روحه الطّاهرة, فطار الخبر وانتشر من ساعته ولا سيما في القبائل المجاورة, فحضر الفقراء حالاً فأثَّر الأسى والحزن جميع الفقراء رجالا ونساء, الحاضرين منهم والغائبين, وجاء الشيخ سيدي مولاي سليمان بجماعة من الفقراء فجلس عند رأسه وكشف عن وجهه وقبله وقال له: "استودعناك في يد الله, لقد كنت مجاهداً", وكانت وفاته نهار يوم الخميس 11 من شعبان 1365هـ, 11 يوليوز سنة 1946م, ودفن يوم الجمعة من الغد بعد الصلاة.

وكان الذي تولى غسله هو الشيخ سيدي مولاي سليمان بمساعدة بعض الطلبة الصالحين, وبعد أن جهزوه خرجوا به بالجلالة واجتمع على جنازته جمهور الفقراء والناس لا يحصون كثرة ودفنوه بالزاوية بموضع خاص له كان قد أشار عليه للشيخ سيدي مولاي سليمان في حياته. وعندما تم دفنه, وشعر الإخوان بفقد مرشدهم وناصحهم ومنعشهم, توجهوا جميعا إلى الشيخ سيدي مولاي سليمان, فجددوا عليه العهد ولم يتخلف منهم أحد.

وعندما دفن وقعت نادرة وفي الحقيقة تعد من كراماته بعد موته, فقد حضر عميل إسبانيا وهو قائد قبيلة شيكر ومعه أسياده من الشرطة, فأمر الفقراء بإخراج الشيخ رحمه الله من قبره بزاويته ودفنه في المقبرة العامة, وبعد أن راجعه الشيخ سيدي مولاي سليمان وراوده وقال له: "إننا دفناه بزاويته اقتداء برسول الله صلى الذي دفنوه الصحابة في بيته".

بعد التنبيه للقائد والإرشاد الوجيه, أصر القائد وأبى إلا إن يخرج الشيخ من قبره, ذهب بعض الفقراء في الحين إلى جنيرال مليلية الإسباني وشكوا أمر

القائد, فأرسل إليه رسالة بانصرافه وقال له في الرسالة: "لا تقف دقيقة هناك", فانصرف ذليلاً خاسئاً حقيراً, وهكذا ذهب هذا الشيخ الطاهر كما ذهب شيخه العلاوي وذهب قبله وبعده شيوخ وشيوخ حتى لا يبقى على وجه هذه البسيطة أحد حين يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين, ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

========<<<>>>=========

سعيد سيف الذبحاني العلاوي - الشهائد والفتاوي (4-28)

الشاهد الثامن والعشرون من القسم الرابع في سرد جملة من رسائل ذمي الفضل وأرباب المكانات في كتاب الشهائد والفتاوي. (4-28).
الشيخ الحاج سعيد سيف الذبحاني الأشاعري، وكان انتشار الطريقة على يد الشيخ المذكور حوالي عام 1338هـ (1919م)، لقد اجتمع بحضرة الأستاذ بزاويته بمستغانم، وانقطع فيها أياما للذكر حتى فتح الله عليه فتوح العارفين بالله، حيث كان رجال السلسلة ينقطعون لأجله الشهور والأعوام، فأصبح منطويا بفضل صحبته الأستاذ في مدّة من الزمن، وقد أشار الأستاذ العلاوي لذلك في بعض قصائده بقوله:

يوافقني في أيام لا نطلب منه أعـــــوام   فإن حصّل المـرام يكون عبـــداً لله
ننصح له في الطريق يجعلني فيها رفيق   نريه معنى التحقيق خالصا لوجه الله

الشيخ سعيد سيف الذبحاني العلاوي, أوّل من أدخل الطريقة العلاوي إلى اليمن, حيث أرجعه الشيخ العلاوي من الجزائر إلى اليمن لنشر الطريقة, ففتح أول زاوية علاوية في مدينة عدن عام 1920. وقد تعرف على الطريقة العلاوية من خلال بعض مريدي الشيخ العلاوي العاملين في البحارة, والذين التقى بهم في مدينة مرسيليا أثناء بعض سفرياته حيث كان يعمل بحاراً في إحدى شركات الملاحة, فتعلق قلبه بالشيخ العلاوي وقرر الذهاب لزيارته في مدينة مستغانم بالجزائر, وكانت وقتها الحرب العالمية الأولى تدور رحاها. فالتقى بالشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي وسلك على يديه وشرب من كوثره العذب.
وبعد أن فتح الله له على يد شيخه, أرسله الشيخ العلاوي إلى اليمن كأول مقدم للطريقة العلاوية في اليمن. فكانت عدن البذرة الأولى للطريقة في اليمن, وهناك التقى بسيف بن أحمد العلاوي بعد عودة هذا الأخير من الحبشة, فقدم له الشيخ سعيد سيف الذبحاني بعض مؤلفات الشيخ العلاوي.

وفي عام 1930 وصلته أخبار بأن الشيخ العلاوي سيقوم بأداء فريضة الحج في تلك السنة, فقرر الذهاب للحج مصطحباً معه سيف بن أحمد, إلا أنه وبعد احتراق السفينة التي كانا عليها في جدة, قرر الشيخ سعيد سيف الذبحاني العودة إلى اليمن, فأكمل سيف بن أحمد رحلته إلى الحج, وهناك التقى بشيخه الذي هام في طلبه. وفي ذلك اللقاء أقام الشيخ العلاوي سيف بن أحمد مقدماً للزاوية العلاوية في عدن بدلاً من الشيخ سعيد سيف الذبحاني والذي أرسل إليه هدية تتكون من سبع حبات فيتامين. وفي ذلك يقول الشيخ سعيد سيف الذبحاني بأنها إشارة من الشيخ العلاوي لبقائه في توحيد الصفات السبع.

وقد كان الشيخ سيف بن أحمد العلاوي كثير الثناء على الشيخ سعيد سيف الذبحاني, وفي ذلك يقول: "ما رأيت مثله ابن طريق, لم يتغير, ولم يتبدل, ولم يقل أنا المقدم الأول فلماذا يتقدم عليَّ واحدٌ من تلاميذي, بل ظل معاوناً لي في نشر الطريقة, ملازماً للوّد بزيارتنا".

ولعل سبب اختيار الشيخ العلاوي لسيف بن أحمد بدلاً من سعيد سيف الذبحاني، هو أن الشيخ سعيد سيف الذبحاني لم يكن متفرغا لنشر الطريقة كما كان الشيخ سيف بن أحمد, وذلك بسبب انتقال الشيخ سعيد سيف الذبحاني إلى العمل مع الحكومة في عهد الإمام أحمد في وظيفة خَرْص الثمار.

وقد كان للشيخ سعيد سيف الذبحاني أدواره الكبيرة في نشر الطريقة العلاوية, ويبرز ذلك من خلال المراسلات التي تمت مع الشيخ أحمد العلاوي من قِبَلِ عدد من مشايخ الطرق والعلم في اليمن, والتي تضمنت شكر الشيخ سعيد سيف الذبحاني الذي عرَّفهم بالشيخ أحمد العلاوي من خلال مؤلفاته التي كان يهديها لهم أومن خلال حديثه الدائم عنه, ومنهم الشيخ صالح الطيار النقشبندي اليافعي و الشيخ محمد المالكي الشنقيطي.

توفي الشيخ سعيد سيف الذبحاني عام 1954 ودفن في مقبرة الأجينات بمدينة تعز رضي الله عنه.

========<<<<<<>>>>==========

سيدي العربي تشوار - الشهائد والفتاوي (3-18)



الشيخ البركة سيدي العربي بن مصطفى تشوار أحد المشاهير بالصلاح والورع، من مواليد عام 1865م من بين أهالي تلمسان دارا ومنشأ، مقدم الزاوية العلاوية التي بدرب الحدادين بتلمسان.

كان منتسبا إلى الطريقة الدرقاوية الهبرية بأحفير بالمغرب الأقصى ثم انتسب إلى الشيخ محمد البوزيدي مع جماعة كبيرة من أهالي تلمسان من بينهم الشيخ محمد بن يلس الذي أجازه الشيخ محمد البوزيدي بالإرشاد. ولمّا بلغه خبر الخلافة بعد وفاة شيخه محمد البوزيدي للشيخ العلاوي رضي الله عنهما عام 1909م، لم يتباطأ بالأخذ عنه والتشبث بأذياله.

كان الأستاذ الشيخ أحمد العلاوي يحبّه لما يرى عليه من لوامع الأسرار الربانيّة والحقائق الإلهيّة وعيّنه مقدّما للطريقة في تلمسان بعد هجرة الشيخ محمد بن يلس إلى الديار الشامية عام 1911م. وبقي عاملا مخلصا منذ أن بايعه إلى اليوم الذي ختمت فيه أنفاس الشيخ العلاوي الشريفة. وكان هو الذي تولّى تغسيل الأستاذ وتكفينه، وكان عنده قبل وفاته معدودا من الذين **(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)** [الأحزاب آية 23].

توفي حمه الله يوم 25 ديسمبر سنة 1955م.

الشيخ محمد الفيتوري حمودة



يرتقي نسب الشيخ محمد الفيتوري حمودة رضي الله عنه لسيدي القطب الأنور عبد السلام الأسمر بن السيد سليم بن سليمان بن عمران بن أحمد بن خليفة الملقب بفيتور بن الولي الصالح الزاهد الشريف عبد الله الشهير بـنبيل المدفون بمكة المكرمة بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد الشيخ محمد الفيتوري حمودة في مصراتة في قرية يدر و كان فقيرا متجردا لله مند صباه ولما بلغ من العمر عشرون عاما انتظم في سلك طريقة الشيخ الشنقيطي ومنشأ هذه الطريقة رجل صالح موريتاني وأهل هده الطريقة أهل سياحة وتجرد فخرج الشيخ الفيتوري رضي الله عنه معهم سائحا متجردا لله عز وجل، والطريقة الشنقيطية طريق جلالية بمعنى أنها تتميز بكثرة التكاليف التي يأمر الشيخ بها مريده في الظاهر والباطن ويقول الشيخ الفيتوري رضي الله عنه: "لاقيت الأمَرّين مع الشيخ الشنقيطي رضي الله عنه لأن طريقهم طريق تجريد محض", وبقى سيدي محمد الفيتوري في التجريد مع الشيخ الشنقيطي ما يقارب العشرين عاما وحصل خلال هذه السنوات كل ما عند شيخه الشنقيطي رضي الله عنه.

ويقول سيدي الفيتوري رضي الله عنه: "ولكن كل ما حصلته لم يشفي غليلي ويروي ظمئي فكنت متطلعا للمزيد وفي أثناء سياحتنا عام 1930م /

1348هـ وصلنا إلى سوريا ووجدت الفقراء هناك يتحدثون عن شيخ قدم من الجزائر يدعى الشيخ احمد بن عليوة وهو مقيم آنذاك عند الشيخ الهاشمي التلمساني رضي الله عنهما وهو من أجَّل مشايخ سوريا في ذلك الوقت, فصممت على مقابلته والذهاب إليه, و بالفعل ذهبت إلى مقر إقامته عند الشيخ الهاشمي التلمساني فوجدت كثيرا من المشايخ والفقراء يطلبون الإذن في الدخول عليه فاستأذنت مثلهم للدخول عليه فدخلت وسلمت عليه ولاحظت في أثناء سلامي أنه مسك يدي وسلَّم علَّي أكثر من باقي الفقراء ونظر في عيني نظرة وابتسم ثم أخذ جمع من الفقراء في التسليم عليه أيضا.
بعد هذا اللقاء لم يهنأ لي بال ولم تغمض لي عين في تلك الليلة وصممت على الذهاب إليه في اليوم التالي وحدي والتحدث معه, وفي اليوم التالي ذهبت إليه ودخلت عليه ودار بيننا الحوار التالي: الشيخ الفيتوري: "يا سيدي أنا تعبت وإن كان عندك حاجة من غير تعب فأعطيها لي." فنظر إلي الشيخ وابتسم وقال لي : "يا بني طريقنا هذه فيها كل ما تريد إن شاء الله."

فأخذ الشيخ الفيتوري العهد على الأستاذ العلوي رضي الله عنه وقال الشيخ العلوي لسيدي الشيخ الهاشمي التلمساني رضي الله عنهما: "يا سيدي الهاشمي هذا المريد يخُصني أنا على طول, وضرب يده على صدره, وأنا ما جئت لهذه الديار إلا من أجل فقير مثل هذا يبحث عن روحه."
ثم قال الشيخ العلوي لمريده سيدي الفيتوري بعد أن لقنه الأوراد وأدخله الخلوة: "إنك احترقت شوقا, لن تطول في خلوتك.", فمكث ثلاثة أيام بلياليها.
ثم أذن له الشيخ العلوي بعد ذلك قائلا: "يا بني أرجع إلى أهلك والمقام الذي تصل إليه ذاكر فيه أهلك."
و بعدها رجع الشيخ الفيتوري إلى مدينة مصراتة وأقام بها حينا من الدهر و أخذ عليه العهد مجموعة من الفقراء ثم انتقل إلى مدينة بنغازي وأقام بها و أسس الزاوية العلوية و أخذ يدعو إلى الله بأذن ربه و على بصيرة و ربى الكثير من الرجال وفتح الله على يديه الكثير من الفقراء فأصبحوا من العارفين فانتشرت الطريق بفضل الله وهمة أبنائها الصادقين المخلصين.
توفي رضي الله عنه في 1978م, رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

الشيخ سيدي أبو مدين بن المنور البودشيشي (ت ١٩٥٥)



ضهو أحد شيوخ السلسلة النورانية، وكان رحمه الله تلميذا لعدة مشايخ،وهم: سيدي المختار بن الحاج محيي الدين، وعليه معتمده في أخذ الإذن بالمشيخة وسيدي أحمد بن مصطفى بن عليوة، وسيدي الطيب الشرگي وتعلم منه التمسك الصارم بالشرع، وسيدي أمحمد لحلو الدرقاوي الفاسي (ورث عنه الحال والوَجد) وقد تفرّس سيدي أمحمد في الحاج العباس خيرا وبلوغه شأنا عظيما مستقبلا لما كان هو وأخوه الأكبر المكي بثغر فاس، وأخذ عن سيدي المهدي بلعريان السباعي التوحيد والفناء، والمقدم سيدي محمد بن موسى التيجاني بأحفير، والشيخ سيدي يوسف النبهاني رحمهم الله جميعا.

ويفهم أن الطريق مزيج من القادرية والجزولية والدرقاوية والتيجانية.

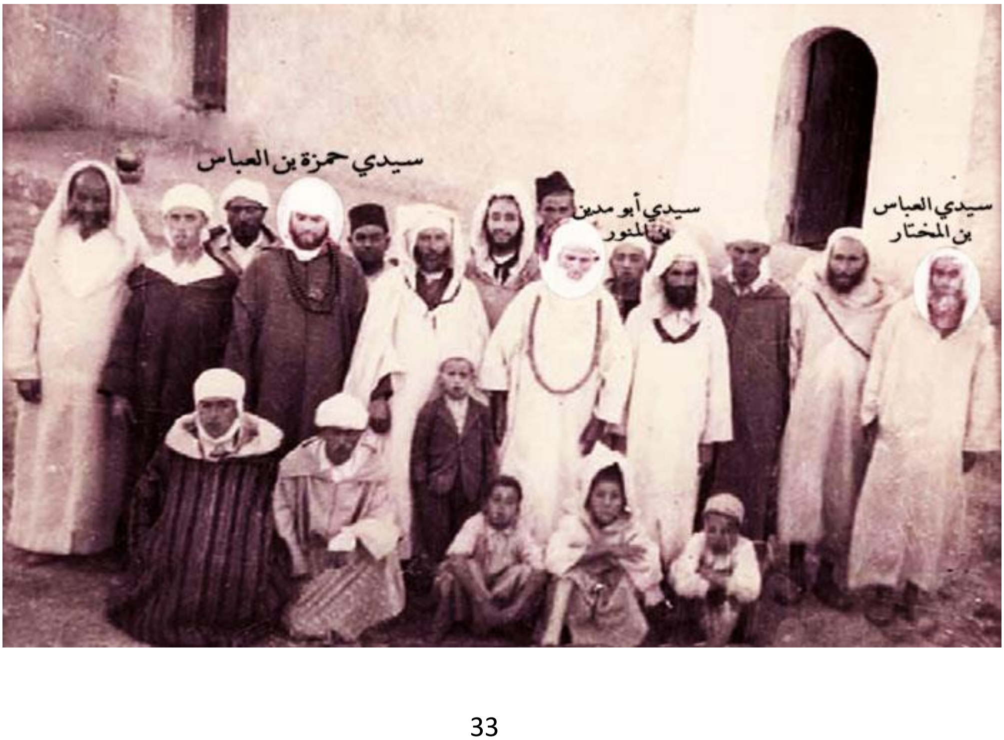
أي أن السلسلة النورانية من الشيوخ الأكابر تتكون من عدة طرق وفروع.

وقد تعامل شيوخ التزكية في سندنا التربوي والسلسة النورانية بأشكال مختلفة مع المريدين والسالكين، وعُرف سيدي أبو مدين بشدة تعلقه بالشرع وعدم التهاون في أمور الظاهر والباطن وطهارتهما. وكان محبا للورع، ولا يأكل طعام الأعيان الذين يرى شبهة في دينهم وسلوكهم. ويخاصم أهل البدع والدعوى والتواكل. وكان يشترط في مريديه الالتحاء.

ولم يجعل تسيير الطريقة لأبنائه من صلبه، وإنما تركها لمن يستحقها وهو الحاج العباس بن المختار شيخ الإمام المرشد الأستاذ سيدي عبد السلام ياسين. كما لم يكن يعتمد على النسب الشريف أو يقبل به. وحارب الشطح الصوفي، وأكد على الكلام من خلال الكتاب والسنة والمعقول والمنقول.

وكان لا يتسامح مع من يقع في أدنى مخالفة شرعية كحلق اللحية أو القص منها، وكان يقول :"لا أقدر على مقاومة غضبي لانتهاك الحدود الشرعية أو

مخالفة السنة ولو في أخف الحالات، لأنه حال رباني". اللهم استرنا في الدنيا والآخرة. بينما كان تلميذه الحاج العباس يلطف من صرامة شيخه ويقول: "دعهم يأتوننا كما يشاؤون، ثم نحولهم إلى ما نريد".
وقد جعل سيدي الحاج العباس خلافته لنجله سيدي حمزة كما جاء في الوصية التي كتبت بالسعيدية، وأخبرنا كبارنا أن سيدي عبد السلام كان من المبايعين له بعد وفاة الحاج العباس. ونحتاج لمزيد من التفاصيل حول هذا الأمر.
ونادى سيدي أبو مدين قبائل بني يزناسن بأعلى صوته بأن منعهم أن يقصده الناس لقضاء الحوائج وطلب الغيث لأن الله هو الذي يقصد في كل شيء. ويذكرني هذا الأمر حينما حكت إحدى الأخوات رؤيا للأستاذ المرشد بالدار العامرة واستغاثتها بسيدي عبد القادر الجيلاني، فقطع كلامها بالحديث النبوي: "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله". وكان المرشد رحمه الله يوصي دائما بعدم حلق اللحية اقتداء بسنة أفضل الخلق من الأنبياء والمرسلين باستثناء إذا كان الأخ سيواجه رفضا من الوالدين أو من العمل. لأنها فطرة وشعار ورمز. رحمة الله عليهم وأعلى مقامهم.



الشيخ محمد بن الهاشمي



ولد سيدي محمد بن الهاشمي من أبوين لصالحين - من آل البيت يرجع نسبهما إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه – يوم السبت ٢٢ شوال ١٢٩٨ الموافق ل ١٨٨١م في مدينة سبْدُو التابعة لمدينة تلمسان بالجزائر. وكان والده من علمائها وقضّائها.

بقي الشيخ مدة من الزمن ملازماً للعلماء يتعلم منهم، ثم هاجر في ٢٠ رمضان ١٣٢٩ مع شيخه محمد بن يلّس إلى بلاد الشام هربا من الاستدمار الفرنسي الذي منع الشعب الجزائري من حضور حلقات العلماء ودروسهم. فمكثا في دمشق لأيام ثم قامت الحكومة التركية على تفريق جميع الجزائريين وكان نصيبه أن ذهب إلى تركيا وأقام في أضنة. وعاد بعد سنتين إلى دمشق فالتقى بشيخه سيدي محمّد ابن يلس وصحبه ولازمه.

أخذ العلم عن أكابر علماء بلاد الشام ومن أشهرهم:

الشيخ المحدّث بدر الدين الحسني، الشيخ أمين سويد ، الشيخ جعفر الكتاني، الشيخ نجيب كيوان، الشيخ توفيق اليوبي ، الشيخ محمود العطار وأخذ عنه علم أصول الفقه والشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي وأخذ عنه الفقه المالكي.

وقد أذن له شيخه محمد بن يلس بالورد العام لما رأى أما من ناحية التصوف من تفوقه على تلامذته، من حيث العلم والمعرفة والنصح لهم وخدمتهم. ولما

لأداء فريضة الحج، نزل من الجزائر قدم الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي في دمشق سنة 1348 هـ الموافق 1930م، أذن لمحمد بن الهاشمي بالورد الخاص، تلقين الإسم الأعظم، والإرشاد العام.

مؤلفاته

- مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة.
- الرسالة الموسومة بعقيدة أهل السنة مع نظمها.
- البحث الجامع والبرق اللامع والغيث الهامع فيما يتعلق بالصنعة والصانع.
- الرسالة الموسومة بسبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة مع نظمها.
- الدرة البهية.
- الحل السديد لما استشكله المريد من جواز الأخذ عن مرشدين.
- القول الفصل القويم في بيان المراد من وصية الحكيم.
- شرح شطرنج العارفين للشيخ محيي الدين بن عربي.
- الأجوبة العشرة.
- شرح نظم عقيدة أهل السنة.

توفي الشيخ سيدي محمد الهاشمي التلمساني يوم الثلاثاء ١٢ رجب ١٣٨١ الموافق ل ١٩ كانون الأول ١٩٦١ م في دمشق. وكانت وصيّته في آخر حياته "عليكم بالكتاب والسنة." رحمه الله تعالى.

=======<>=======

الشيخ عدّة بن تونس

الشاهد السادس والعشرين من القسم الثالث في سرد جملة من شهادات أعيان الطريقة العلاوية وفقهائها في كتاب الشهائد والفتاوي. (3-26)



إن الحديث عن الشيخ سيدي عدة بن تونس, ومآثره ليس بالمهمة السهلة فوفاءه وملازمته وانقياده بروحه لأستاذه الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي حتى آخر رمق شكلت منه شخصية مصقولة كالبلور الخالص المتعدد الأوجه تتلألأ كل صفيحة من صفائحه بضياء منفرد أخاذ. لقد رسم في ذاكرة الذين عرفوه أو التقوا به ذكرى راسخة لا تتبدل, إنه شخصية عاشت مغمورة في الحضرة الربانية نادى ودعا دون ملل إلى النهضة وإلى الأخوة الواجب تحقيقها إنسانيا, وعبر شهادات الذين عرفوه وصلت بعضها إلى درجة التناقض نلمس الطابع الخاص لشخصية هذا الرجل الذي رسم مصيره منذ كان في الثامنة من عمره عند لقائه الأول بأستاذه الشيخ العلاوي الذي كان في تلك الفترة مقدما للشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي.

جون بياس الذي كان يبلغ من العمر حينها 19 سنة وتشرف بملاقاة الشيخ سنة 1952 بزاوية مستغانم يقول:

"إن المستقبل قد دل على أن هذا الرجل شرف شبابه كما أن شيخوخته شرفت طفولته حتى صار الشيخ عدة وليا صالحا, أسس منهاجه وسط الأنس الرباني, ولا يزال إلى الآن حاضرا في نفسي كما هو تماما, على رأسه عمامة مرتديا جلابة عريضة بيضاء والتي ستكون يوما كفنه وفي عنقه سبحة ذات تسعة وتسعين حبة إشارة إلى أسماء الله الحسنى وتمام المائة يبقى اسما خفيا لا ينطق, والأسماء صفات دالة على الكمالات والأفعال الربانية المتجلية في

الكون المشيرة للذات الإلهية. كان يعبق منه شذا التواضع والمحبة والصبر والحلم والبساطة".

كان في صغره كباقي أطفال حي تجديت، الحي العربي بمستغانم حيث ولد يذهب إلى الزاوية من أجل تعلم القرآن إذ كانت المؤسسة الوحيدة للتعليم الديني ومند الصبا أحس التلميذ نفسه منجذبا نحو جو الزاوية ومنبهرا لنجابة المريدين وشيئا فشيئا انخرط في تلك الطريقة مع أخيه الأكبر منور بن تونس وأصبحا مريدين مثابرين على حضور الدروس التي كانت تلقى من طرف الكبار بالزاوية كالقرآن والشريعة واللغة العربية وكذلك السماع، ومن ثم رسمت له طريقه وانصب منكبا روحا وجسدا على العلم الظاهري والباطني الذي كان يتلقاه من شيخه وأبيه الروحي أحمد بن مصطفى العلاوي".

وعندما بلغ الثامنة عشر تم استدعاؤه مثل كافة الشباب الجزائري في سنه إلى الخدمة العسكرية وتم توجيهه نوح الفيلق الثاني والسادس للرماة الجزائريين وانتهت تعبئته سنة 1921 برتبة رقيب وبالطبع عاد بعدها إلى الزاوية إلا أن رجوعه إلى صحبة شيخه لم يرق والدته, ولما شعرت باليأس من جهة عدم رجوعه إليها دعته مرة وطلبت منه الابتعاد عن شيخه حتى يكون لنفسه أسرة, وقد أورد جون بياس هذا الحوار بين الشيخ وبين أمه:

- الأم "دعك من الشيخ العلاوي وخذ هذه الحلي فهي لك وكون بها أسرة"
- الإبن "وأنا بدوري أمنحها لك ودعيني مع شيخي"

في سنة 1922 سافر بإذن من شيخه إلى جامع الزيتونة بتونس وكان عمره حينذاك أربعة وعشرين سنة فمكث هناك عامين, درس فيها علوم اللغة العربية والشريعة بعد هذا المقام القصير خارج الجزائر عاد إلى جانب شيخه من أجل التفرغ لخدمة الطريق, ولما لاحظ الشيخ العلاوي أهليته للتربية الروحية قربه منه قربا حميميا واسند إليه عدة مهام وخصوصا تمثيله في مختلف المناسبات، وبعد سنة تقريبا زوجه من ابنة أخته خيرة بن عليوة التي كفلها منذ صغرها ورباها كابنته بعد وفاة والديها.

لما أحس الشيخ العلاوي بقرب المنية كفل الشيخ سيدي عدة كفالة شرعية بحيث جعله بمنزلة الإبن ومن ثم سلم له مقاليد التسيير المطلق, فجعله المتصرف الوحيد, كما نص على ذلك عقد الوصية مرجع kk 838 رقم 594 من فهرس محكمة مستغانم الفصل الرابع "إن الحبس بجميع أنواعه يكون تحت تصرف المنزل منزلة الإبن، حضرة السيد بن تونس عدة ولد بن عودة الساكن بمستغانم يجرى فيه على حسب المنصوص عليه بدون ما يتعرض له أي أحد إلا إذا خرج عن مراد المحبس بحبسه خروجا فاحشا وهكذا يبقى جميع ما تقدم ذكره تحت يده ما دام في قيد الحياة وبعد وفاته ينتقل إلى الصالح من أبنائه وإذا لم يوجد من النسل المستعد لذلك فينقل لمن صلحت سيرته وتحققت نجابته من الاتباع".

بهذا خلف شيخه الجليل الذي توفي في 14 جويلية 1934 مخلدا عمله بمواصلة تربية النهضة الروحية المنوطة بالزاوية الأم بمستغانم وبمختلف الزوايا العلاوية بالجزائر والمغرب وفلسطين وسوريا والأردن ومصر والحجاز وغيرها.

وكان يستقبل بالزاوية زوارا من مختلف الجهات عبر العالم مسلمين وغيرهم فكانوا يلقون منه استقبالا حيا حارا كما تبينه هذه الشهادة "لكاترين دولورم" التي زارت الشيخ بمناسبة الاحتفال السنوي للطريقة العلاوية: "كان الشيخ عدة بن تونس يقف أمام الباب لاستقبال الزوار الوافدين من كل نواحي المغرب والجزائر وكان يبدو وكأنه ينتظر وصولي, واستقبلني كأحد أفراد عائلته الروحية وكنت مندهشة أمام مظاهر التقدير والاستقبال الذي خصني به فوجدت نفسي مرتبكة ومطمئنة في نفس الوقت كما أنني كنت قلقة إذ جئت والحفلة في أوجها فإذا بي أمام هذا العدد الهائل من الفقراء.

كنت أسمع ما يقول لي ولكن لم أكن أعي إلا القليل, لأن وجهه أخذ كل انتباهي, فاكتشفت فيه كتابا مفتوحا, وكنز فضيلة ومحبة وصبر وصدق, وكان باحتشامه يضفي على شخصيته وداعة أكثر تأثير و جاذبية من الإعجاب بالنفس".

كانت هيبته وبساطته وإنسانيته معروفة لدى كل سكان المدينة الذين كانوا يحبونه ويحترمونه.
أما بمناسبة الاحتفالات التي كانت تقام بمستغانم فإن الجو كان ملونا بجمال الأناشيد الصوفية المثيرة مما يضفي على المدينة لبرهة من الزمن طابعا خاصا, فتصبح ملتقى عالميا لرجال ونساء عطشى للحب الرباني, و شهادات ناطقة على الأخوة الإنسانية.
كتب مراسل جريدة "صدى وهران" في سبتمبر 1950 واصفا إحدى هذه اللقاءات قائلا :
"تعرف مدينتنا منذ أيام توافدا غير معتاد بحيث نلتقي يوميا مسلمين يتكلمون لهجات مختلفة عن لهجة المنطقة, واتضح أنهم قادمون من مليلية ووجدة وتلمسان, مقصدهم الزاوية العلاوية التي يعد اتباعها بالآلاف عبر كامل إفريقيا, لحضور مؤتمرها السنوي".
و يضيف الصحفي قائلا صرح "ملموان" رئيس البلدية ومندوب الجمعية الجزائرية بأنه معجب ببساطة الشيخ الحاج عدّة الذي نشعر بصدق أقواله ويضيف مخاطبا الشيخ "إن تطبيق مبادئكم التي تلقنونها اتباعكم كفيلة بان تدخل السعادة إلى قلوبنا ومطامحنا المشروعة". وهكذا كان الحال في كل سنة يتوافد الزوار وأعيان المدينة دون تمييز بين عرق أو دين للتعبير عن مودتهم للشيخ.
ومن جهة أخرى كان بعض ممثلي الإدارة الاستعمارية يرون في هذه التظاهرات الروحية وسيلة للمراوغة الغاية منها إيقاظ الجماهير وتجنيدها لصالح الحركة الوطنية.
ومن ذلك ما جاء على لسان الجنرال بج اندري من أكاديمية العلوم الاستعمارية متأثرا بالجو السائد في تلك الفترة فوصف الشيخ سيدي عدة بأنه شخصية مشكوك فيها ويقول "يبدو أن روح الطريقة العلاوية قد تغيرت بعد موت مؤسسها فقد خلفه فيها عدة بن تونس المنزل منزلة الابن والذي لم يبق له من النفوذ إلا مجرد اعتقادات دون قدرته على مواصلة العمل الروحي الذي كان لشيخه بن عليوة وعلى ما يبدو تقترب فكرته من فكرة جمعية العلماء

المسلمين حركة إصلاحية دينية ظهرت في الجزائر وفي معظم البلاد الإسلامية مع بداية القرن العشرين من تأسيس المدارس و إصدار الجرائد باللغة العربية و التأثير على الجماهير المسلمة من اجل إيقاظها و بث الروح الوطنية فيها و الجنوح إلى الشدة إذا لزم الأمر".

أبلغ من هذا صدور تقرير مجهول عن مصالح المخابرات الاستعمارية يصف الشيخ بأنه شخصية خطيرة يقول التقرير: "بالرغم من وسائله الضعيفة وقلة تأثيره فإنه يتوفر على نفسية ماكرة ومغرورة ومخادعة فهو شخص يريد أن يلعب دورا ما باستطاعته أن يضر كثيرا طبعا ليس بين طبقة المثقفين لكون معرفته الأدبية ضئيلة ولكن بين لفيف الجماهير البسيطة و الساذجة والأمية, بحيث يمكن أن يؤثر فيها ليوقظها ويحرضها بإرشاداته وبواسطة المراكز التي أنشأها والتي سينشئها متى وجد الوسط الملائم ذلك أن روح الشيخ عدة بن تونس وبغير جدال روح وطنية".

وفي نفس السجل معلومة أخرى عن مركز الإعلام والدراسات للحكومة العامة بالجزائر مؤرخة في 05 جانفي 1948 تنص "أنه في شهر مارس 1937 بعث رئيس دائرة مستغانم إلى حاكم عمالة وهران ترجمة لقصيدة ألفها الشيخ عدة بن تونس وكتب في التقرير المرفق ما نصه "إن هذه القصيدة تنحو نفس المنحى الذي أبداه عبد الحميد بن باديس في بدايته كضرورة تعليم المسلمين وإتباع الدين بصفة صارمة وحثهم على الاتحاد ثم أضاف رئيس العمالة بالنيابة وهو يتحدث عن الشيخ سيدي عدة يجب أن تراقب تحركاته عن قرب حتى لا يؤثر في الأهالي".
وعلى النقيض من ذلك فإن العقيد شوان رئيس مصالح اتصالات شمال إفريقيا لدى الحكومة العامة بالجزائر, لا يشارك رئيس العمالة هذا الرأي إذ كتب في تقرير له ما نصه: "إن المسيرين العلاويين لم ينخرطوا في أي حزب سياسي, ولم يشاركوا في أي انتخابات, بل لم يشاركوا حتى في الملتقيات الطرقية سواء قبل أو بعد الحرب. كما لم ينضموا إلى جمعية مشايخ زوايا الجزائر,

و لا إلى زعماء زوايا إفريقيا التي كان يرأسها الشيخ الكتاني من فاس, ولا إلى رؤساء زوايا المغرب الشرقي التي تأسست سنة 1953 برئاسة الشيخ لعرج القنادسي ذلك الذي قاد حملة ضد حزب الاستقلال كما لم يطلب المسيرون العلاويون أي امتيازات أو علاوات أو رواتب, ولم يشارك أي منهم في الحملات التي كانت تنظم ضد جلالة الملك محمد الخامس من طرف الجلاوي والشيخ الكتاني, ولم يؤكد أي واحد منهم حضوره في المؤتمر الطرقي الذي انعقد بفاس سنة 1953. إذن يتعلق الأمر بطريقة غير رجعية يحركها وازع ديني صادق, بعيدة عن أمور هذا العالم الدنيئة, وبعيدة عن كل إثارة أو اضطراب, متميزة بذلك عن كثير من الطرق بل ولا تقيم معها في الغالب أي علاقة".
وبالعكس من ذلك فإن الأسبان الذين كانوا يحتلون شمال المغرب أين كانت الطريقة العلاوية واسعة الانتشار يرون أن الشيخ الحاج عدة عميلا للدعاية الفرنسية ضد المصالح الفرانكية ففي تعليمة صادرة عن القنصلية الفرنسية بمليلية موجهة بتاريخ 18 أوت 1945 إلى السفارة الفرنسية بالرباط تنص على ما يلي: "يشرفني أن أعلم معاليكم بأن السلطات الإسبانية للحماية تبدو قلقة من نشاط وتقدم الحركة العلاوية التي ترى فيها أداة للدعاية الفرنسية".
وبالفعل فإن تقريرا مؤرخا بالفاتح من هذا الشهر يوضح فيه ممثل الأهالي للجنرال فاريلا من أن الاجتماعات المنعقدة في 28 - 29 جويلية المنصرم بسيدي طلحة من طرف الطريقة العلاوية كانت اجتماعات ¨ذات أهمية ركزت على الأتباع من أهل الناحية وقد تلقى إثرها رؤساءهم إنضمامات جديدة. ويشير الممثل بعد ذلك: "أن مقر هذه الجمعية بمستغانم وأن أصلها فرنسي وما هي إلا سلاح سياسي توجهه فرنسا ضد الحماية الإسبانية".

وحسب نفس التقرير دائما فإن شخصية مسلمة شبهت "توسع الطريقة العلاوية بالمنطقة الإسبانية بتوسع الشيوعية في العالم" مما حدا بالسلطات الإسبانية منع الشيخ من دخول المنطقة التي كانت تحتلها بشمال المغرب لدى سفره بعد الحرب العالمية الثانية لزيارة اتباعه هناك.

في إنجلترا كانت الجالية اليمنية المنطوية تحت لواء الطريقة العلاوية جالية مشبوها فيها بالنسبة للسلطات الفرنسية التي كانت ترى أنها تخدم مصالح أجنبية لاسيما المصالح الإنجليزية والمصرية. وقد استند صالح خليفة على تقرير اتصالات شمال إفريقية ينص على أنه حوالي 1946 اتصل ثلاثة عسكريين إنجليز بالشيخ الحاج عدة واعدين إياه بمساعدة مالية مهمة إذا أخذ بعين الاعتبار مصالح السياسة الإنكليزية إلّا أن الشيخ رفض هذا العرض.
لدى وفاة الشيخ العلاوي كان للطريقة العلاوية نفوذ واسع باليمن وإنجلترا تحت تصرف مقدم كان يعيش بكرديف انشق بعد ذلك عن الطريقة. إنه عبد الله الحكيمي الذي كان مواليا للإنجليز والمشتبه فيه من أن له علاقة بمقتل الإمام يحي ملك اليمن ولما لم تعد للشيخ سيدي عدة ثقة بهذا المنشق عين مكانه الحاج حسن إسماعيل ومحمد علي عوضي المرادي. وفي مقال صدر بالجريدة الإسلامية في شهر أوت 1952 ذكر هذه الجالية المسلمة قائلا: "يوجد بإنجلترا جالية هامة من مسلمي اليمن ينتمون إلى الطريقة العلاوية التي أسسها الشيخ بن عليوة بالجزائر وقد أقامت هذه الجمعية مؤخرا احتفالها السنوي أيام 9 - 10 - 11 ماي بكرديف تحت إشراف رئيس إدارتها الشيخ حسن إسماعيل وبمساعدة السيد ناصر يحي المقتصد والسيد علي باشا مستشار الجمعية. وخلال الاحتفال الذي دام ثلاثة أيام كان هؤلاء الأتباع يطوفون شوارع الحي المسلم بالذكر والتهليل, الشيء الذي ترك أثرا بليغا في المدينة. وكان في هذا الاحتفال حضورا بليغا لمسلمي المناطق المجاورة والبعيدة قدموا عبر حافلات مليئة من بيرمينغام ومن مدن مهمة أخرى وكان ضمن المدعويين مستشارو المجلس الإسلامي من بينهم السيد إسماعيل من يورك صاحب المجلة الإسلامية والنائب بالمجلس والعقيد عبد الله بانس هويت وهو مسلم إنجليزي معروف جدا".

إن حجم هذه الجالية وحركتها كانت من الأهمية بمكان ويتجلى ذلك في الطلب الذي قدمته إلى جامع الأزهر بمصر بغية إرسال بعثة دينية لتقوم بوظيفة التعليم وقد نشرت جريدة المصري فحوى هذا الطلب في إحدى أعدادها

الصادر في 11 مارس 1952: "إن مشيخة الأزهر تدرس ببالغ الاهتمام الطلب الوارد عليها من الجالية المسلمة بكرديف لإرسال أستاذ في الشريعة من أجل نشر مبادئ اللغة العربية وثقافتها إذ تضم هذه المنطقة الإنكليزية جالية مسلمة هامة جدا".

أثار هذا الطلب قلقا لدى الحاكم العام بالجزائر أ. نايجلن بحيث طلب من سفير فرنسا بالقاهرة ج. أرفنقاس أن يطلعه على حيثيات هذا الموضوع فأجابه برسالة مؤرخة في 28 مايو 1949 هذا بعض ما فيها: "لقد طلبتم منا في رسالة لكم تحت رقم 853 مؤرخة في 13 أبريل معلومات عن العلاويين, حسب معلوماتي فإن الطريقة العلاوية ليس لها أي عضو هنا باستثناء الشيخ الهلالي بن محمد عميمور من العلماء الجزائريين وهو معروف جيدا لدى حكومتكم العامة". إذن إرسال أستاذ مصري إلى كارديف لا يعبر بتاتا عن إرادة مصر في بسط نفوذها على هذه الجالية الدينية, علما أن هذه الطرق ليس لها نفس التأثير في مصر كما هو الحال في شمال إفريقيا, زيادة أن هذه التدابير لا تعكس إلا رغبة مصر في امتداد ثقافتها عن طريق إرسال بعثات علمية كما فعلت ذلك منذ حوالي سنة إلى مختلف الدول الإسلامية".

هذه بعض الأحداث التاريخية التي كانت تصنع الجو المشوب بالشبهات والضغوطات التي أحاطت باستمرار حول الشيخ الحاج عدة. غير أن تلك الضغوطات والمرض السكري الذي أصابه طيلة حياته مهددا صحة هذا الأستاذ الروحي لم ينالا من همته ولم يؤثرا في صفائه ولا في عزيمته القوية لنشر رسالة التسامح والأخوة والمحبة التي كان يحملها في باطنه.

والدليل على ذلك مما ذكرته جريدة المنار التونسية في عددها الصادر بتاريخ 26 ديسمبر 1952 بقلم كاتبها محمد قداس مندوب المؤتمر الروحي العالمي إذ كتب يقول: "عرفت الطريقة العلاوية منذ 1934 انطلاقة جديدة بفضل تفاني الشيخ سيدي عدة بن تونس وبذله من الجهد بغير حساب من أجل تعليم

مريديه وتوجيههم لما فيه صلاحهم دينا ودنيا وحثهم على التعلق بالأخوة الإنسانية والسمو الروحي وبإجماع كل الذين عرفوه هنا بالجزائر سواء مريديه أو غيرهم يعترفون بفضائل هذا الشيخ ونبله. كما تجدر الإشارة إلى أنه يتمتع بمكانة خاصة ومودة حارة وتقدير لا مثيل له في الأوساط المسيحية بحيث يستقبل زواره من غير المسلمين بلطف وكرم دون المساس بقناعتهم مذكرا في كل لقاء بهم أن جوهر الدين هو أحسن قاعدة للأخوة المتينة والدائمة. على أي فإن شهرة الشيخ عدة بن تونس قد جاوزت حدود إفريقيا والمشرق العربي مما جعل كثيرا من الشخصيات عبر أوروبا و أمريكا تعتنق الإسلام بفضل اتصالهم به". و يعلق الصحافي قائلا: "ما هي وجهة نظركم في هذا ؟" فيجيبه الشيخ قائلا: " فكرتنا هي أن تعود الإنسانية قاطبة إلى الأخوة والسلام عن طريق ثقافة مكارم الأخلاق وكذلك بواسطة حمل التعاليم الدينية بهمة عالية إلى أن نبلغ حقيقة الأخوة الكامنة في قلوبنا ككمون الزبد في اللبن ولو أن الإنسانية استعادت ولو قليلا تلك الأخوة لشملها سلام الله ولزال كل اختلاف تاركا مكانه المحبة والأخوة وتزول حينئذ كل الأحقاد والنزعات ويعيشون في سعادة لا يكدر أخوتهم أي شيء ؛ هذه فكرتنا".

في أطروحة دكتوراه دولة تقدم بها المؤرخ صالح خليفة كما تقدم سابقا تحت عنوان "العلاويون و المدنيون" بين فيها جملة من مشاكل الميراث الذي تلقاه الشيخ سيدي عدة بعد وفاة الشيخ العلاوي خصوصا من بعض كبار المقاديم, "غير أن مؤتمرا عاما انعقد يوما بعد جنازة الشيخ العلاوي جمع جل اتباع الطريقة العلاوية بايعوا فيه بالإجماع الشيخ عدة بن تونس خليفة جديدا للطريقة العلاوية. هؤلاء المريدون بوصفهم المدافعين الشرعيين أسسوا اختيارهم هذا على ما كان للشيخ سيدي عدة من علاقة وطيدة بالشيخ العلاوي وبما عرف عنه بخدمته المتفانية لشيخه وبرهنته على صدق عواطفه فضلا عن جعله خليفة له في حياته بمنحه حق التصرف المطلق بكامل ممتلكاته من منقول وعقار خصوصا وهو الشيخ المدقق و القائد الحكيم, لذا عين الشيخ سيدي عدة بوصفه المريد الأكثر نزاهة وكفاءة وبما له من الخصال الحميدة

والسمو الروحي والترقي في مراتب المعرفة التي أهلته ليكون القائم على شؤون ومصير الطريقة العلاوية بعد انتقال شيخه".
وقد كان لبعض الأقطار الخارجية يدا في حركة الانشقاق هذه, ففي تقرير سري حول منطقة الريف بالمغرب التي كانت تحت الحماية الإسبانية مؤرخ في مايو 1950 يقول مشيرا إلى الطريقة العلاوية: "ولذا حاولت السلطات خلق حركة انشقاق داخل الطريقة العلاوية يتزعمها مقدمون منشقون من أهل المنطقة, ولكن بدون جدوى". ومن هنا ندرك لماذا منعت السلطات الإسبانية دخول الشيخ إلى المناطق الخاضعة لسلطتها بالمغرب لسبب تافه. لقد بينت أطروحة المؤرخ صالح خليفة "من أن الطريقة العلاوية في عهد الشيخ سيدي عدة كادت تقضي عليها مشاكل لا حصر لها فالشيخ عدة لم يكن ليواجه حركة الانشقاق الواسعة التي ظهرت بعد سنة 1934 فحسب, بل كان عليه أن يواجه كذلك الورثة من أولى عصبة الشيخ العلاوي الذين ابدوا احتجاجهم واستنكارهم على صيغة الميراث الواردة في الوصية, التي حرمتهم من حق الاستفادة منه وجعله ميراثا لا يسخر للاستغلال الذاتي, بل وقف على أهل النسبة من أهل الطريقة العلاوية؛ وقد حاول الورثة إلغاء هذا الإجراء عن طريق القضاء ولكن باءت كل محاولاتهم بالفشل".
رغم كل تلك الصعاب والمحن فقد راح شيخنا يعمل على تنمية ذلك الميراث الذي ورثه عن شيخه فبدأ بإعادة إصدار جريدة "لسان الدين" سنة 1937 الذي بدأ أول الأمر بمدينة الجزائر ثم بمستغانم فكان بهذه الوسيلة ينشر تعاليم التصوف ومبادئه ويدافع عنه ردا لهجمات الإصلاحيين. طبع أول كتاب له الروضة السنية والذي دون فيه سيرة شيخه أحمد العلاوي وهو نفس الكتاب الذي نقل منه مارتن لينجر أغلب معلوماته في كتابه المشهور والذي ترجم إلى عدة لغات وفي سنة 1939 أسس جمعية التذكير العلاوية والتي بواسطتها فتح عدة مدارس للغة العربية والتعليم الديني. ويعود صالح خليفة في أطروحته ليذكر: "بالمصاعب التي واجهت الشيخ سيدي عدة حينما طلب من السلطات الإذن له بإيواء المنحرفين القصر المزج بهم في السجون من أجل تكوينهم وتعليمهم وقد نشر "لسان الدين" عدة مقالات ضافية من كتاب

متطوعين طالبوا السلطات الفرنسية بإسناد هذه المهمة الحساسة إلى الشيخ سيدي عدة فتمخض عن ذلك قبول السلطات هذا الطلب سنة 1938 وتوافد على الزاوية دفعات متتالية من عشرات المنحرفين القصر, فكانوا يوجهون حسب اختياراتهم إلى أعمال البستنة أو المطبعة أو نحو ورشات الميكانيكا العامة أو صناعة المخبزة, فكان العمل بالنهار والتعليم بالليل قصد إدماجهم وتأهيلهم اجتماعيا".

في سنة 1946 اصدر مجلة ثانية مزدوجة اللغة تصدر رأس كل شهر؛ هي مجلة المرشد التي كانت تطبع بالمطبعة العلاوية بمستغانم والتي استمرت حتى جانفي 1952. بجهاده هذا كافح الشيخ سيدي عدة على جبهات متعددة وفاء لتعاليم شيخه وتوضيحا للجدل القائم برفع اللبس وإنهاء لكل خلط بين المرابطية والظلامية والتصوف, ذلك الصراع الذي كانت تغذيه بعض العناصر الإصلاحية لأغراض حزبية. والجدير بالذكر أن جمعية العلماء الجزائريين التي تأسست في مايو 1931 وكان الشيخ العلاوي عضوا مؤسسا لها "جمعت بين عدة توجهات مختلفة تمثلها شخصيات معروفة إما بثقافتها الدينية أو بمكانتها الاجتماعية أو بأنشطتها في حقل الصحافة والتعليم". غير أن هذه الجمعية أخذت تتوجه توجها مغايرا إذ أصبحت آلة بيد الإصلاحيين للقضاء على التيار الصوفي في الجزائر.
كما أوضحت ذلك سوسي انديزيان بمساهمتها في الكتاب المسمى "طرق الله":
"لم تحقق المحاولات المتتالية للإصلاحيين من أجل القضاء على الحركة الإخوانية الطرق الصوفية أي نجاح يذكر بحيث لم تقدر على ذلك حتى الإدارة الاستعمارية التي لجأت إلى غلق بعض الزوايا ومنع اتباعها من حضور المواسم ولذا فإن خلاصة مراد في عمله ذو الأهمية البالغة حول الحركة الإصلاحية والتي مفادها أن الطرقية قد استأصلت جدريا من طرف الإصلاح لم تكن صحيحة إلى حد بعيد. ففي أطروحة منوغرافية محلية أوضحت الاختلاف الكبير للأوضاع السائدة التي خلقتها محاولات السعي للتموقع والهيمنة على الجزائر من قبل الإصلاحيين خلال فترة الثلاثينات, ومع ذلك

فإن الطرقية وحركة الإصلاح لم يكنا قطبين متناقضين على الدوام إذ أن بعض رؤساء الزوايا وبسرعة فائقة تقبلوا فكرة الإصلاح, بل من المشايخ من مارس الإصلاح حتى على مستوى زواياهم ومناطق نفوذهم قبل ذلك بكثير مما سهل عليهم الانخراط في جمعية العلماء الجزائريين بمجرد ظهورها في نفس الفترة نشاهد ميلاد طريقة جديدة هي الطريقة العلاوية 1920 التي دخلت في صراع ديني مع العلماء. وخطة الإصلاحيين كفاح ثقافي ديني وسياسي ضد الإدارة الاستعمارية وأصحاب النفوذ المحليون من رجال الدين والسياسة تحت شعار براق العروبة والإسلام.

إن سبب تقهقر الطرقية في الجزائر بعد الاستقلال غير مرتبط بنجاح التيار الإصلاحي, بل يعود سببه أكثر إلى انهدام بنية المجتمع الجزائري وإعادة بناء هيكلة الحكم فيه من جديد, فتمخض عن ذلك نظاما تبنى إسلاما دينا للدولة حدد مفهومه من قبل الإصلاحيين, يقصي المظاهر التصوفية من الحقل الديني في الجزائر المستقلة, بيد أن التيار الصوفي وان اهتز مع عصرنة الهياكل الاجتماعية إلا أنه تماشى قليلا مع مستجدات الأحداث المحلية وبرز بروزا نسبيا حسب مكانته في الخريطة الوطنية الجديدة, حيث واصلت بعض الطرق تحافظ على وجودها بأشكال ووظائف أخرى في مجال التعليم الديني كما هو شأن الطريقة الرحمانية و العلاوية اللتين كانتا فضاءات دينية اجتماعية للكثير من الوافدين خصوصا النساء اللواتي كن يتجنبن اعتياد المساجد لاعتبارها أماكن للذكور فقط حسب اعتقادهن".

وإنه لمن المهم العودة في هذا المجال إلى حقيقة هذا الموضوع الذي ظل محتقرا ومهانا, ولا يزال بالفعل هدفا لعديد من التلاعبات فنذكر هنا دراسة للسيد جاك كاري يقول فيها: "منذ القرن الثاني عشر رأينا بروز عدة طرق دينية بشمال إفريقيا والتي من بينها الزوايا الصوفية التي أعطت للتصوف إطارا اجتماعيا لم تعطه المرابطية من قبل, تجاوب مع حاجيات المجتمع وهيكلة وتنظيم الشعوب اللازمين, فكانت الطرق مدعوة لأن تلعب دورا كبيرا لإسلامية المغرب".

ويقول جاك كاري بخصوص المرابطية: "في الأصل إنها مؤسسة لنشر الإسلام والدفاع عنه ضد أعدائه, و حث المؤمنين على الوفاء لدينهم, فهي وثيقة الصلة بالجهاد, والمرابطية نفسها كلمة مشتقة من سلالة بربرية حكمت جزءا كبيرا من المغرب الأقصى والجزائر ما بين 1055 - 1146 ميلادية. مذهب المرابطين مالكي متشدد وهم رجال دين وجهاد اتخذوا من الرباط مساكن لهم على شكل أديرة محصنة, و إذا رجعنا إلى أصل الكلمة نجد أنها اشتقت من الفعل العربي ربط والذي يعني عقد و أوثق و منه الرباط الذي كانت تجمع فيه الخيول معقولة ورابط بمد الراء بمعنى حرس الحدود, إذن فالرباطات كانت مراكز يقظة مهمتها التنبيه على أي خطر في دار الإسلام وهي المناطق التي كانت تخضع للتشريع الإسلامي. تعد هذه الرباطات بعشرات الآلاف وتنقسم حياة المرابطين داخل هذه الحصون إلى تدريبات عسكرية وحراسة تناوبية وأداء الشعائر والعبادات. خارج هذا الدور الذي لعبه هؤلاء الجنود النساك نجد نظاما شبيها إلى حد ما بنظام الفرسان الرهبان في الديانة المسيحية فالمرابطون عبارة عن رجال محترمين وسطاء بين الله والمريدين, و هو نفس الدور الذي يقومون به إلى الآن, والمرابط رجل رباني مبارك متعلق بالله, ولهذا نجد مريديه يوقرونه ويقبلون ولو طرفا من برنوسه و أحيانا يقبلون حتى آثار خطواته, و هو بالنسبة لهم صانع كرامات وصاحب عبادة و ورع, فتراهم يوقرونه في حياته وبعد مماته و ضريح المتوفى فيهم تعلوه قبة و هو عبارة عن مزار مقدس".

واستكمالا للمقالة التحليلية التي قدمها جاك كاري فهناك شهادة العقيد دوماس الذي كان ضابطا بالجيش أثناء الغزو الفرنسي للجزائر إذ يصف المرابطين و تأثيرهم على المجتمع التقليدي فيقول "لاحظنا أن الأمين و هو اسم قائد القرية, ليس له إلا دور رجل الأمن المحدود الصلاحية, ضعيف التأثير إذ لم يكن ليفرض النظام و السلم العموميين داخل البلد؛ و على أعوان الأمن أن لا يتجاوزوا حدود صلاحياتهم المتمثلة في صغريات المهام, لتبقى القضايا الكبرى بيد سلطة أوسع و أقوى و أعلى من سلطتهم إنها سلطة الشيوخ

المرابطين المتعلقين بالله , فإذا ما وقع نزاع بين قبيلتين فالشيوخ وحدهم لهم الحق في التدخل سواء لفك النزاع أو لعقد صلح أو هدنة بين الجانبين على الأقل لفترة ما وفي حالة اختيار رؤساء القرية فالمرابطون هم من يقدمون لأهل القرية الأصلح و الأجدر وبعد ذلك يقرؤون الفاتحة تبركا. و في حالة استمرار قبيلة ضعيفة معرضة للإبادة في مواجهة قبيلة قوية غالبة, فإن المرابطين يفرضون على المنتصرة إعلان الاستسلام. إن موقفا كهذا يجلي بوضوح عظمة هذه القلوب والعقول التي استطاعت أن تحفظ لكل طرف من المتخاصمين حقه من الكرامة بوسيلة تحفظ كرامة العزيز إذا ما ضعف وبقاءه إذ ما هدد بالانعدام, تلك هي جبلة هذا الشعب.

والسلطة كذلك للمرابطين في الأسواق, بحيث لا سلطة للأمناء أمام سلطتهم, فأسواقهم أسواق حرة معفية من الضرائب ومن جباية الأسعار والرسوم, و ليس لأحد أي كان أن يخرق سياج هذا النظام الحر, بعكس أسواق العرب التي كان فيها صاحب الجنحة أو المقترف جريمة يلقى عليه القبض فورا, الشيء الذي لا يسمح به في أسواق المرابطين مهما كان الأمر".
من الإنصاف الاعتراف من أن فكرة المرابطين قد أبعدت وغاب معناها الحقيقي من حياة الناس؛ و هذا راجع لا محالة إلى انحطاط المجتمع الجزائري في مجمله, إذ لا تزال آثار هذا الانحطاط قائمة إلى اليوم الاجتثاث من الأصول, الجهل, الفقر, غياب القيم الأخلاقية كلها مظاهر أبعدت الإنسان الجزائري عن أصالته.

إن ثقافة السلف الصالح كانت هي القاعدة التي قامت عليها البنية الاجتماعية وحافظت على هوية هذا الشعب وبقائه أمة متماسكة, ثقافة قلصت من مظاهر العداوة والتصادم وجمعت الشعب و نخبه في إطار منسجم ومتناسق, غير أن هذه القيم همشت وغيبت تدريجيا. هذه القوة الأخلاقية المتمثلة في هؤلاء الرجال الأتقياء وفي التعاليم التي لقنوها بسخاء داخل زواياهم أخذت تستأصل شيئا فشيئا, تارة بواسطة الاستعمار وتارة أخرى بتأثير الإصلاحيين؛ و فيما

بعد بسبب التوجهات السياسية والثقافية التي تبناها النظام الجزائري, هذا النظام الذي اختار من أول وهلة للاستقلال الإسلام المجرد نهائيا من بعده الروحي, الذي لا يتجاوز طقوس العبادات البسيطة.
لقد عارض الشيخ سيدي عدة بن تونس بشدة هذا الفصل بين الإسلام وتعاليمه الروحية إذ عمل بكل ما في وسعه ليحافظ على ميراث المشرق والمغرب الروحي والثقافي. في دراسة السيد جاك كاري التي تقدمت يصف فيها الروح التي تنشطت فيه الطريقة العلاوية فيقول: "إن الطريقة العلاوية التي تأسست سنة 1920 على يد الشيخ بن عليوة حازت قصب السبق في الحفاظ على أصالة المبادئ القديمة للتصوف, و الانفتاح على مسايرة العصرنة و التحرر, و اللذين كنا نعتقد أنهما حجر على الإصلاحيين فقط".
إن صدى رسالة الشيخ سيدي عدة تجاوز حدود المجتمع الإسلامي بحيث كان يخاطب الإنسانية جمعاء رغم الانقسامات والصراعات التي كانت تعرفها, "و استطاع أن يجسد بعفوية و تلقائية التفاهم السلمي الحي في مجتمع دولي كان غارقا طيلة ربع قرن وسط انفجارين هددا بحق الكائن البشري, ذلك الخطر الذي كان على وعي باحتمال وقوعه, فعمل - رغم المرض الذي كان يهدد صحته - على تقريب الناس بعضهم ببعض. هذا المختار الذي كان عبدا لله جعل من نفسه خادما للإنسانية, بحيث كان يحمل في باطنه مرآة صقيلة وجهها نحو الخلود, أظهر بسخاء لمريديه و زواره ولكل طالب كيف يجلوا عن أنفسهم غبار الأوهام, وكيف يوجهوا مرايا بواطنهم العاكسة من الزاوية المقابلة لمصدر النور. "هذا الشيخ ذو الصفاء البلوري المتعدد الأوجه كشف لنا من إحداها حبه الخالص للكثير من المحرومين".
نعم أصدقائي أحب السود رغم أنني أبيض, قد كنت عزمت بعد وفاة شيخي الروحي الولي الأكبر الشيخ العلاوي ترك عائلتي وبلدي للذهاب إلى إفريقيا حتى أعيش إلى جانب السود, وكان قلبي يحدثني حينها أن هناك قلوبا مخلصة صافية, أجل من أعماق قلبي أحب السود, لا لكونهم سودا ولكن لأنهم عانوا كثيرا من رق العبودية, ولأنني عبد الله أحب العبيد, ولو أن الناس كانوا عقلاء

لرضوا بطيب قلب أن يكونوا عبيدا, و أقول لن ندرك مقام السيادة في هذه الحياة الدنيا ما لم نمر بمقام العبودية".
إن هذا الاستعداد الروحي والانفتاح الإنساني الذين برهن عليهما الشيخ سيدي عدة كانا محل إعجاب وتعاطف واستقطاب لكثير من الأوروبيين نحوه, و زاد ارتباطهم به أكثر بعد تأسيسه جمعية أحباب الإسلام سنة 1948؛ إذ كانت هذه الجمعية في تلك الفترة الوحيدة العاملة على جمع الكلمة في إطار الحوار واللقاءات بين الأديان ومختلف التيارات الفكرية. كما أن المحاضرات التي كانت تنظم في هذا الإطار بنادي السياحة بوهران و في قاعة النزل الكبير بمستغانم جلبت إليها جمهورا عريضا كان يتوافد باستمرار للاستماع إلى تعاليم الشيخ. ولتسليط الضوء على أهمية تلك المحاضرات نذكر هنا شهادة المقدم سيدي عبد القادر بالباي رحمه الله فيقول: "أرسلني الشيخ مرة إلى النزل الكبير لحجز القاعة الخاصة بالمحاضرات, ولدى وصولي طلبت مقابلة صاحب النزل -وكان يهوديا - فلما التقيت به وعلم بغايتي وأنني أريد القاعة للكراء تحاشى أن يرفض طلبي مباشرة فضاعف الثمن حتى يصدني ويثبط عزمي, فعدت إلى الشيخ قلقا أخبره بما كان, فأمرني بالعودة إليه فورا لحجز القاعة بالقيمة التي حددها صاحب النزل, ولما عدت إليه راضيا بالثمن تفاجأ لذلك. لم يكن ذلك اليهودي على خبرة بمكانة الشيخ و اكتشف ذلك لدى حضوره المحاضرة, وفي نهاية اللقاء تقدم نحو الشيخ باكيا وهو يقول: "أرجو أن تقبل اعتذاري وتسامحني على ما بدر مني وهذه نقودك أعيدها إليك لأنك جعلتني اليوم اكتشف سيدنا موسى من جديد".
سردنا هذه الحادثة كمثال على لطافة وعظمة تعاليم الشيخ سيدي عدة الذي كان همه تأليف القلوب وإدخال السرور والبهجة إليها, حتى صار كثير من الأوروبيين المثقفين من كتاب و أطباء وصحفيين من جملة أتباعه وآخرون كثيرون تعلقوا به وربطوا معه صداقات رغم بقائهم على قناعتهم ومعتقداتهم.
لقد شاهدنا خلال المسيرة التي قطعتها جمعية أحباب الإسلام ظهور صحوة روحية حقيقية بفعل تلك المحبة الشاملة التي كان الشيخ يزرعها بلا انقطاع في قلوب من يقصدونه ذكورا وإناثا. و على النقيض من ذلك فإن فئة أخرى

رأت في هذا الانفتاح تيارا جارفا مدمرا نعتته بالماسونية الإسلامية المتطرفة التي استطاعت وبجراءة الجمع بين المؤمنين والملحدين, فكانت ترى في ذلك انزلاقا خطيرا حسب اعتقادها.

بالفعل ففي الأسبوعية الإسبانية " SIETE FECHAS
كتبت في عددها الصادر في 11 أبريل 1950 تقول: "آلاف المتطرفين المسلمين من عملاء السياسة الفرنسية الاستعمارية يتعاطون في زواياهم رقصة غريبة يصلون معها إلى درجة الصرع الهمجي, يتميزون بإطلاق لحاهم و وضع الطرابيش الحمراء الملفوفة بالعمائم البيضاء على رؤوسهم كرمز على تأكيد انتمائهم للطريقة العلاوية؛ يقودهم رجل اسمه رشيد محمد الهادي المدعو كذلك عدة بن تونس ضابط سابق في السبايس وهو رئيس هذه الطائفة وكذا رئيس جمعية أحباب الإسلام". وتضيف الجريدة "انزلاق خطير يتمثل في تسلل عقيدة قرآنية إلى جمعية أحباب الإسلام تسمح بالتعايش بين المسلم و غير المسلم إن نشاط هذه الطائفة بفروعها الأوروبية تتشابه إلى حد كبير بالماسونية".
وحتى ندرك الغاية التي كان يرمي إليها الشيخ سيدي عدة نفتح هنا قوسا لنتكلم قليلا عن رجل ذي شهرة واسعة هو السيد فريجوف شيون المعروف بعيسى نور الدين. عاد هذا الرجل للمرة الثانية إلى مستغانم في مارس 1935 ليدخل الخلوة على يد الشيخ, ولدى فراغه منها أجازه وعينه مقدما للطريقة العلاوية بأوروبا, وهذا نص الإجازة:

"لقد آذنا لأخينا في الله نشر التعاليم الإسلامية بين قومه من الأوروبيين وليبلغ لهم كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله التي نص عليها الأمر الديني, لقوله تعالى "ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين" وإني لأنصحه إلا بما أنصح به نفسي بأن يتقي الله في السر والعلانية وأن يتجنب شهوات النفس وإتباع الهوى, وأوصيه بالتوكل على الله تعالى في جميع الأحوال, ومن يتوكل على الله فهو حسبه, إن الله بالغ أمره,

قد جعل الله لكل شيء قدرا" حرر و وقع بيد عبد ربه, الطائع أمره, والراجي عفوه بفضل كرمه وجوده".
إن الغاية من فتحنا هذا القوس التذكير بالأحداث فقط لا فتح الجدل القائم حول خلفيات انفصال شيون عن الطريقة العلاوية وتأسيسه طريقة خاصة به.
إن العظمة التي تميزت بها فكرة الشيخ سيدي عدة في مراعاة كرامة الإنسان والتسامح الفكري كانت فكرة جليلة أشار لها جون جبرائيل بروسي قائلا: "اسألوا الشيخ, يجيبكم أنه لا يريد منكم أن تقدسوه , إنما يريد فقط ليدلكم على طريقه, كان يقول "هذه طريقي وأتقبل أن يختار الآخرون طريقهم". أما جون بياس فقد نقل إلينا هو الآخر كلمة الشيخ: "قد بينت لكم طريقي وأبديت لكم سري, فإذا وجدتم من هو أحق مني فأرجو أن لا تذهبوا إليه وحدكم, بل نبهوني لأذهب سويا معكم يدا بيد".
هذا هو عدة بن تونس الرجل الجليل و المتواضع في نفس الوقت, الذي جعل طريقه طريق المحبة, كان يتمنى حتى للذين أهانوه أو افتروا عليه أن يزيد الله في أعمارهم. سأله أحد أتباعه متعجبا كيف تدعوا لهم بطول العمر وهم يبغضونك فأجاب: "حتى تعطى لهم فرصة بزيادة أعمارهم ليتوبوا".
في ماي 1952 بلغ به المرض مبلغه و رغم ذلك قام بسياحة إلى شرق الجزائر ووسطها ولدى عودته بدا عليه آثار التعب واضحا, و لما اشتد به المرض طلب منه مريدوه أن يستريح قليلا و يعتني بنفسه, فأجابهم: "دعوا المرض يعمل عمله ودعوني أقوم بعملي". وفي يوم الجمعة الرابع من شهر جويلية سنة 1952 وقد بلغ من العمر أربعا وخمسين سنة فاضت تلك الروح الطاهرة راجعة إلى مولاها ومحبوبها راضية مرضية, إنها روح عاشت بين الناس في هذه الحياة الدنيا شهيدة بوفاء على قرب الله ورحمته.
كنت حينها أبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف, إلا أنني ما زلت أحتفظ في ذاكرتي بذكرى حية عن ملامحه التي ما فتئت تعاودني دون انقطاع, وكأني أراه بارزا من وراء سحاب بمحياه الوردي الواسع الابتسامة, و بلحية خاطها الشيب كنت أجذب إحدى شعراتها كلما حملني ليقبلني.

في يوم وفاته انتاب الزاوية جو من القلق والصخب, حيث عدد لا يحصى من النساء والرجال امتزج بكاؤهم بالسماع وتلاوة القرآن, فكان صداهم يملأ جنبات المحيط, كنت يومها مرعوبا لا أعي ما يحدث أهرول بين غرفة وأخرى أبحث عمن يهدئ من روعي و يؤانسني, وإذا بمربيتي تقطع علي ذلك الذهول بإفهامي أن ما يحدث صعب علي إدراكه و علمت بعدها أن نهاية هذا الرجل العظيم لم تكن نهاية لغايته ولا نهاية لرسالته.

بعد وفاته حمل المشعل إبنه الأكبر الشيخ محمد المهدي بعزم وحزم وشجاعة, واقترنت خلافته بدخول الجزائر معركة طويلة هي حرب التحرير الوطني, تلك الحرب التي أسفرت عن استقلال الجزائر أي عشر سنوات يوما بيوم بعد انتقال الشيخ سيدي عدة إلى الرفيق الأعلى. واصل الشيخ المهدي في تلك الظروف الصعبة تجسيد المثل العليا السامية التي حملها من قبله رجال أفذاذ همتهم الوحيدة المحافظة على ذلك النور ليبقى بين الناس.

واليوم وبعد خمسين عام من وفاة الشيخ سيدي عدة نحيي ذكراه بهذه المقتطفات من مراسلاته ومقالاته المدونة في مجلة المرشد و أحباب الإسلام, لتوضيح بجلاء فكره الذي يدعونا اليوم إلى التأمل, وهو نفس الغرض الذي دعانا لإقامة هذا الملتقى الدولي تخليدا لمآثره وأعماله و توضيحا لعالمية منهاجه وفكره. ذلك الفكر الذي لم يفقد إلى اليوم قدرته على مسايرة الأحداث المعاصرة, وحل المشاكل وتبديد الخلافات القائمة بين مختلف العقائد والثقافات؛ انه يسهم إلى غاية اليوم في إظهار ثقافة الأخوة الإنسانية, تلك الأخوة التي كانت أغلى شيء لديه والتي دعا دوما إلى وجوب المحافظة عليها ووجودها بين الناس ولذا قال:

ليس الشأن أن تراني ** إنما الشأن أن تعرفني

<u>المصدر</u>: "عدّة بن تونس وبعض معاصريه من الأتباع والمحبين" : رسالة الشيخ خالد عدلان بن تونس إلى ملتقى الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ عدة بن تونس المنعقد في تاريخ 23-24 شعبان 1423 الموافق لـ 30-31 أكتوبر 2002 بدار الثقافة لمدينة مستغانم.

الشيخ حسن الطرابلسي

الشاهد السادس من القسم الثالث في سرد جملة من شهادات أعيان الطريقة العلاوية وفقهائها في كتاب الشهائد والفتاوي. (3-06)



الشيخ سيدي الحاج حسن (أحسن) الطرابلسي منشأ، العنابي مسكنا، أحد الطلبة الزيتونيين, فقد شبّ على تعليم كتاب الله، وكان أبواه مؤمنين، أي أنّ أكرمه الله بحفظ القرآن الكريم، وتوجه لطلب العلم لحاضرة تونس الخضراء فنال مراده، وقد تطوع للتدريس بجامع الزيتونة المعمور منذ سنوات عديدة، وبالرغم من غزارة علمه فلم يقتصر على اكتساب العلم الظاهر، دون تحصيله من علم الباطن، المعبّر عنه بلسان الشرع الشريف بالإحسان والسبب الوحيد الذي اهتدى به الشيخ لصحبة الأستاذ العلاوي رضي الله عنه هو إطلاعه على كتاب المنح القدوسيّة عندما جاء من تونس إلى مستغانم، ولمّا اجتمع بمولانا الأستاذ طلب منه السلوك إلى ما سلكت إليه عباد الله العارفون به، فقال له الأستاذ: وهل تستطيع أن تطرح كلّ ما أنت عليه جانبا، وتكون عندنا كتلميذ ما زال يتعلّم في حروف الهجاء؟. فقال له: نعم. ثمّ انفرد في الخلّوة أياما حتى نفعه الله. وبعدها بأيام توجه مأذونا في الطريقة إلى مدينة عنابة فقام بنشر الطريق.

والشيخ الحاج أحسن الطرابلسي من الأعلام الذين مَنَّ الله عليهم بالاغتراف من مناهل الغوث الرّباني الشيخ أحمد العلوي المستغانمي قدّس الله روحه, وقد لازمه 12 سنة ينهل من علومه الوهبية والكسبية ما أهّله لفتح الزاوية المنسوبة إليه بمدينة عنابة رافعاً مشعل الطريقة العلوية بتفان وإخلاص. ولد الحاج أحسن الطرابلسي رضي الله عنه سنة 1880 ببلدة الرابطة التي

تبعد عن طرابلس عاصمة ليبيا بحوالي 100 كلم وإلى هذه العاصمة ينسب منشأ، مثلما ينسب إلى الطريقة العلوية الغراء مشرباً.

نشأ في أحضان أسرة طيبة الأعراق فأحاطته بما هو أهل له من فضل وإحسان بتوفيق من المولى عزّ وجلّ، فشبّ على حبّ القرآن العظيم والعلم وانتسب - منذ نعومة أظافره - إلى الطريقة الروحية السلامية ما جعله يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو دون العاشرة من عمره !

ثم قصد جامع الزيتونة بتونس حيث تتلمذ على أيدي مشايخ أجلاء متلقيا عنهم مختف العلوم كالفقه والتوحيد والقراءات والتفسير إلى جانب علوم اللغة العربية، فتحصل سنة 1911 على شهادة التطويع، واشتهر ذكره بتونس إلى درجة جعلت أعيانها يقترحون عليه تولي عدة مناصب منها منصب مفتي الدّيار التونسية، وقاضي القضاة، لكنه تنازل لهم بأدب عن تلك العروض.

وتوجه من تونس إلى مستغانم قاصدا الشيخ العلوي ليصبح فيما بعد من مقاديم الطريقة العلوية الذائعي الصيت أمثال سيدي المدني القصيبي بتونس، وسيدي الفيتوري في بنغازي، وسيدي البوديلمي وسيدي الهلالي، وسيدي المولود الحافظي، وسيدي العباس الجزايري وغيرهم كثيرون من أولئك الربانيين الذين حملوا لواء الطريقة العلوية وأخلصوا لله تعالى ولها إلى آخر رمق من حياتهم العامرة بجلائل الأعمال ومكارم الأخلاق والخصال.

ومعلوم أنه رضي الله عنه، طوال ما يزيد عن 50 سنة التي قضاها في الزاوية العلوية قدّ كوّن أجيالاً منهم من شاع اسمه بعلمه الوافر. تعرّض لمضايقات السلطات الاستعمارية واعتقالاتها، حيث نقل إلى معتقل بوسوي ومنه إلى مشرية حيث بقي فيه 3 سنوات.

انتقل الشيخ الحاج أحسن الطرابلسي إلى جوار مولاه جلّ جلاله في السادس والعشرين 26 أفريل عام 1974، حيث خرج محبّوه الكثيرون من سكان عنابة عن بكرة أبيهم لحضور جنازته المهيبة، ومن فرط محبتهم له، وعظيم تقديرهم وتوقيرهم وإجلالهم لشخصه الكريم، فقد أبوا إلاّ أن يكون بجثمانه الطاهر أول من يوارى في مقبرة زغوان العليا، تبركاً به بوصفه من أولياء الله العارفين ومن عباده الصالحين والمصلحين.

ما يتواتر بين فقراء عنابة: حسن الطرابلسي الذي قال عنه أستاذه ومربيه الشيخ العلاوي رضي الله عنه : الطريق ولدت لنا رجلا واحدا وهو سيدي حسن الطرابلسي.
وقال سيدي حسن الطرابلسي قبل وفاته : هناك شيخ واحد من بعدي شدّو الرحال إليه وهو الشيخ يحي محمد أرزقي وهو الذي قال بدوره على تلميذه سيدي الشيخ يحي كلاما كثيرا يشير فيه بأنه الخليفة بعده ومن بينها : إذهبو عند سيدي يحي من بعدي..... من أراد العسل فليذهب إلى سيدي يحي.

قصيدة لسيدي الحاج حسن الطرابلسي رضي الله عنه :

تلألأ نور الوصل في محكم الذكـــر   ونور المعاني لاح في الفكر كالفجرِ

وزال غُبار الغين عن عَينِ من دنـــا   إلينا وسِرُ القومِ في الحمدِ والشكرِ

ففي حيّهم زَهرُ المعارف يُجْتنَـــى   وفي بحِرِهِم من غاص يَظْفَرُ بالـدُّرِ

فدع عنك ما يفنى وعوِّل على البقاء   وسِرْ في صراط لا ذُلول ولا وعـرِ

وكن بطلا شهما شديدا على السُّرَى   يُسرمد سيْر العمر مُمْتَثِل الأمـــرِ

فَسِرُ كبار السِر في السير يُجتنـــى   فجاهد ولا تركن إلى فاتر غـــــرِ

ففي محكم التنزيل قد قام ربنـــــا   بهدي الذي ما انفك يُجهِد في السيرِ

فكل الذي بالعين يُدرَك ظاهـــــرا   أقام زمانا خافيا حيث لا تـــــدري

بعالم معنى ليس للحس منفـــــذُ   إليه وتدريه البصيرة بالفكـــــــرِ

ترى صور الأشياء فيه جميعهـــا   ممثلة كالسر تحكيه بالجهـــــــرِ

وذلك فيض من أنابيب عالـــــــم   جليل عظيمِ القدرِ جلّ عن الذكـــرِ

كماء زلال لونه لون ظرفِــــــــــهِ   حياة جميع الكون من حوضه تجري

فكن فطِناً واعلم بأنك رابــــــــــضٌ   بأبخسِ حظ في الوجود على الجمــرِ

واين الأُلى إن رمت تلحقُ بالأُلـــــى   وقد جازوا الأكوان والقوْلَ بالغيــرِ

وفد وَردُوا عين الحياة حقيقـــــــــةً   وساحوُا مع الأرواح في عالمِ الأمرِ

فَفَكِرْ وذاكِرْ والْزِمِ الذِكرَ صابِــــــراً   فنعمَ الرفيقُ الناصِحُ الأخذُ بالصبــرِ

وجاهدْ جهادَ الفَوْزِ واخدم أحبــــــةً   على السيْرِ قد واسُوك في الجهر والسرِ

وإن أذنبوا فاصفح وواصل إذا جَفَـوْا   ودع عنك ما تُوحيه نفسك من مكـــــرِ

أخي إن أردت الوصلَ فاعملْ ولا تقل   مضى الخير إن الخير يجري مع الدهرِ

عليك بأيات يقودك سرهـــــــــــــا   ويُدريك أنك الكلُ يا منبع الخيــــــــرِ

خِزانُ المعاني فيكَ قلبكَ علمــــــهُ   كبحر وفيه الكون في فلك يســــــــرِي

ولا تلتفت في السير يوماً لِما جرى   به القدرُ المحتومُ من سالفِ الـــــــوزر

فربكَ غفارٌ كريمٌ ومن أتـــــــــى   إليهِ فقيراً فازَ بالخيرِ والنصــــــــــرِ

نُصلِي على خيرِ البريةِ أحمــــــدَا   محمدٌ المبعوثِ للناسِ بالبِشْــــــــــرِ

وآلِهِ والأصحابِ ما ذَرَّ شــــــــارِقٌ   وما قد سرى نُورُ الغزالة في البــــدرِ

========<<<<<>>>>>========

الشيخ قَدُّور بن عاشور الزرهوني

الشاهد الثالث من القسم الخامس في سرد طائفة من أعيان الطريقة العلاوية في كتاب الشهائد والفتاوي. (5-05)



الشيخ سيدي قَدُّور بن عاشور الندرومي, من مدينة ندرومة, بالجزائر. أحد الأكابر في نسبة الله, ممن ظهرت على يده الخوارق, وقد كانت له أحوال وشطحات تتضمن أن ليس في المقربين من بلغ مبلغه إلا من الصفوة من أكابر الأولياء.

اجتمع بالشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة رضي الله عنه بمدينة تلمسان, انتمى إليه وألقى إليه الانقياد واعتبره اعتبارا زائدا, فقيل له في ذلك: "والحالة أنك كنت تقول (ما فوقي أحد من أهل الله)", فقال: "إلا هذا الرجل فإنه أرفع مني منزلة ! بعد اجتماعي به رأيت بعد ذلك بنحو اليومين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المنام يقول لي: "إذا كنت ولدي حقّا فعليك بمتابعة هذا الرجل" ويشير بيده الشريفة إلى سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة رضي الله عنه... ثم كنت صليت معه إحدى الصلوات فعندما قمنا للصلاة تقدّم للإمامة, فانفتح لي باب في ظهره فرأيت منه الكعبة بيت الله الحرام". وهكذا كان يخبر بهذا ونحوه في جلّ اجتماعاته.

ومما سخر الله فيه له القوافي, فتراه يأتي ارتجالا بانظام عليها أجمل طلاوة وإن لم توافق مصطلح العروضيين, فقد خلّف وراءه أكثر من 3000 قصيدة، لم يتم جمع سوى 200 منها, على أن الرجل أمي لا يحسن الكتابة وقد مدح الأستاذ بانظام عديدة يذكر فيها بأبلغ ما يذكر به ممدوح وقد دافع بمثلها أيضا على النسبة العلاوية (الشهائد والفتاوي فيما صحَّ لدى العلماء من أمر الشيخ العلوي)

ترجمته رضي الله عنه :

1. ولد الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني في ندرومة 1850م، و نشأ ودرج للتعلم قبل دخوله معترك الحياة، ثم مال، اعتبارا من سنة 1900، إلى طلب المعرفة الربانية بالتفرغ كليا للزهد و التعبد، ثم انتقل إلى حاضرة تلمسان حيث مكث مقيما من سنة 1926 إلى سنة 1930، و بعد ذلك عاد إلى مسقط رأسه و موطن أسلافه حيث توفي في يوم الاثنين 6 يونيو 1938.
2. لعل هذا الشاعر أقل أمثاله، الذين برزوا في تعاطي الشعر الملحون في الجزائر، شهرة في الأوساط الأدبية والجامعية و الفنية المهتمة بجمع التراث من الشعر الملحون ودراسته وتلحينه، وذلك رغم أنه من الذين نبغوا في الجزائر في غضون القرنين التاسع عشر والعشرين، وبلغوا فيه منزلة القدامى الفحول، و رغم تداول العديد من المطربين المتعاطين للون الشعبي الجزائري على أداء الكثير من قصائده التي نجت بفضل ذلك من الضياع، بأساليب فنية اختلفت باختلاف المدارس والمشارب الموجودة من حيث القالب الفني بين أداء الشيخ إدريس برحال والشيخ حمادة، و الحاج أمحمد العنقاء و فضيلة الدزيرية، والأستاذ خليفي أحمد، والأستاذ الحاج محمد غفور

وعمار العشاب وبوجمعة العنقيس وحسن السعيد وعمار الزاهي وغيرهم من المطربين.

إن المراجع المكتوبة غير موجودة، أو تكاد، للمساعدة على التعرف موضوعيا على سيرة الشاعر الشيخ قدور بن عشور الزرهوني و هي لا تتمثل سوى في ترجمة مختصرة غاية الاختصار متضمنة في مصنف « كنوز الأنهار والبحور في ديوان السر والنور» الذي نشر عام 1938 بوجدة متضمنا منظوماته في التصوف وأقوال العارفين، ومخطوط يقع في 124 صفحة يتضمن نص «مناقب الشيخ الكامل إمام العارفين و رئيس الأولياء والصالحين الغوث الوحيد والقطب الفريد سيدنا و مولانا قدور بن عشور الندرومي الزرهوني الإدريسي» المحرر في صيغة المتكلم و الذي اعتنى بتصحيحه وتدوينه بخط يده ابنه عبد العزيز الذي كان محاميا لدى المحكمة العليا بالجزائر، و ذلك في تاريخ 13 مايو 1957. وجاء في نص الترجمة ما يلي :

3. «هو الشيخ قدور بن أحمد بن قدور بن محمد بن علي بن الطيب بن أحمد بن الهادي بن المهدي بن منصور بن عبد الحق بن سليمان بن سعيد بن وكيل النور بن المعطي بن داود الخيار بن عبد الجبار بن عيسى بن خير الدين بن عيسى بن سليمان بن المزوار بن حيدر بن محمد العاشر بن إدريس بن إدريس. ولد بمدينة ندرومة سنة 1280 هـ تقريبا، وهو حفيد السيد قدور بن عشور الزرهوني الذي كان خليفة باي وهران بدائرة ندرومة، فحفظ شيئا من القرآن و وصل إلى «الرحمن علم القرآن...»، ثم ترك القراءة و تعاطى علم الموسيقى و صارت له اليد الطولى فيه. و قد اشتغل بخدمة ولي صالح اسمه سيدي المصطفى بن عمرو وخدمه فنال على يده الفتح في السر

والاسم والولاية. و بعد موت شيخه، سيدي المصطفى، غرق في التصوف والحقيقة حتى أدرك الغوثانية العظمى».

4. إن سنة ميلاد الشاعر 1850م توافق العام الهجري1267 و ليس 1280 كما جاء في الترجمة أعلاه، و ذلك هو الأرجح لأنه مسلم لدى جميع المطلعين أنه توفي سنة 1938م الموافقة للعام الهجري 1356 و هو في الثامنة و الثمانين من عمره.
5. ترعرع الشيخ قدور في ندرومة التي كانت من الحواضرة ذوات المكانة في سائر مناحي الحياة العلمية و الأدبية والتجارية والصناعية، في حضن أسرته الحسيبة التي كان فيها ما شاء الله من أصحاب المروآت و الفضائل والمواهب بما يمكن اعتبارها، برجالها و نسائها، ملخصا للمجتمع الندرومي آنذاك، ودرس ما كان يدرسه أقرانه من الصبيان و اقتصر في الدراسة على ما تيسر له كأترابه الذين تشاء لهم الأقدار الانقطاع عن طلب العلم تفرغا، في سن مبكرة، لخوض غمار الحياة قبل حينه.
6. عند انقطاعه عن مزاولة الدراسة كان الفتى قد تعلم بَعْدُ القراءة و الكتابة في «الجامع» جريا على الطريقة المتبعة في عهده، وأكسبه ما حفظه من سور الذكر الحكيم و تعلمه من مبادئ العربية قوة الحافظة و حدة الذاكرة و خصوبة المخيلة، و هو ما مكنه من المزيد من تحصيل المعرفة باجتهاده الخاص وبعون من اتفقت له مجالسته من العلماء فأثرى رصيده اللغوي الغزير ووسع علمه.
7. و لقد جاء في بعض الشهادات أن الشيخ قدور أخذ يقرض الشعر ويتعاطى الغناء منذ أن كان عمره ثلاثة عشر عاما إلى أن تمكن منه وامتطى صهوته في تمام صفات الشاعر المطبوع ذي القريحة الثرة والشاعرية المدرارة، و طول النفس، وفي تمام صفات المطرب

المطلوب المسموع الذي ينشد ويغني ما يبدع ويصوغ بنفسه. إن الشيخ قدور جاء صورة ملخصة لأولئك العباقرة الذين عاشوا قبله في ندرومة موطنه الأول، و في موطنه الثاني تلمسان، و أعني مثلا سعيد المنداسي وأمحمد بن مسايب و محمد و بومدين بن سهلة، وأحمد بن تريكي وأمحمد الرمعون و مصطفى بن دمراد.

8. لقد كانت للشيخ قدور زجات عدة، منها واحدة بمريم حفيدة الشاعر الفحل الشيخ أمحمد الرمعون الندرومي صاحب الرائعة المشهورة التي مطلعها «يا اللايمني في ليعتي...» الذي عاصره و عايشه متربعا آنذاك على عرش الشعر الملحون في ندرومة. فلا شك أن مصاهرة هذا الرجل المتشبع بثقافة بيئته، المتضلع في فنون النظم كان لها الأثر العميق في حياة قدور إلى جانب تلك المخالطة المطردة التي كانت بينه و بين أستاذه شيخ الزاوية الطيبية، ولي الله الصالح المصطفى بن عمرو التراري الوزاني.

9. إقتداء بالشيخ أمحمد الرمعون، تعاطى الشيخ قدور نظم الشعر كرياضة فكرية و أدبية على سنة الأدباء الشعبيين في عصره، ثم كوسيلة للتعبير عن خلجات صدره ومشاعره للاتصال مع غيره تارة، و تارة أخرى للإدلاء بدلوه في أغراض كان الناس يقبلون عليها و خاصة منها الغزل ووصف الطبيعة و الفخر والمديح النبوي والأذكار و المواعظ، كما تعاطى العزف و الغناء في مجالس الطرب الشعبية التي تقام بمناسبة الأعراس والولائم، غير أنه لم يعرف عنه أنه غنى من أجل التكسب حيث كان يتصدق على الفقراء بتمام ما كان يؤول له من المنح و الأفضال قليلها أو كثيرها.

10. كان الشيخ قدور فنانا مطبوعا يتعشق الأدب ويهوى الموسيقى. و قد وقف جانبا من حياته على هوايته فأخذ عن السابقين،

و سار على نهجهم و أنشأ في ندرومة، كما قال، فرقة موسيقية ما لبثت أن اشتهرت بإتقان أدائها وبإبداع رئيسها في نظم القصائد و أدائها، و حسن اختياره للنصوص وفق المناسبة والمقام والساعة.

11. لقد خص الله هذا الشاعر المغني بذوق سليم، و حس مرهف، و طبع مصقول. فلا عجب إذا جاءت قصائده تحفا أدبية و موسيقية بديعة كما يتجلى من خلال كل واحدة من القصائد التي نجت من الضياع و ضمنت في ديوانه.

12. إن الشيخ قدور نهل من الثقافة التي كانت سائدة في بيئته في القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع هذا القرن، تلك الثقافة التي كانت ولـــيدة تلك الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخاصة التي تستمد قوامها المؤسساتي مباشرة من الشعب الذي تَمَكَّن من الاستغناء عن السلطة الفرنسية الدخيلة.

13. فبالرغم من أنها تعتمد على النقل و التقليد و تخزين المعارف في حافظة الأجيال، إن تلك المؤسسات التي أنشأها الشعب بنفسه، ساهمت في إنقاذ الأساسيات العقائدية و دعم أخلاقيات المجتمع الجزائري العربي الإسلامي، و نشر المعارف و القيم الحضارية بين الجماهير، وتثبيت الشخصية الوطنية الجزائرية وصونها من أمية الانتماء الحضاري.

14. إن مدينة ندرومة العريقة، حيث ولد و مات الشيخ قدور بن عشور الزرهوني، كانت في عهده من الحواضر الجزائرية التاريخية حيت استمرت تلك المحيطات الثقافية صامدة رغم سياسة الهدم و التخريب التي انتهجها المحتل الفرنسي، و حرص فيها على تقويض دعائم الوطنية و محو معالم الإسلام الحنـيف ولغة كتابه العزيز، واستطاعت بفضل رصيد ماضيها الحضاري المساهمة، و بقدر له

بال، في بعث مقومات كيان الأمة الجــزائرية السياسية والثقافيـة و الاجتماعية والاقتصاديـة وفي انتشالها من براثن الاحتلال الاستعماري البغيض.

لا بد من ذكر أن الشيخ قدور، الذي كان يعتزل عن الناس و يطيل الـخلوة، و يبيت في ضريح سيدي أحمد البجائي، كان يعمل بـما كان يتلقاه على يد والــده ويد شيخه الـمصطفى بن عمرو. ففضلا عن الـمجاهدة في العبادة، كان يعصر قريحته و يخرج إلى الناس بأشعار يلـمس الآن أنها في غاية جمــال الـموضوع واللفظ والتــركيب وثراء الـمعاني، وأن جُلَّها قابل للغناء و الإنشاد.

15. ولـما تأكد مـيـل الشيخ قـدور إلى ترك ما كان يلهيه من دنياه، رحل إلى مديـنة تلـمسان حيث مكث مقيـما من سنة 1926 إلى سنة 1930.

وإذ تعمق في طلب الـحقيقة الربـانيـة فـإنـه صار متـجردا من العلائق، و معرضا عن العوائق، ولـم يبق له قبلة ولا مقصدا إلا الله تعالى، التفت حوله جماعة من الـمريديـن و نشأت من تلك الرابطة زاوية طرقية ما زالت قائمة إلى حد الآن في تلـمسان. ومن البديهي أنه انقطع في هذه الـحقبة الأخيرة من حياته عن نظم الـحوزيات متفرغا لتأليف الـمنظومات مثل تلك التي جاءت في «كنوز الأنهار والبحور في ديوان السر والنور» وهـــي تتناول كلها «الـحقيقـة واللطائف الروحية».

======<<<<>>>>========

- 2 -

سيّاحات الشيخ العلاوي ورِحْلته إلى بيت الله الحرام لِأداء فريضة الحَجِّ

سياحة الشيخ العلاوي في منطقة القبائل سنة 1919م

في النصف الأول من القرن العشرين, حققت الطريقة العلاوية, والتي تأسست سنة 1914م, تقدمًا ملحوظًا في منطقة القبائل الصغرى على الرغم من وجود طرق أخرى كالإدريسية والزّروقية وغيرها والذي يجمعها نفس الجوهر وهو السند الشاذلي, وكذلك جماعة الإخوان الرحمانية ذات الجذور القبائلية المرموقة التي نافستها العلاوية إلى حد كبير. إن ذلك الانتشار المبهر للطريقة العلاوية في بلاد القبائل هو وبلا شك نتاج رؤية عميقة تبعها عمل جبار للشيخ العلاوي, الذي وُصِفَ بالشيخ الحداثي, والذي عرف كيف يخضع القلوب. وبفضل كتاب "الروضة السنية في المآثر العلاوية" للشيخ عدة بن تونس الذي نُشِرَ بعد وفاته عام 1954م صارت سياحة الشيخ العلاوي الأسطورية في منطقة القبائل الصغرى معروفة لنا اليوم.

انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم عن قدوم شيخ كبير إلى منطقة القبائل, لم يكن موعد قدومه معروفا بالضبط, لذلك كان المؤمنون وغيرهم ينتظرون قدومه بفارغ الصبر.

في تلك البقاع الأمازيغية المنيعة, منطقة القبائل, كان على الشيخ العلاوي أن يستقر لعدة شهور ليتمكن من زيارة جميع القرى, محاطًا بأتباعه, للتذكير والإرشاد والتعليم في عالم انغلق على نفسه. وكانت أقبو أول قرية استقبلته, ثم تمقرة, مسقط رأس سيدي يحيى العيدلي الشهير. بعد الترحيب الحار والأخوي الذي حظي به من قبل السكان, واصل الشيخ رحلته في عدة مناطق: بني أورتيلان، بني شبانة، الماين (أو الماعن)، أدرار سيدي يدير الجعافرة... إلى أن انتهى به المطاف في برج بوعريريج. عندما نعلم أنه لم يكن يتحدث

اللهجة الأمازيغية, يمكننا أن نقدر كيف تمكن بسرعة كبيرة من حشد نخبة العلماء والشعب رغم وجود مشايخ زوايا صوفية أخرى.

نقل لنا سيدي أحمد أوحمودة إحدى مذاكرات الشيخ العلاوي:

- "إخواني! الرجل الكامل هو ذاك الرجل الذي تجاوز الصفات الحيوانية. أنظروا إلى هذه الجبال الشامخة, أي منا يستطيع أن يدعي منافستها في الارتفاع؟ مهما نظرنا إلى إخواننا باستعلاء وكبرياء ,عبثا, لن تبلغ رؤوسنا مستوى هذه الذروة من الجبل. وانظروا إلى ما يحيط بكم, هذه الغابات, هذا الكم الهائل من القرى في قاع السهول أو بجانب الوديان أو جاثمة على جوانب الجبال, وحتى هذه الجبال, كل ذلك مصيره الاضمحلال والفناء. إن القوة التي أنعم بها الله العلي القدير البعض منا, لن تبقى إلى الأبد, ومحتوم عليها الزوال والفناء هي الأخرى.

وخلال زيارته, تعلق به عدد كبير من أبناء تلك المنطقة, أكثر من 6000 شخص, ناهيك عن الذين اقتصروا على أخذ العهد للبركة دون طلب المزيد من معرفة الله. كما أنه ذهب إلى منطقة الأوراس بعدها, وتشير الإحصائيات الاستعمارية إلى أنه خلال إحدى هذه الرحلات إلى شرق الجزائر, تعلق به أكثر من 14000 شخص في غضون أسابيع قليلة. وظل سكان هذه المنطقة يدخلون هذه الطريقة أفواجا, ولا يمكن معرفة عدد القائمين على التربية والإرشاد منهم, ومن النادر ألا يوجد في أي قرية أفرادا من هذه الطائفة العلاوية, ونقصد المرشدين الذين نجحوا في توعية الناس من منطقة القبائل الكبرى, ومن البيبان, والبابور, الذين نجحوا في توعية ووعظ الكثير من لصوص المواشي وغيرهم من الفئات الإجرامية الخطيرة, حتى صارت تلك المناطق لا يكاد يوجد بها من الجانحين إلا القليل مما كان عليه في الماضي.

سياحة الشيخ العلاوي إلى مدينة مُعَسْكَر 1920 - 1922 و 1930م

نبذة تاريخية عن دخول الطريقة العلاوية إلى مدينة معسكر. دخلت الطريقة العلاوية إلى مدينة معسكر نتيجة زيارات مؤسسها الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي إليها حيث كانت أول زيارة له سنة 1920م / 1338هـ.

حين وصل الشيخ إلى مدينة معسكر في تلك السنة حجز في فندق بوسط المدينة وطلب من مرافقه أن يبحث بحي "بابا علي" عن فقير من الطريقة الهبرية اسمه سيدي بوجلال بن المنور, وكان هذا الأخير يزور مستغانم كثيرا والتقى بالشيخ العلاوي عدة مرات وفي مناسبات عدة. طلب سيدي بوجلال بن المنور من الشيخ أن يجلب أمتعته من الفندق واستضافه عنده ببيته طيلة مدة سياحته. طلب الشيخ من الفقير الهبري بوجلال بن المنور زيارة زاوية الشيخ بن عبد الله شنتوف والتي كانت معروفة في مدينة معسكر وخارجها وكان يشرف عليها آنذاك الشيخ عبد القادر بن عبد الله. عند وصول الشيخ إلى الزاوية قام بزيارة ضريح الشيخ بن عبد الله شنتوف ثم حضر معهم حلقة الذكر, وفي خلال الجلسة نظر الشيخ عبد القادر بن عبد الله إلى الشيخ العلاوي وقال له: "هل أتيت لجلب الفقراء إلى طريقتك ؟" فأجابه الشيخ العلاوي: **"يا شيخ أنتم الفلاحة وحنا جينا نلقطو موراكم ذيك السبولة اللِّي تبقى في الأرض"** (أي أنتم زرعتم وقطفتم الثمار ونحن أتينا لنلتقط تلك التي بقت مرمية على الأرض).

وبعد هذه الزيارة ذهب الشيخ العلاوي إلى منزل الفقير الهبري سيدي بوجلال بن المنور وأقام عنده جمع حضره فقراء الطريقة الهبرية. دامت تلك السياحة سبعة أيام زار فيها الشيخ العلاوي مشايخ مدينة معسكر كالشيخ عبد القادر

بن عبد الله كما ذكرنا سابقا والشيخ البشير بن العروسي وكذلك الشيخ البودالي (الزاوية الهبرية) وفرح هذا الأخير بزيارته وجمع الفقراء الهبريين وأقام جمع كبير ترحيبا بالشيخ العلاوي.

ثم كانت الزيارة الثانية سنة 1922م / 1340هـ بمناسبة وفاة الشيخ عبد القادر بن عبد الله حيث قدم الشيخ العلاوي برفقة سيدي أحمد بن إسماعيل والمفتي الحاج عبد القادر بن قارة مصطفى, ومن تم بدأ الاتصال بين الشيخ وأول نواة الفقراء بمدينة معسكر، نذكر منهم : الشيخ عبد القادر الوجدي، سيدي الجيلالي بالقرشالي، سيدي الحاج بوعزة، سيدي الحاج دحو بولنوار، سيدي الحاج عوّاد ولد التكالي (أو الدكالي)، والحاج بن علي بوزيد حيث أصبحوا في اتصال مع الزاوية بمستغانم وكانوا يحضرون الاحتفال السنوي الذي كان يقام بها.

وكانت آخر زيارة للشيخ العلاوي لمدينة معسكر سنة 1930م / 1348هـ بمناسبة وفاة الشيخ سيدي العربي بن عبد الله.

كان أوّل مَنْ أشرف على أمور الطريق في مدينة معسكر هو الشيخ سيدي عبد القادر الوجدي ثم عين رسميا سيدي **الجيلالي بلقرشالي** مقدما للطريقة العلاوية لمدينة معسكر.

ومن بين الشخصيات التي التقت مع الشيخ العلاوي الشيخ بلهاشمي بن بكار مفتي الديار المعسكرية حيث يقول في كتابه (مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب) في الصفحة 168: "وقد زرت الشيخ أحمد بن عليوة مرات وتبركت به، وسافرت معه لمدينة الجزائر فرأت منه شهما

غيورا عالما عاملا من المفتوح عليهم الفتح المبين رحمه الله ونفعنا ببركاته".



L'Ihtifel à Mostaganem en 1925
en présence du Cheikh sidi Ahmad al-'Alawi à gauche sur la photo

جولة الشيخ العلاوي بالغرب الجزائري سنة 1928م - 1346هـ

تفاصيل عن سياحة الشيخ أحمد العلاوي بالغرب الجزائري قبيل وصوله إلى المغرب الأقصى سنة 1928م, 1346هـ. وقد أبت الظروف أن تمن عليه بتلك الزيارة إلى هذه الآونة الأخيرة حيث سمحت له الحكومة برخصة السفر إلى تلك الإيالة بعدما اعتذرت له عن مثلها لزيارة بيت الله الحرام والشخوص أمام قبر سيد الأنام صلى الله عليه وسلم, وقد أسعدني الله (المتكلم محمد بن البشير الجريدي) بمصاحبته في هذه السياحة المباركة إذ لا بد له من كاتب يكون مصاحب له في الحضر والسفر.

من وهران

الثلاثاء 01 مايو 1928م, 10 ذي القعدة 1346هـ

وقد كان خروجنا من مدينه مستغانم يوم الثلاثاء من التاريخ المقدم الذكر على الساعة 4:00 مساءً عبر السيارة قاصدين مدينه وهران حيث وصلناها على الساعة 6:00 مساءً ووصلنا إلى الزاوية العلاوية بتلك المدينة الواقعة بحي "طحطاحة" بالقرب من حي "المدينة الجديدة" والتي يرأسها حسن الشيم, طيب الأخلاق, حضرة المقدم المحترم سيدي صالح بن عبد العزيز القادري نسبا العلاوي طريقة, ومن حين وصلنا تسارع الفقراء للسلام على الأستاذ والتبرك به لعلمهم بقدومنا من قبل وبعد صلاة المغرب. وتم قراءة الوظيفة وهي سورة الواقعة ثم الصلاة على النبي ثلاثة, ثم اشتغل الكل بتخريج أوراده, وصُلِيَتْ العِشاء. فحينذاك شرع الفقراء وقد اكتظت بهم الزاوية في الذكر والسماع وتلاوة القرآن كما هي عادتهم في كل زواياهم, ولما أتموا ذلك تكلم الأستاذ كعادته في مثل هذا الاجتماع بإلقاء درره الوعظية ونصائحه الدينية

التي تدخل القلوب بدون استئذان كما قيل في الأثر "إن الكلام إذا برز من القلب وقع فيه" أي في قلب السامع. ولا يخفى على من جالس الأستاذ أن لكلامه صولة خارقة تندك منها جبال النفوس, لأنه مستمد من حضرة القدوس إلى روح نيرة وقلب طاهر.

ومن جملة مذاكرته في تلك الليلة المباركة أن قال:

"إن الإنسان مركب في أصل فطرته الخير والشر, فمن غلب خيره على شره فهو يتصل بالرفيق الأعلى ويتحقق بأخلاق الملائكة ويتحلى بالفضائل وحسن المعاشرة مع اتصافه بلطافة الأخلاق والتوجه إلى الله بكثرة العبادات, وارتفاع الهمة عما بأيدي الناس واتكاله في جميع أموره على الحق جلت عظمته وأن لا يؤاخذ من أذاه من العباد إلا ما كان مخل بشرف الدين, فهذا الفريق يتولى الله أمره ويدفع عنه أذى الخلق لقوله جل شأنه **"وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"** (الأعراف:196), كما أنه يدافع عن المؤمنين, وهذا الفريق لا بد له من التعاون بمحاذاة المؤمنين ومجالسة الصالحين والتخلق بأخلاقهم والسير على منهاجهم القويم, إذ هم السائرون على الصراط المستقيم. ولا يخفى أن التعاون على البر شرط في ديننا الحنيف لقوله تعالى **"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى"** (المائدة:2), كما أن محاذاة الصالحين شرط ثاني لما جاء عنه عليه الصلاة والسلام لما قيل له "يا رسول الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغِبكم في الآخرة عمله", أو كما قال, وهذه الأوصاف لا تكون إلا في حيز الذاكرين العارفين والعلماء العاملين.

أما من غلب شره على خيره, والعياذ بالله, فهو ينخفض إلى دركات الشياطين, عصمنا الله من شرهم, بقدر بعده عن درجات أهل اليقين, ويتصف بالرذائل

بقدر تخليه عن الفضائل, وإعراضه عن الله, ويشتغل بما لا تحمد عقباه من أنواع الموبقات المخلة بشرف الإنسانية.

وعليه, فالواجب على إخواننا من الفقراء أن يجتنبوا كل من هذا شأنه, ويبعدوا عن مجالس السوء ومواضيع التهم, ويتحلوا بالفضائل ويتخلوا عن الرذائل, وأعلموا أن الإنسان إذا نظر نظرة محرمة نكتت على مرآة قلبه نكتة سوداء, وهكذا إذا تكلم بما يخالف الشرع الشريف من أنواع المعاصي كالغيبة والنميمة وما شاكل ذلك من بدئ الكلام, وكذلك من أنصت لمن يخوض في مثل ذلك".

ثم حض الجميع على أفعال البر ولو مع غيرهم, كالتحابب والتوادد والتزاور مع المحافظة على الصلوات في أوقاتها.

ثم قال ما معناه:

"إنه لا يخفى أن الزمان قد فسد واستبدلت الحسنات بالسيئات, وانحرف الناس عن الديانة إلا القليل ممن عصمهم الله، ومن ذلك بعض المنتسبين العاملين بما يقتضيه مذهب القوم وهو موافقة سيرة السلف الصالح قولا وفعلا, لا المتراؤون على المذهب الذين أحدثوا في طريق الله ما ليس منها مما لا يتفق مع الدين, فان المذهب يتبرأ منهم "براءة اليعسوب من دم ابن يعقوب", وهكذا بقي بعض العلماء العاملين والطلبة" (انتهى).

ثم ختمت الجلسة بكلمه الإخلاص جهرا ثلاثة وفي الرابعة محمد رسول الله, وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: "من قال لا إله إلا الله ورفع بها صوته أسكنه الله دار الجلال ورزقه النظر في وجهه", وفي رواية غفر الله له 4,000 ذنب من الكبائر. وافترق الجميع على أتم رغبة ونشاط في دين الله.

وفي الغد (الأربعاء) سمع الناس وبقية الفقراء الساكنين بأطراف البلدة أن الأستاذ حال بمدينة وهران فتسابق الجم الغفير لزيارته من فقراء وعلماء وأفاضل وغيرهم, واستمر الحال كذلك يوم الخميس.

الجمعة 04 مايو 1928م, 13 ذي القعدة 1346هـ

وفي يوم الجمعة من التاريخ المقدم الذكر أذن منادي الفلاح لصلاة الجمعة, فذهب الأستاذ ومعه جماعة ممن كان حاضرا إلى مسجد الباش آغا ولد قادي (المعروف عند العامة بمسجد بن كابو) الواقع بالقرب من الزاوية, فكان المسجد مكتظا بخلق الله, سواء ذلك في بيت الصلاة أو في غيرها من البيوت التي في صحن المسجد الذي كان هو الآخر عامرا إلى عتبة الباب الذي يطل على الطريق العام, لدرجة ألا يجد الواحد منا موضعا لأن يقف فيه عن أن يجلس. فسررنا وأيم الله عند مشاهدتنا لهذه الحالة المرضية التي يحن لمثلها كل مؤمن ويتعشق لأن يرى إخوانه عاملين بما افترضه الله عليهم. وكان المسجد على غاية من النظافة وحسن البناء, بناه حضرة الباش آغا أحمد ولد قادي (زوج القايدة حليمة) فجزاه الله خيرا, وكُلِّفَ بشؤونه حضرة العلامة الشيخ بالقاسم بن كابو وهو القائم بالإمامة والخطابة والتدريس بهذا المسجد, أكثر الله من أمثالهم بين العباد لإصلاح الفساد.

وبعد الفراغ من الصلاة ذهبنا إلى دار أحد الفقراء يدعى السيد معمر بلوز لتناول الغداء, جزاء الله خيرا, ثم رجعنا للزاوية. ودام الناس بين ذهاب وإياب طول ذلك اليوم. وفي العشية وفد جماعة من الأفاضل والعلماء, فعرفت منهم حضره المفتي الشيخ السيد الحبيب بن عبد المالك والسيد مولاي مصطفى القادري أحد المدرسين ببعض المدارس الفرنسية والسيد محمد بن الشيخ بالقاسم بن كابو والسيد محمد الغانمي والسيد بوعطية مقدم الطريق القادرية

بوهران والسيد أحمد بن صابر وغيرهم... وقد وجبت صلاه المغرب فأديناها وتناولنا العشاء ببيت السيد صالح بن عبد العزيز, أحسن الله له ولأمثاله من أهل الفضل. أما الفقراء فقد أولم لعشاءهم أحدهم يدعى السيد حمُّو من بلاد قلعية بأرض الريف الإسباني, وكانوا زهاء 100 نفر, كثر الله خيره وأخلف عليه. وبعد ذلك صليت العشاء وشرع الفقراء في الذكر والسماع تارة وفي تلاوات كلام الله تارة أخرى. فخرج إذ ذاك الأستاذ ومن معه من الأفاضل وجلسوا في صدر المجلس, ثم شرع أحد المسمعين يترنم بقصيدة من كلام ابن الفارض, رحمه الله, والتي مطلعها:

ما بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأحداقِ والمُهَـــــجِ أنا القَتِيــلُ بلا إثمٍ ولا حَــــــرَجِ
ودّعتُ قبل الهوى روحي لما نَظَرَتْ عيناي مِنْ حُسْنِ ذاك المنظرِ البَهجِ

ولا يخفى ما في هذه المنظومة من الإشارات المتعلقة بالحضرة الأقدسية مع ما يتخللها من كلمة الإخلاص. وكان المسمع جيد الصوت, شجي النغم, ولما انتهى تليت آيات من الذكر الحكيم, فكنت أرى القوم يتمايلون يمينا وشمالا وخلفا وأماما, كأنهم نشاوى بخمر الدنان, نعم إنهم كذلك بخمر الوجد الناشئة عن قوة الإيمان والحاصل عن الآية الكريمة وهي قوله تعالى: **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا"** (الأنفال:2) والتي تنطبق على القوم بكل معناها أتم الانطباق, وبذلك يقول كل من رفع الله عن قلبه غشاوة التعصب واهتدى إلى سواء السبيل.

وبعد ذلك سكت الجميع مستعدين إلى ما سيلقيه عليهم الأستاذ من إكسيره النادر المثال كأنهم ظِماءٌ يرتجون الماء الزلال. ولما رآهم على تلك الحال, تكلم... ومن عادته ألاَّ يتكلم حتى يرى الجميع مستعدين متوجهين إليه

مستمعين لما يلقيه من الحكم الباهرة, لئلا تضيع سدى, وهذه هي عادته في سائل الاجتماعات.

فافتتح الأستاذ الكلام بما يتعلق بديننا الحنيف ومما ترمي إليه تعاليمه العالية وحسن أسلوب القرآن, ومن جملة مذاكرته في تلك الليلة المباركة, هذا معناه:

"قد تقرر عند الأمم الغربية من الفلاسفة والحكماء أن القران هو أحكم كتاب أنزل من عند الله, وأن تعاليمه ليست مختصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقط, فهي صالحة لكل عصر ومصر بحيث لا يختص بها جيل دون الأخر. أما غيره من الكتب المنزلة فهي مختصره على تلك الأمة التي أنزلت على أنبيائها فقط, وقد انقضى أمدها ببعثه سيد الرسل صلى الله عليه وسلم, وذلك لأن كتابه محتوي على جميع أسرارها, فهو الدستور الكفيل بسعادة بني الإنسان على اختلاف مللهم, ولذلك قال بعض أساطين العلم من أهل أوروبا: "إن الإسلام هو الدين الذي يجدر بجميع الأمم الحية اعتناقه وأن يهتدوا بهديه لأن كتابه هو الكتاب الفذ الصالح لارتباط الأمم ببعضها ارتباطا محكما غير منقسم القوى", وإنه ليسوء الإنسان أن يرى أبناء هذا الدين المتين ناكبين عنه غير عاملين بأوامره ونواهيه, ميالين إلى كل جديد مما أحدثته هذه العصور الأخيرة من دعوى التجديد والرقي الموهوم ذي البروق الخلابة, فمثل هذه الدعوى **"كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا"** (النور:39).

أما الذي يتبادره فهم العاقل فهو أن هذا الفريق غير ذائق حلاوة الإيمان ولا متحقق بأسرار الديانة الإسلامية, وإلا لما انكبوا عنها ومالو إلى غيرها من بقية الأديان, ومَنْ هذا شأنه لا يُعْبَأُ به, لأنه على غير بصيرة من أمره, ولذلك تراهم تارة يُسْلِمُونَ وأخرى يَكْفُرُونْ, لا يلبثوا على حالة واحدة, مثلهم كمثل

الحرباء, كلما دخلت أرضا تلونت بلونها. أما من كان على بصيرة من معتقده وبينة من أمره, فإنه لم يغ ولن يبغي بدينه بديلا ولو تكبد كل المتاعب ولاقته كل العقوبات والمصائب, ودليلا على ذلك ماع لقيه أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من تضييق من مخالفيهم ومطارداتهم إياهم وما لحقهم من التشرد في البلاد, ومع ذلك كله لم يبالوا بشيء منه وما يزيدهم ذلك إلا انزواءً إلى الدين ومحبة في سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم, مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ذا ثروة يمدهم منها أو يَتَّبِعُونَه لأجلها, وإلا لقال المقابل ذلك ومع ما تقرر, فما هو الباعث لهم يا ترى على شدة هذا التمسك والعض على الدين بالنواجذ؟ ذلك أنهم كانوا على بينة من أمر دينهم وبصيرة فيما يعتقدونه, قال تعالى آمرا لنبيه: **"قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"** (يوسف:108).

ثم إن الإيمان ينقسم إلى قسمين والناس فيه فريقان: الفريق الأول إيمانه كأصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا تهزه الزلازل ولا تخلخله عواصف الرياح, والفريق الثاني إيمانه بحسب ما يراه من المعجزات وخوارق العادات, فهذا الأخير لا يثبت إيمانه لأنه ناشئ عن رؤية بصرية وخارقة شفاهية, والدليل على ذلك ما وقع لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام, والكل يعلم أن إيمانهم ناشئ عن الخوارق, كإلقاء العصا وانفلاق الحجر (12 عينا) وما شاكل ذلك (كانشقاق البحر), ويدلك على عدم ثبات إيمانهم, ما وقع منهم بعد خروجهم من البحر ومشاهدتهم إلى تلك الخارقة العظمى وهي انشقاق البحر وانفلاقه, كل فلق كالطود العظيم, فإنهم ما جفت أقدامهم حتى قالوا لموسى: **"اجْعَلْ لَنا إِلَهًا كَما لَهم آلِهَةٌ"** (الأعراف:138) إلى غير ذلك من طلباتهم. وقد عبدوا العجل وذلك لأن الإيمان لم يستقر في قلوبهم كما استقر في قلوب الأمة المحمدية التي كان إيمانها ذوقا ووجدانا,

قال عليه الصلاة والسلام: "مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ, وَلَكِنَ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ".

وهكذا اتباع المرشدين في طريق الله من ساداتنا أهل التصوف, فإن من تبعهم بقصد أن ينال نصيبا من ذلك السِّر الذي وقر في صدر أبي بكر وحصل على ما كتبه الله له منه, فإنه لن تهزّه عواصف الرياح.

وهناك من تبعهم لأجل كرامة أو إحياء حيوان مثلا, أو أن الشيخ يفعل كذا وكذا... فهذا لا يثبت ويبقى يتخبط, تارةً يُقْبِلُ وتارةً يُدْبِرْ, لأنه إن رأى أحدا أحيى له دجاجة مثلا (كما يشاع عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه) فإنه يؤمن به في ذلك الحين, ولو جاءه آخر وأحيي له كبشا مثلا أو بقرة لاستبدل الثاني بالأول, وبالأحرى إذا رأى من أحيى له جملا أو فيلا, لأتبعه أيضا, والفرق بعيد بين الشقين" (اه).

وقد كان كثيرا ما يقول عند اجتماع الفقراء:

"يا أحبابنا, من رأى نفسه أنه نال شيئا من طريقتنا وتحقق أنه على فائدة وزيادة فيما يقربه إلى الله, فالله حسيبه إذا استبدل بنا. ومن بقي كما دخل ولم يزدد شيئا, فالله حسيبه أن يبقى على طريقتنا, لأن شرط الصحبة في الطريق هو النفع. ومن رأى منكم شيخا آخر عنده شرابٌ خيرٌ من شرابنا, فالله حسيبه إن لم ينصحنا لنذهب جميعا نتبع ذلك الشيخ".

ثم تكلم رضي الله عنه فيما يخص المبشرين فيما معناه:

"إن المبشرين وما هم عليه من أعمال الجد والاجتهاد ببذل الأموال الطائلة وتكبد المشاق في الأسفار لنشر الديانة المسيحية, فلو اعتنى أبناء الإسلام

بعُشْرِ (10/1) ما قام به هؤلاء, لعَمَّ دينهم الكرة الأرضية. ولكن الذي أهمَّنا أكثر من كل شيء هو أن أبناء الإسلام عاملين على تحليل أوصاله وفك عراه عروة, عروة". (اه). ثم ختمت الجلسة بتلاوة شيء من كلام الله, وافترق الكل مبتهجا بما سمعه من تلك العبارات الهامة.

من سيدي بلعباس : السبت 05 مايو 1928م, 14 ذي القعدة 1346هـ

وفي يوم السبت من التاريخ المقدم الذكر سافرنا من وهران قاصدين مدينة سيدي بلعباس, وعند وصولنا إلى المحطة امتطينا الرتل الحديدي (القطار) وقد أكتري لنا في الرتبة الثانية. وعند جلوسنا اقبل حضرة السيد عبد السلام بن طالب النائب العمالي بمدينة تلمسان, حيث كان مسافرا إلى مسقط رأسه تلمسان, وكان قد اكترى في الرتبة الأولى, ولما وجد الأستاذ هناك, ترك مقعده الأول وركب معنا, وهذا الفعل وحده دليل كافي على محبة عظماء الأمة للأستاذ. وبعد السلام البالغ والجلوس, تجاذبا أطراف الحديث, ومن جملة ذلك أن تكلما على مسالة افتراق الأحزاب بتلمسان, فقال السيد عبد السلام: "إن الأمة كلفتنا بالدفاع عن حقوقها العامة لا عن أغراض حزبية", وقد أعجب الأستاذ بهذه الكلمة فقال له: "هكذا ينبغي للنائب أن يكون".

وعند وصولنا إلى مدينه سيدي بلعباس صادفنا في المحطة المقدم الأبر ولي الله سيدي محمد بن بابا أحمد التلمساني وهو يريد التوجه إلى تلمسان, فلما رآنا عدل عن الذهاب وأخذنا إلى محله وهو دكان للتجارة وذلك بعدما استشار الأستاذ هل يذهب به إلى مسكنه أو يفضل الذهاب إلى الدكان حتى يعلم الفقراء العلاويين بقدومنا. وعند الجلوس قدم لنا الشاي بعدما أن قال له الأستاذ ألا يكلف نفسه بشيء من الغداء. فبعث ابنه ليُعْلِمَ الفقراء بحضور الأستاذ. وأول من جاء منهم السيد الحسين بن حاجي والسيد الشيخ محمد بن علي الخالدي

(مقدم الطريقة العلاوية بسيدي بالعباس لاحقا) والسيد محمد شكشو. وكان قد جاء قبلهم مقدم الطائفة التيجانية بسيدي بالعباس وسلم على الأستاذ وجلس معنا زمنا من الوقت لمحبته في الأستاذ. ثم ذهبوا بنا إلى الزاوية, فتواردت الفقراء, وبعد السلام شرعوا في السماع وتلاوة القرآن, وكان الذي يتلو أحد الطلبة من بلاد تافيلالت وهو يجيد التجويد وله صوت حسن, فقرأ قوله تعالى: **"رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ"** (النور:37), وبعد فراغه من التلاوة، قال الأستاذ رضي الله عنه:

"إن الذي يفهم من منطوق هذه الآية الكريمة أن الممدوحين مع وجود بيعهم وتجارتهم غير غافلين عن ذكر الله, لا لكونهم لم تكن لهم تجارة بدليل قوله تعالى "وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ", لأن الزكاة لا تجب إلا على ذي المال, فدلَّ هذا على أن أموالهم وتجارتهم لم تلهيهم عن ذكر الله, فهم على وجود البيع غير غافلين, وهذا أظهر من قول من قال أن المشار إليهم في الآية هم أصحاب الصفة, مع أنهم رضي الله عنهم لم يكن لهم مال ولا تجارة ولا بيع يلهيهم عن ذكر الله, وقد قال تعالى في حقهم آمراً لنبيه عليه الصلاة والسلام: **"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ"** (الكهف:28), والبيع والتجارة يناقضان ذكر الله بالغداة والله أعلم" (اه).

ثم وجبت صلاه المغرب فأديناها وذهبنا إلى بيت السيد الحسين بن حاجي, وكان قد اعد العشاء. وبعد الفراغ منه اجتمع الفقراء على الذكر والسماع والتلاوة, قال الأستاذ رضي الله عنه:

"إن قول الحق جلت عظمته **"وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ"** (التكوير:29) أنه تعالى نفى المشيئة عن العبد من جهة وأثبتها له من الأخرى, وهو معنى الكسب الذي يقول به أهل السنة, والمعنى أنه تعالى نفى المشيئة عن العبد

بالاستقلال, فكأنه يقول: وما تشاؤون! يعني بأنفسكم, ولكن إذا شاء الله فإنكم تشاؤون... والله أعلم" (اه).

ثم قام الفقراء للحلقة الصدرية المسماة عندنا بـ "العمارة", وبعد أن جلسوا تليت آيات من الذكر الحكيم ورفعت بالأكف للدعاء وافترق الجميع شاكرين الله على تلك الليلة المباركة. ثم دخل الأستاذ إلى غرفة أعدها له صاحب البيت, كما نمت أنا بغرفة أخرى بجانبها. عند اقتراب صلاة الفجر أيقظنا صاحب البيت فصلينا جماعة ثم رجعنا إلى مضاجعنا إلى طلوع الشمس, فذهبنا إلى الزاوية وجاء من بعد ذلك الفقراء للسلام كالعادة, فتارة تسمع مذاكرة منه وتارة سماعا وتلاوة للقرآن إلى الساعة 12:00 حيث دعانا حضرة المقدم الأبر السيد محمد بن بابا أحمد إلى بيته لنتناول الغداء, فذهبنا وقدم لنا مأدبة معتبرة, أكثر الله خيره.

من تلمسان : الأحد 06 مايو 1928م, 15 ذي القعدة 1346هـ

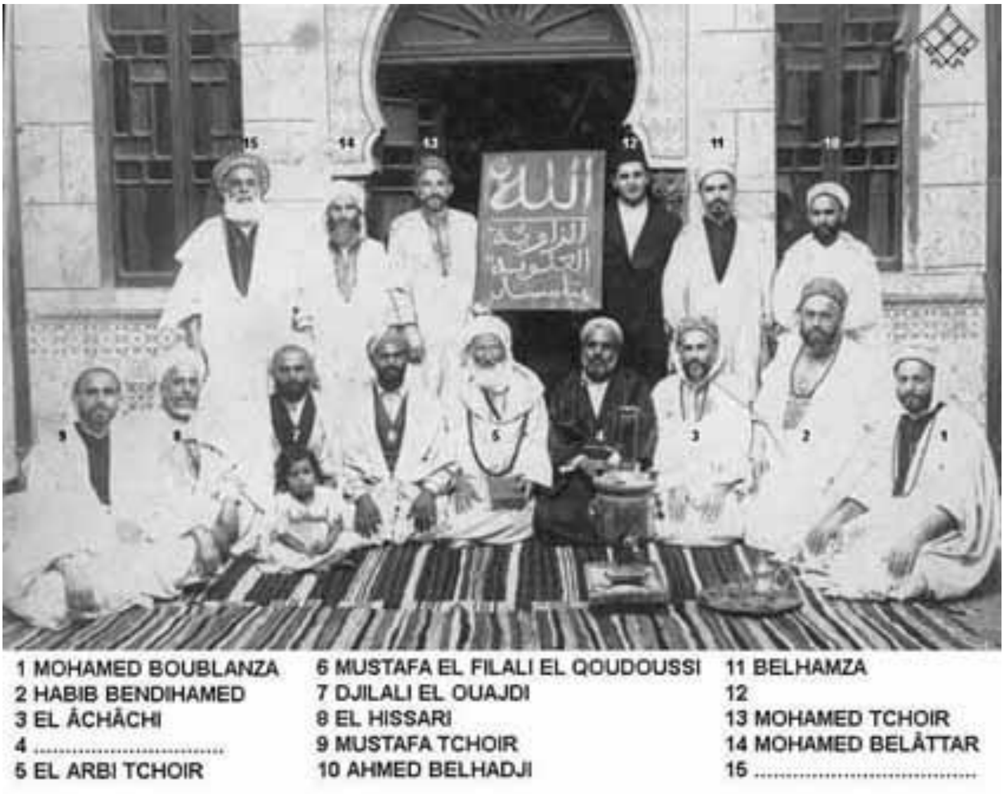
بعد صلاة ظهر يوم الأحد من التاريخ المقدم الذكر توجهنا إلى المحطة قاصدين مدينة الجدار تلمسان, فوصلناها على الساعة 4:00 مساء من يوم الأحد, فوجدنا جمعا غفيرا من الفقراء صحبة المقدم المحترم الشيخ سيدي العربي أشوار في انتظارنا, ومن جملة من جاء معه, حضرة المقدم في الطريقة القادرية بعين تموشنت السيد أحمد القندوز. ومن حين وصولنا إلى الزاوية والزائرون يتواردون من الفقراء والأفاضل من أهل المدينة حتى وقت المغرب, فأدينا المفروضة وقراءة الوظيفة, ثم ذهبنا لتناول العشاء. وعند رجوعنا وجدنا الزاوية مكتظة بخلق الله يترقبون الأستاذ للتبرك به والسلام عليه. ولما جلس الأستاذ شرع الفقراء في الذكر والسماع بهدوء وسكينة ما يزيد في السماع رونقا على ما فيه من طلاوة ألفاظ القوم رضي الله عنهم

حتى كاد المجلس أن يهتز طربا ويتمايل سرورا. وداموا على ذلك الحال ما شاء الله, ثم سكت الكل, فتكلم الأستاذ رضي الله عنه بمواعظ ذات أهمية فيما يرجع للدين الإسلامي وفيما يرجع إلى التحبب لأهل الله الواصلين والعلماء العاملين, ثم عطف الكلام على مؤتمر المبشرين الذين عقد هذه السنة في القدس الشريف وما دار فيه من الكلام بين أعضاءه, فقال رضي الله عنه:

"إن الغرض الوحيد لهذا المؤتمر هو التدبير كيف يحوطون بالعالم الإسلامي ويُنَصِّرُونَهُ, أي يدخلونه في النصرانية, ويفرقون ما بقي من مجموعه, وكل هذا يقع وعظماء الأمة الإسلامية في غفلة عن هذه التيارات الجارفة التي تهدد الدين الإسلامي من الجهات الستة, يريدون القضاء على الأمة المحمدية وتشتيتها شذر مذر, فيأتونها من وجهة بالإلحاد ومن الأخرى بالتبشير ومن الثالثة بالتجديد ومن الرابعة بالرقي الموهوم ومن الأخرى بتشييد مكاتب ومستشفيات الإحسان للضعفاء, إلى غير ذلك من الوجوه. وكان الأجدر برؤساء الأمة الدفاع عن كيان دينهم ولو تكبدوا جميع المصاعب ولاقتهم كل أنواع المتاعب".

فتكلم السيد الحسن بن عبد العزيز البغدادي وقال: "إن هذا لا يكون إلا بصرف الأموال الطائلة, وعليه فإن الواجب على أصحاب الثراء من أمة الإسلام أن يتبرعوا كل على حسب وسعه... فصاحب 1000 يتبرع بـ 100 وصاحب 10,000 يتبرع بـ 1000 وصاحب 1000,000 يتبرع بـ 10,000 مثلا, وبهذا تتم الأعمال". فرد الأستاذ: "أما أنا فأقول هو كذلك غير أني ألاحظ أن المسؤولية لا ترجع إلا على عظام الأمة ورؤسائها من العلماء والأمراء والكبراء, وأن الذي يجدر بهم هو أن يعقدوا اجتماعا عاما يأتمرون فيه على مثل هذه الحالة ويتفاهمون فيما يعود نفعه على حفظ شريعة سيد الأنام عليه

ألف صلاة وسلام, فهم الذين يقدرون على جمع كلمة الأمة وتفهيمها تفهيما شافيا فيما يهدد دينها وما هي حالتها وحالة ناشئتها فيما يستقبل فبذلك تفيق الأمة من سباتها وتنهض الهمم للعمل ببذل المال وغيره. وإن بقي الحبل ملقى على القارب وكل سائر حسب أغراضه النفسية ولا التفات منهم لدين الله ولا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, فعلى العالم الإسلامي السلام إلا مَنْ رحم ربك".



Disicples de la tariqua Alawiya à la zaouia de Tlemcen en 1934.

سياحة الشيخ العلاوي إلى القطر التونسي سنتي 1918 و 1928م

زار الشيخ أحمد العلاوي رضي الله عنه الزاوية المدنية بقصيبة المديوني، في مناسبتيْن الأولى: في سنة 1918م حيث زار الشيخ أحمد العلاوي, القسم الأولي من الزاوية, وجلس حذو المحراب, وكان ذلك حائطاً من الزاوية في بداياتها قبل أن ينتقل إليها الشيخ. وكان من بَين مُستقبليه الحاج محمود النعيجي، مُقدّم النعيجة (منزل فارسي-ولاية المنستير) وقضى فيها بضعة أيامٍ. وكانت هذه الزيارة بغرض تَهنئة تلميذه الشيخ المدني بزواجه الثاني من أم الفقراء الحاجة هنونة. وكان الشيخ المدني آنذاك لا يزال يسكن في البَيت الأسري حيث يقيم مع بعض أقاربه (وَسط بلدة قصيبة المديوني). هذا وقد أقام أفرادَ عائلته صفًّا واحدًا حتى يسلموا على الشيخ العلاوي. وناول زوجتَه 200 فرنكًا وقال لها: قدمي هذه الهدية لسيدنا الشيخ العلاوي. فلما قدّمتها له، تسلمها ثمَّ ردّها إليها قائلا: هَذه هديتي إليكِ. فتَمَنَّعت ولكن الشيخ محمد المدني أمرها بعَيني أن تقبل الهَدية.



الشيخ سيدي محمد المداني مع جماعة من الفقراء بتونس

ولما وصل إلى أمي الجمالية (أم محمد المدني التي رَبته ولكن لم تُنجِبه لأنَّ والدتَه فارقت الحياة وهو صغير جدًّا)، قَدمها قائلا: هي في مقام والدتي وأنا أجلّها. فأكبَّ عليها الشيخ أحمد العلاوي وقبَّلَها في جَبينها، وشَكرها على حسن صنيعها مع رَبيبها. بُعيدَ ذلك رأى جملاً واقفًا أمام البَيت، وكان لم يتعود رؤية الجمال من قَبل في مستغانم، فَظلَّ يَتَأمله ويذاكر حول عظمة الله وحكمته في مخلوقاته.

هذا وقد كانت إقامته في بيت صغير في مقام الولي الصالح سيدي المديوني. ولما انتهت الزيارة ألَّف الشيخ المدني قصيدَته العذبة: "أيها الإخوان هذا جمع الله السلام" لتوديعه.

وتمت الزيارة الثانية في بداية العشرينات حيث زاروا منطقة السواسي التي بدأ فيها حضور الفقراء ومدينة القيروان.

في سنة 1928م أراد الشيخ أحمد العلاوي زيارتَه الثالثة، بمناسبة عودة الشيخ المدني من حجّته الأولى، ولكن السلطات الفرنسية مَنعته فأرسل عدّة بن تونس نيّابةً عنه.



مكان جلوس الشيخ العلاوي



الزاوية المدانية العلاوية بقصبة المديوني

فخلال زيارته الزاوية المدنية بقصيبة المديوني سنة 1918 ليهنِّئَ مريدَه ونائبَه في تونس الشيخ محمد المدني، رحمة الله عليهما وكان من جملة الحاضرين في تلك الزيارة الحاج محمود النعيجي، فقيرٌ مَدني شاب. وأراد أن يغتنم فرصة حضور الشيخ العلاوي ليغترف من بحار فضله وعلمه فتوجه إليه. وطلب منه أستاذه المدني خدمة الشيخ العلاوي والسهر على راحته. وقبيل النوم، كلما طلب شيئا من الشيخ العلاوي يجيبه:

- على ما ترى.
- هل أجلب لك الماء يا سيدي؟
- على ما ترى.
- هل تريد غطاء؟
- على ما ترى.
- هل أطفئ المصباح؟
- على ما ترى.

وكان يسعى من وراء هذه الأسئلة نيلَ مذاكرةٍ أو نظرةٍ، ولكنَّ الشيخ العلاوي كان مستغرقا في ذكر الله طيلة الليل، حتى غلبه هو (الحاج محمود) النوم، ولم يفطن إلا والشيخ المدني على رأسه يوقظه لصلاة الصبح.

قصة نادرة وأحوالها شارقة فيه صدق التوجه إلى شيخ التربية، وفيها آداب الشيخ المدني مع شيخه ولطفه مع أبنائه، وفيها استغراق الأستاذ العلاوي مع رَبِّه. رضي الله أجمعين ونفعنا بأسرارهم. رحمهم الله أجمعين وثبتنا على عهودهم وحبهم إلى يوم الدّين.

=====<<<>>>======

سياحة الشيخ العلاوي الأولى إلى المغرب سنة 1924م- 1343هـ

إلى وقت غير بعيد, كنت أعتقد أن لا سبيل لي للحصول على تفاصيل سياحة الشيخ العلاوي بالمغرب الأقصى لسنة 1924م, 1343هـ, وذلك لعدة أسباب, أولها أنه لم تكن هناك جريدة رسمية للزاوية العلاوية في تلك السنة, حيث جريدة لسان الدين توقفت عن النشر في مارس 1923م, 1342هـ, وجريدة البلاغ الجزائري ظهرت في ديسمبر 1926م, 1345هـ, ثم إن الفقراء الذين رافقوا الشيخ العلاوي وخاصة المقربين منه, لم ينشروا تفاصيل السياحة, سواء في كتبهم أو رواية عنهم في كتب غيرهم كالشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي, والشيخ سيدي الحاج عدة بن تونس, رحمهم الله ورضي عنهم.

وقد كان سيدي الحسن بن عبد العزيز القادري البغدادي, الأخ الأكبر لسيدي صالح بن عبد العزيز, قد سافر سنة 1924م, 1343هـ, في مهمة خاصة مبعوثا من الشيخ العلاوي إلى فاس ليهيئ له سياحته بها وهو بذلك أعد لزيارة الشيخ العلاوي الأولى للمغرب الأقصى, حيث كان التقى ببعض علمائها وفضلائها، منهم الشيخ محمد الحبيب بن الصديق الأمغاري الحسني المدرس بالقرويين الذي زار الشيخ العلاوي مرتين بمستغانم، ومحمد الفاطمي بن محمد الحبيب الحسني الإدريسي المحمودي الدرقاوي طريقة، والشريف البركة أحمد الدباغ والسيد محمد العطار، والمحب الخير عمار اللبار من أعيان النجار الأفاضل، وممن زارهم العلامة المحدث الشيخ سيدي محمد عبد الحي الكتاني.

وقد أذن الله تعالى لتفاصيل تلك السياحة بالظهور وذلك في كتاب كنت أبحث عنه منذ سنين عديدة حتى تحصلت عليه بإذن الله دون قصد. وهذا الكتاب النادر هو: كتاب إتحاف ذوي النهي والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه

وبعض خلفائه الأكابر, للشيخ عبد ربه اليزيد البوجرافي المعروف بالبوزيدي, شيخ الزاوية العلاوية بمليلية, تلميذ الشيخ محمادي بلحاج والشيخ مولاي سليمان بن المهدي رحمهم الله ورضي عنهم, والذي نشر سنة 1990م, 1411هـ, وقد قمت بالتحقيق والتصحيح وإضافة بعض المعلومات المفيدة, جاء فيه:

شد الشيخ العلاوي رضي الله عنه الرحلة لسياحته الطويلة الكبرى لبلد المغرب الأقصى (سنة 1924م, 1343هـ) والتي كانت زيارته الأولى للديار المغربية, حيث زار فاس ومكناسة الزيتون وسلا والرباط والدار البيضاء ومراكش, واجتمع في هذه المدن بكثير من علمائها وشيوخها وصلحائها.

وصحب معه في هذه السياحة (الشيخ محمد بن خليفة المدني) والشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي, والشيخ سيدي الحاج عدة بن تونس, وكانا منشدين للشيخ وقته, فقال لهما: "إننا سنذهب لمدينة فاس وهناك منشدون لهم نغمات وألحان وأصوات حسنة ويحفظون الكثير من أشعار الصوفية, فاثبتوا ولا يهولنكم ذلك فتضعفوا ويضعف ريحكم".

فلما خرج رضي الله عنه كانت أول مدينة مغربية نزل بها هي وجدة, فاستقبل من طرف أهلها بالحفاوة والإكرام فمكث بها أياماً.

يقول الشيخ محمد بن خليفة المدني: فتلقاه علماء مدينة وجدة بأعظم إكرام وذاكرهم الشيخ بكثير من المسائل العلمية والحقائق التوحيدية الصوفية, منها أنا كنا في ضيافة أحد أهل البلد وصحبتنا جميع علمائها وكنا لا نعرف رب الدار المتكرم علينا, وبعد أن بسطت النعم ووضعت موائد الفضل والكرم قال الشيخ رضي الله عنه:

"إن النعم مبسوطة علينا من كل نوع وإنا وإن كنا نتحقق أنها من عند المنعم لأننا في داره ولكن هل يحسن بنا أن نخرج من الدار دون أن نعرف رب الدار وهل يرضى رب الدار إذا لم نسأل عنه ونعرفه حقيقة ؟".
فأجاب الجماعة كلهم: "لا".
فقال " كذلك ولله المثل الأعلى إننا الآن في هاته الدار الدنيا ونعم الله علينا لا تحصى ونتحقق أنها من عند المنعم جل وعلا ونستدل بها عليه ولكن ذلك معرفة مجرد الإيمان أو نقول معرفة الدليل والبرهان ولكن القلوب لا ترتاح ولا تهنأ العقول والأرواح حتى نعرف الحق معرفة إيقان أو نقول معرفة شهود وعيان والحق تعالى لا يرضانا إذا لم نرق إلى أعلى درجات الإحسان".
فأخذ الجماعة الحاضرين وجد عظيم وتمكن من قلوبهم هذا المثال المنطبق على معرفة الكبير المتعال.

ثم مر الشيخ العلاوي على مدينة بركان, وكان في ضيافة القائد الحاج محمد المنصوري. فلما خرج من عنده خطر بباله زيارة مريده المأذون بالتربية والإرشاد الشيخ سيدي محمادي بلحاج الطاهر, وكان وقتها مسجونا في مدينة مليلية عند حكام الإسبان (حيث ابتلاه الله تعالى بمحنة السجن دام فيه نحو سبع سنوات ونيف) , فقال له الإخوان إن المسافة طويلة فعدل عن ذلك.

ثم توجه نحو مدينة تازة, فلما دخلها قصد الزاوية الدرقاوية فوجدها مقفولة فقال لرفقائه: "سيروا بنا فإن سلعتنا لا تنبت هنا".

ثم توجه إلى مدينة فاس, فلما وصلها نزل بها ضيفا على مريد له وهو في نفس الوقت مقدم الطريقة العلاوية بفاس, اسمه سيدي عمر اللبار.

فسمع به علماء فاس فاجتمعوا بشيخ الجماعة وقتهم العلامة سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري, فقالوا له: "سمعنا أن الشيخ سيدي بن عليوة نزل عند سيدي عمر اللبار فنريد أن يحضر عندنا لنجتمع به", فساعدهم واتفقوا ألا يسألوه عن شيء ولا يكلموه وأن يجالسوه بأدب واحترام, فاستدعوه لمسجد القرويين فلبى دعوتهم.

فلما حضر وقد غض المسجد بالعلماء والتجار والعامة والخاصة قاموا لزيارته والسلام عليه فجلس في المحراب وشيخ الجماعة بجنبه, فكان أول سؤال ألقاه عليه حديث رسول الله والذي يقول فيه "أعوذ بك منك ", فلم يتم الحديث امتحاناً له, ليعلم هل له علم بالحديث أم لا, فقال له الشيخ العلاوي أتمم الحديث: لا ملجا منك إلا إليك", ثم تتابعت الأسئلة والأجوبة, وفي النهاية قال له شيخ الجماعة: "مرحبا بكم يا سيدي إن العلماء الحاضرين يلتمسون من سيادتكم أن تشرح لهم سورة الإخلاص", فأنعم بذلك فصعد المنبر وشرع في تفسيرها عقب صلاة العصر إلى أن سمعوا نداء المغرب, فأتى في ذلك بما أدهش العقول من العلوم والمعارف, فطالعهم ما لم يتقدم لهم به علم. وقد أخبرنا الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي قال: " رأيت بعض العلماء شاخصين فيه بأبصارهم حتى غابوا عن عقولهم". كما أخبرنا العلامة الفقيه القاضي العلامة سيدي الحاج العربي الورياشي رحمه الله تعالى قال: "كنت حاضرا لشرح الأستاذ العلاوي سورة الإخلاص في مسجد القرويين وكنت أسمع ولا أدري ما يقول, حتى ظننت أن كل العلماء الحاضرين مثلي لا يفهمون ما يقول", ثم ختم الدرس رضي الله عنه ودعا مع الحاضرين عموما وخصوصا.

فقام شيخ الجماعة سيدي أحمد بن الجيلالي فقال: "أيها الحاضرون, إن هذا الرجل الذي سمعنا منه هذا الشرح قد انطوى فيه سر أولياء الله الصالحين, والآن فمن كان على الطريقة القادرية, فهذا هو الشيخ مولاي عبد القادر, ومن كان منكم على الطريقة التيجانية فهذا هو الشيخ التجاني, ومن كان منكم على الطريقة الدرقاوية فهذا هو الشيخ الدرقاوي فخذوا عنه". فلما سمع منه الحاضرون قاموا وأخدوا به وجعلوا يزورونه ويطلبون منه تلقين طريقته والتجديد عليه, فأخذ عنه في ذلك المشهد أقوام لا يحصون كثرة.

ثم استدعاه أحد تجار فاس ووجهائها اسمه الشيخ العطار وحضر الحفل أكابر العلماء والشرفاء والعباد وبعض المجاذيب, فكانت الليلة من نوادر الدهر ذكراً وإنشاداً صوفية وأمداحاً نبوية مناوبة بين المنشدين الفاسيين والعلاويين, ثم تفرّد المنشدون العلاويون بإشارة من شيخهم العلاوي خرجوا بالقصيدة الجديدة مطلعها:

عَروسُ الحضرَة تجلَّت　　بالبهاء مُذ تدّلـــت

مثل عذراء قد تسلّـــت　　بالصهباءِ والغنـــا

فهي قصيدة طويلة كانوا ينشدون بها إلى أخرها, وكان أحدهم يقول نصف البيت والأخر يختمه, فتلونوا فيها على ثلاثة صيغ, فلما سمع الحاضرون لهذا الكلام الجديد للسان الحقيقة تعجبوا وتحلوا. وفي النهاية تكلم الشيخ العلاوي مع الحاضرين حيث قال: "سادتي ما تقولون في صاحب هذه القصيدة؟", فكان جوابهم خاضعين له.

وفي أثناء الحفل جاء بعض المنكرين يريدون امتحان الشيخ, فجلسوا آخر الحاضرين فاتفق معهم صاحب المنزل ألا يكلموه ولا يسألوه عن شيء لما

علم منهم الإنكار, فلما رآهم الشيخ قال: "سادتي الكرام ما جئناكم إلا لأجل أن تكلمونا ونكلمكم, وتسألونا ونسألكم", فرفع المنكرين الملاحظين أياديهم يريدون السؤال, فاستقربهم الشيخ حتى جلسوا بين يديه, فقال لهم "هل لكم سؤال؟", قالوا: "نعم", قال: "وهل أقول لكم أنا قبل أن تسألوا أم تسألوا أنتم قبل أن أقول؟", قالوا: بل قل لنا أنت", فنادى بأعلى صوته : "سادتي الحاضرين الكرام, إن هذه الطريقة التي نحن عليها وهي الطريقة العلاوية الدرقاوية الشاذلية, هي طريقة مؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, ومبنية على الاستقامة والعمل الصالح, فهي ليست طريقة أخذ الحيات ولا أكل الحشرات أو أكل النار أو ضرب الرؤوس بالحديد أو اختلاط الرجال بالنساء, ما هي إلا طريقة العبودية لله تعالى والوقوف على حدود الشريعة". فلما سمع مقالته أولئك المنكرون الملاحظون قاموا إليه وقبلوا يده وقالوا: "هذا والله الذي كان في ضميرنا نسأل عليه فقد شفيت لنا الغليل".

ثم تابع سياحته إلى مدينة مراكش, وقد سمعت أن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب الأمغاري البدوي الدرقاوي هو الذي كان يرأس السياحة بالمغرب بإذن من الشيخ العلاوي حتى رجع إلى مدينة مستغانم رحمهم الله جميعا.

======<<<>>=======

سياحة الشيخ العلاوي الثانية إلى المغرب سنة 1928م - 1346هـ

منذ سنين تاقت نفس الأستاذ العلاوي إلى زيارة (ثانية) للإيالة المراكشية والاجتماع بمن فيها من الفضلاء والعلماء والشرفاء كما كان الكثير ممن كنت أطلع على رسائلهم يودون رؤيته بكل اشتياق ويتعشقون للاجتماع به تعشق الولهان إلى أعز الخلان, وفيهم من أمَّ الزاوية لزيارته والاغتراف من بحره الطامي وسره الهامي.

وكان قد زار المغرب سنة 1924م, 1342هـ حيث بعث قبل ذلك كاتبه الخاص السيد الحسن بن عبد العزيز البغدادي في مهمة خاصة إلى فاس ليهيئ له سياحته بها وهو بذلك أعد للشيخ العلاوي الزيارة الأولى للمغرب الأقصى حيث التقى ببعض علمائها وفضلائها, منهم محمد الحبيب بن الصديق المغراوي الحسني المدرس بالقرويين الذي زار الشيخ العلاوي مرتان بمستغانم, ومحمد الفاطمي بن محمد الحبيب الحسني الإدريسي المحمودي الدرقاوي طريقة, والشريف البركة أحمد الدباغ والسيد محمد العطار, والمحب الخير عمار اللبَّار من أعيان النجار الأفاضل, وممن زارهم العلامة المحدث الشيخ سيدي محمد بن عبد الحي الكتاني.

وقد أبت الظروف أن تمن عليه بتلك الزيارة إلى هذه الآونة الأخيرة حيث سمحت له الحكومة برخصة السفر إلى تلك الإيالة بعدما اعتذرت له عن مثلها لزيارة دار الله الحرام والشخوص أمام قبر سيد الأنام صلى الله عليه وسلم, وكان بصحبته في هذه السياحة المباركة كاتبه الخاص محمد بن البشير الجريدي الذي نقل لنا أغلب تفاصيل السياحة إذ لا بد له من كاتب يكون مصاحب له في الحضر والسفر, ودامت سياحته بالمغرب شهرا ونصف.

بدأ الشيخ أحمد العلاوي سياحته بالغرب الجزائري قبيل وصوله إلى الإيالة المراكشية, ومن هناك عرج على مدينة وجدة ثم العيون, فاس, مكناس, الرباط, سلا, الدار البيضاء, الجديدة, مراكش, ثم فاس مرة أخرى لإتمام بعض مآربه ثم العودة إلى مستغانم. وقد تضاربت تواريخ وجوده بالمغرب, حيث نشرت جريدة البلاغ تقارير حول سياحته من جريدة "السعادة" المغربية ولاحظنا بعض الاختلاف سواء كان تاريخ كتابة التقرير أو تاريخ النشر والاختلاف بينهم يتراوح بين أسبوع إلى عشرين يوما, ففضلنا عدم ذكر التواريخ حتى نجتنب الخطأ وذلك ابتداءً من وصوله إلى مدينة فاس.

من وجدة

الاثنين 14 مايو 1928م, 24 ذي القعدة 1346هـ

كان خروجنا من تلمسان يوم الاثنين من التاريخ المقدم الذكر على الساعة 11:30 على سيارة لحضرة التاجر الأرضى السيد محمد بن المرابط, أما سائقها فهو أخوه الأنجب السيد مصطفى, وقد كنا أربعة ركاب, فيها الأستاذ والسيد الصالح بن ديمراد والسيد مصطفى السائق وكاتب النميقة (يعني بها نفسه محمد بن البشير الجريدي), وقد قدم جماعة يريدون تشييع الأستاذ إلى وجدة, وحين لم يجدوا موضعا, ذهب بعضهم على طريق السكة الحديدية وبعضهم في سيارة معدة للركاب يوميا, وهم حضرة المقدم المحترم العربي أشوار وابنه الأخ الأبر سيدي مصطفى والأخ سيدي الحبيب بن حامد والسيد الجيلالي الدرقاوي والسيد الحاج يحيى الفجيجي والسيد علال الريفي والسيد أحمد بن عبد المؤمن الطنجاوي والسيد محمد بن عبد الله الخضري البسكري, وهذا الأخير جاء من بلاد بسكره بقصد زيارة الأستاذ, ولما لم يجده بمستغانم لحقنا إلى تلمسان وذهب معنا إلى السياحة بأرض المغرب الأقصى, وكذا

حضرة المقدم الأجل السيد صالح بن عبد العزيز القادري وسيدي عبد القادر بن المكي المستغانمي الذي لحقنا من وهران. وعندما انصرف الجماعة أطلق السائق آلة السيارة وتوجهنا على بركة الله قاصدين وجدة.

وعند وصولنا إلى بلدة صبرة وهي قرية تبعد عن تلمسان بـ 30 ميلا, نزلنا بقصد أداء فريضة الظهر ببيت الأجلين السيد الحسين بن الحبيب التلمساني وأخيه السيد الجيلاني التاجرين هناك, وقد تشرفا بالطريقة في ذلك الحين, ثم ودعناهما وسافرنا على الساعة 3:30 مساءً فوصلنا إلى مدينة مغنية ولم ننزل بها, ومن هناك اعتدلت الطريق فأطلق السائق عنان السيارة حتى كادت أن تكون طائرا على وجه الأرض تطويها طيا فدخلنا وجدة على الساعة 4:30.

وكان أول ما لقينا حضرة الباشا بتلك المدينة السيد مولاي أحمد بن منصور, إلا أن سلامه كان مقرونا بالوداع حيث كان على سفر. ثم ذهبنا إلى دار السيد أحمد بن إسماعيل التلمساني فنزلنا بها وقد كان أعد مأدبة الغذاء لظنه وصولنا قبل ذلك الوقت. وعند وصولنا أبلغ حضرة العلامة الأنجب السيد القاضي الشيخ بتلك المدينة السيد محمد بن قدور والفقيه السيد مولاي عبد الكريم مقدم الطريقة الدرقاوية بوجدة والتاجر الأحظى حضرة السيد عبد الغني زيري الفاسي التاجر, فتناولوا معنا الغداء, وبعد رفع الموائد مدت مأدبة الشاي ثم دارت بين الأستاذ والقاضي ومن معهم مذاكرات علمية ونكت صوفية ومحادثات ودادية, ثم استأذنوا الأستاذ للذهاب فسمح لهم. وبعد ذلك انتقلنا نحن الفقراء صحبة الأستاذ إلى دار الأخ الأبر السيد محمد بن شعبان التلمساني وهو أخص فقير علاوي بمدينة وجدة وبابه مفتوح لمن يؤمه من إخواننا الفقراء بتلك الناحية, كثر الله من أمثاله بين ذوي الفضل والإيثار, وقد

أعد العشاء للأستاذ ومن معه, وكانوا زهاء 16 نفسا. وقد وجدنا عنده أحد الفقراء من بلاد الريف يدعى الفقيه السيد إدريس, وبتنا عنده.

الثلاثاء 15 مايو 1928م, 25 ذي القعدة 1346هـ

وعند الصباح أمر الأستاذ بعض الفقراء ليجدوا لنا بيتا في بعض الخانات لننتقل إليه تخفيفا على ذلك الأخ. فذهب حضرة المقدم سيدي صالح بن عبد العزيز لأنه كان على خبرة ومعرفة بالبلاد فمكث قليلا ثم رجع لنا قائلا: "هيا لنذهب إلى زاوية الشيخ سيدي مصطفى ماء العينين فان مقدمه الأبر العلامة المدرس والخطيب بالمسجد الأعظم سيدي عبد الرحمن بن الهاشمي عندما سمع بالأستاذ أنه حلَّ بوجدة كاد أن يطير سرورا وأبى أن نكتري بيتا في الخان, وقال لي ها هي الزاوي لكم, وكيف لا نتشرف بحلول قطب زمانه وفردا وهو بمحلنا؟", فذهبنا جميعا فوجدنا الرجل مرتجيا لنا وبصحبته حضرة الفقيه السيد الحاج بن عبد الله البلعوشي وجماعة من الطلبة, فاستقبلونا أحسن استقبال, أما احترامهم للأستاذ فكان على أتم معناه.

فنزلنا بتلك الزاوية المباركة, ومن حين جلوسنا هرع الناس للسلام على الأستاذ والتبرك بدعواته الصالحة, ومنهم الفضلاء والعلماء والشرفاء وغيرهم. وقد كان الأستاذ يعطي لمن يرى عليه أثر الاحتياج في 10 إلى 15 فرنكا, وأيم الحق حتى قال له بعض الأصدقاء: "إنك لتجد من هذا النوع كثيرا, فاقتصد في العطاء", فتبسم الأستاذ من قوله وأبى أن يرجع عن عطائه. أما من عرفت اسمه وعينه من الأفاضل فحضرة العلامة المدرس الشيخ السيد الحاج أحمد بن الحبيب والفقيه السيد المرتضى البودشيشي القادري وكان رجلا مبسوطا له من المحفوظات والنوادر ما ينبسط له جلسائه وكذا القاضي السيد عبد الحق المنوفي أحد أعضاء الجمعية بوجدة والفقيه الأنجب والأديب

الكاتب السيد المنور بن علي العزاوي الذي بعث مقالا يحتوي على خبر مجيء الأستاذ إلى جريدة البلاغ الجزائري وهي كالآتي:

"تشرفت مدينة وجدة بحلول الشيخ الأكبر, الوارث المحمدي الأشهر, الجامع بين الشريعة والحقيقة ومنار اهتداء الطريقة العارف بالله تعالى أحمد بن مصطفى بن عليوة في رفقة من تلاميذه ومقدميه ونزل ضيفا مكرما مبجلا معظما عند بعض أصدقائه, وبعدئذ تسارع الناس أفواجا لزيارته والتبرك به والتماس صالح دعواته, وصار يخاطب جميعهم بما يسرهم ويبش في وجوههم وهو في وسطهم قد علاه نور الجمال وهيبة الجلال، تلحظه الأعين بعين التعظيم والإجلال, فكيف لا وهو الجبل الراسخ والطود الشامخ الدال على الله بسائر أقواله المشير إلى التعلق به في جميع أحواله, ياقوتة العصر ونخبة الدهر:

لَهُوَّ الهمة العلياء بها ملك الــورى	فقامت له الأكوان في السر والجهـــــر
وأخلاقه الحسناء حدث بأنـــــــه	كشهب السماء جلت عن العد والحصر
فسارع وجد السيران رمت وصله	ولا تلتفت للغير فالغيــــر في خســـر
عليك به فاسلك طريقته التــي	منار علاها قد تتســامى بلا نكـــــــر

وقد قدم صباحا من مدينة أحفير الفقيه الأجل الشيخ سيدي أبو مدين بن المنور البودشيشي القادري وصحبه العلامة الأحضى السيد محمد بن إبراهيم قاضي مدينة أحفير سابقا. وكذا جاء بعض الفقراء من بلاد الريف الإسباني قاصدين مستغانم لزيارة الأستاذ والبعض من بني زناسن مثلهم, فقصَّر الله تعبهم بملاقاته بمدينة وجدة ورجعوا منها إلى بلادهم.

وما فتئ الزائرون يتواردون إلى بعد صلاة الظهر ثم أحضر صاحب الزاوية الشيخ عبد الرحمن الغداء للفقراء فأكلوا, وبعد ذلك بقليل وفد طلبة المدرسة بتلك المدينة على اختلاف طبقاتهم فتبركوا بملاقاة الأستاذ وطلبوا منه الدعاء الصالح, وبعد ذلك قرأوا شيئا من الذكر الحكيم, وحين عزموا على الانصراف أعطاهم الأستاذ "زيارة ذات بال" (قيمة مالية معتبرة) فقبلوها منه وذهبوا شاكرين له ومسرورين بمذاكراته.

أما حضرة الشيخ القاضي فإنه لم يمكث بمحكمته في ذلك اليوم أكثر من مكوته بجانب الأستاذ, ولما ذلك يا ترى؟ ليس ذلك إلا لِما سمعه من الحِكم التي تطرق مسامعه يومئذ, وقد أعطينا له بعض كتب الطريقة هدية, كما أنه أطلع على الرسالة التي ألفها الأستاذ في ذكر الاسم المفرد, فأعجب بها كل الإعجاب وقرظها, كما أهدى حضرته البعض من مؤلفاته للأستاذ.

وبعد صلاة المغرب جاء حضرة السيد عبد الرحمن علاوة التونسي المهندس المعدني للسلام على الأستاذ, وقد كان تشرف بالطريقة على يد الأستاذ في مدينة تونس لما ذهب إلهيا الأستاذ منذ 10 سنين, أي سنة 1918م, 1336هـ, وهذا السيد يرتدي اللباس الإفرنجي حتى أن الكثير لم يعرف أنه من المسلمين, وعلة على ذلك كثرة مخالطاته للإفرنج وجلوسه معهم, ومع كل هدا فإن عقيدته الدينية لم تتغير ومحبته للأستاذ ما فتئت تتوافر كما كنا نلاحظه من تحرقه على فراقه وشدة شغفه به, ولما سمع بسفر الأستاذ في صباح الغد تأسف غاية الأسف. وبعد أن ذهب حضرته وجبت صلاة العشاء فأتيناها, ثم ذهبنا إلى دار السيد الحاج محمد الأكحل وهو من خاصة إخواننا الفقراء, له من المحبة أوفرها, ومن الكرم ما هو به أولى, وقد أعد مآدبه العشاء لجميع من حضر مع الأستاذ تلك الليلة, أحسن الله له, ومضت ليلة معتبرة بما يقرب

إلى الله من الأذكار وتوابعها, وكان قد ذهب الأستاذ في ذلك اليوم مع جماعة من الفقراء يتفسحون في أرجاء المدينة على السيارة التي قدمنا فيها كما ذهب إلى المحكمة لمقابلة الحاكم بها ليمضي له على رخصه السفر.

الجمعة 18 مايو 1928م, 28 ذي القعدة 1346هـ

من العيون

وبعد أربعة أيام وفي يوم الجمعة من التاريخ المذكور خرجنا من مدينه وجدة على الساعة 9:00 صباحا وكان يوما شديد المطر كما مرت ليلته بطولها, وتوجهنا لمدينة العيون وكانت بينها وبين وجدة حوالي 59 ميلا, فوصلنا على الساعة 12:00, وقد وجدنا في انتظارنا حضرة السيد مصطفى بن رابح المحياوي الزناسني ومعه جماعة من الفقراء, فذهبوا بنا لدار أعدوها لنزول الأستاذ, فتناولنا الغداء بها وأدينا فريضة الظهر.

وقد توارد عباد الله من كل ناحية لزيارة الأستاذ والتبرك والنيل من صالح دعواته, ومن جملة من جاء في ذلك اليوم حضرة الجناب الرفيع والكهف المنيع السيد الخضر بن الشيخ الطيب بن أبي عمامة باشا العيون وصحبه عمه المفضال السيد سليمان بن أبي عمامة والعلامة الأرفع حضرة الشيخ الحسين بن محمد الجبلي الإمام والخطيب بمسجد العيون وغيريهم ممن لم أعرف أسمائهم, وجلسوا مع الأستاذ ما شاء الله ثم انصرفوا.

وبعد صلاة العصر جعل لنا الأستاذ درسا في ورقة الحطاب في فن الأصول, ولما فرغنا شرع الفقراء في الذكر والسماع. وبعد صلاة المغرب جاء إلينا ذلك الإمام المبرور قائلا لنا: "لتذهبوا معنا, فإننا قد أعددنا لكم منزلا فسيحا لائقا لنزول الشيخ ومن معه". فذهب بعض الفقراء ليتعرف على المنزل ثم

رجعوا وكان وقت صلاة العشاء فأديناها وتناولنا العشاء ثم ذهبنا إلى ذلك المنزل, فوجدناه على جانب عظيم من النظافة وقد فرشت بيوته بزرابي الصوف ووسائد, فجزى الله المحسنين خيرا, والأحسن من ذلك أنه كان بجانبه مسجداً. فبتنا به على أحسن حال.

السبت 19 مايو 1928م, 29 ذي القعدة 1346هـ

وعند الصباح توارد الفقراء من بني زناسن وغيرهم مع المقدمين, منهم حضرة الجناب الرفيع الشيخ سيد العربي بن اعمر والفقيه السيد موسى النزاعي والفقيه السيد المختار بن الشيخ سيدي عبد الله الحافي, وغيرهم... وقد دخلوا البلد رافعين أصواتهم بالكلمة الشريفة "لا اله إلا الله" حتى قال بعض التجار الفاسيين بالعيون: "لم أسمع هذه الكلمة المشرفة ينادى بها جهرة في المدينة حتى اليوم, ولهذا وجب علي أن أتمسك بطريقة هذا السيد الذي كان سببا في إسماعنا إياها", وقد انخرط في سلك الطريق فعلا, فمثل هذا حقيق بأن يعد من الذين قيل فيهم: **"إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا"** (الأنفال:2).

وفي هذا اليوم توارد عباد الله زرافات ووحدانا للتبرك بالأستاذ, ودخل في الطريق نحو 80 نفراً ومنهم المدرس (الشيخ الحسين بن محمد الجبلي الإمام والخطيب بمسجد العيون) والباشا (السيد الخضر بن الشيخ الطيب بن أبي عمامة باشا العيون) وبعض الموظفين ونحو 10 من خاصة التجار الفاسيين.

السبت 26 ماي 1928م, 6 ذي الحجة 1346هـ

من فاس

وبعد مضي 8 أيام من مكوث الشيخ العلاوي بالعيون وسياحته بنواحيها انتقل إلى مدينة فاس, والغريب في الأمر أن السيد محمد بن البشير الجريدي توقف عن إرسال تفاصيل السياحة إلى جريدة البلاغ الجزائري لأسباب نجهلها, ولكن الحمد لله ولحسن الحظ أن جريدة البلاغ الجزائري وصلتها بعض رسائل السادة المغاربة الذين حضروا زيارة الشيخ إلى فاس وكذلك بعض الجرائد بالقطر المغربي التي نشرت بعض المقالات حول سياحة الشيخ العلاوي خاصة بفاس.

جاء في جريدة "السعادة" تحت عنوان "ضيف جليل" نشرته جريدة البلاغ الجزائري ما نصه: "تشرفت العاصمة الإدريسية بزيارة رجل من أعاظم فضلاء القطر الجزائري وهو جناب العالم العامل الشيخ الكامل المربي سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي شيخ الطريقة العلاوية بمستغانم. لهذا الشيخ مكانة مكينة في قلوب أهالي ذلك القطر الذي قلما توجد فيه بقعة خالية من محب له أو مريد, وله في الأقطار الإفريقية صيت منتشر وأتباع يودونه ويبجلونه ويقدرونه بالمهج والأرواح. ورجل بهذه المكانة في الأنفس جدير بأن تنتشر أخباره وتداع أنباؤه وتشرح فضائله ومزاياه, ويبين ما له من الخصائص التي امتاز بها.

سبق لي (لم تذكر جريدة البلاغ اسم صاحب المقال) منذ عامين ونصف أن صادفت الشيخ بمدينه تلمسان عند عودتي من القطر التونسي, فتاقت نفسي لزيارته والتعرف عليه وتطبيق ما أشاهد من أحواله على ما كان ينقل الرواة

عنه. وقد توجهت بالفعل لزاويته هناك وأسعدني الحظ بالاجتماع به زمنا قليلا, ثم فارقته ولم أشف غليلا من تلك الزيارة التي كان القصد منها زيادة على التعارف بسر أحواله ووزن ما يقال عنه أو له أو عليه. لذلك كنت من أول المسارعين لزيارته عندما أشرف مدينتنا (فاس), فجالسته طويلا وأنصتت لمذكراته العلمية التي هي أهم ما يروج بمجلسه, فإذا الرجل من مفردات الزمان علما ومحافظة على الرسوم الدينية وتشبعا بالروح الإسلامية.

وهو مع شدة صلابته في دينه وغيرته عليه لا ينحو منحى الذين يغمضون أعينهم عن حيثيات المستحدثات العصرية التي لا تمس بجوهر الدين, وله خبرة تامة بشؤون العالم واطلاع نادر على ما يروج بكل الأقطار, كما أن له عناية خاصة بنشر محاسن الدين الإسلامي باذلا في ذلك النفس والنفيس.



الشيخ العلاوي في مجلس مع مشايخ فاس علماء رحمهم الله سنة 1928 م



الصورة:

الشيخ سيدي أحمد العلاوي وعلى يمينه الشيخ سيدنا محمد بن الحبيب الأمغاري وعلى شماله نقيب الشرفاء عبد الرحمن بن زيدان بفاس سنة 928 م . رحمهم الله جميعاً

وبالجملة فالرجل داع بحاله ومقاله لبث الفضائل في الأنفس وحمل الناس بالحكمة والموعظة الحسنة على التشبث بقواعد الدين والتزي بزي الإسلام والسير على سننه الأقوم.

هذا بعض ما استفدناه من حال الرجل في جلستين جلسناهما معه في جماعة من أعيان المدينة وعلمائها وشرفائها وذوي الفضل فيها, وناهيكم بحسن الاستقبال الذي قبله به جنابه في هذه العاصمة أن فضيلة رئيس المجلس العلمي كان من جملة زواره الذين سُرُّوا بحالته وأعجبوا بمذاكرته وانبسطوا في حضرته, ولا يعرفُ الفضلَ لأهلِ الفضلِ إلا ذَوُو الفضلِ.

وَطِئت أقدام هذا الشيخ تراب المغرب لثاني مرة فتسارع الناس على اختلاف طبقاتهم لزيارته والتملي من رؤيته, فكانوا يلقون لسانا مرحبا وثغرا مبتسما

وأخلاقا طيبة وعلوما منفجرة, فينقلبون وصدورهم مملوءة حبا وإجلالا للزائر العظيم.

هذا وإن الشيخ الذي قلنا إنه على صلابته في دينه لم يكن من الذين ينفرون من كل حادث ولو لم يناقض المبادئ الدينية, لم يكتم عن زائريه مبلغ سروره من التسهيلات العظيمة والمنافع الجسيمة التي انجرت للشمال الأفريقي من طرف الدولة الفرنسية دولة الحضارة والمدنية والعرفان, مثنيا على أعمالها في هذه الأقطار المتعلقة بها وخصوصا من حيث المحافظة على دين الأهالي وعوائدهم المرعية. واعتراف كهذا من مثل هذا الرجل العظيم الذي اشتهر بغيرة تامة على دينه لا يدع مجالا للشك في هذه المأثرة التي يرعاها المسلمون للدولة الفرنسية حق رعايتها.

هذا ما توفر لقلمنا أن يخطه في شأن زيارة هذا الرجل الفاضل لمدينتنا التي ستحفظ له أجمل ذكر على طول الأيام وتعاقب السنين والأعوام.

فبلسان جريدة السعادة التي هي لسان هذا القطر وترجمان المغرب, نرحب بفضيلة الشيخ العلاوي ترحيبا جما راجين له مقاما طيبا بين أظهرنا ومتمنين له دوام العز والهناء وحسن السلامة في الضعن والإقامة" (اه).

وجاء في نفس العدد تحت عنوان "سيدي أحمد بن عليوة" في رسالة من المغرب بعد التحية وتعابير ودية ما يلي:

"إن الفرح والسرور بابتهاج المغرب بالعنقاء المغرب حضرة شمس العرفان, ذاكر الله في كل مكان, الراقي مدارج السالكين, المنتهج نهج أولياء الله العارفين, إنسان عين الهدى ونجم الاهتداء, العلامة الذي لا يحتاج إلى التعريف به إلى علامة إذ كما قال سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ في قَوْلِهِ تعالى: **"ألا إنَّ**

أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هم يَحْزَنُونَ" (يونس:62), قالَ: هُمُ الَّذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ", الأستاذ المربي سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي, مصحوبا برفقة من المريدين لا يبلغ عددهم حركة العوامل ولا عدد الأنامل, أناس ارتضعوا أفاويق الوفاق حتى ظهروا كأسنان المشط في الاستواء.

كنا نسمع بالشيخ سماعا فاشيا على ألسنة العدول المرضيين لا القردة الخاسئين الذين شانهم التغيير في الوجوه الحسان إلى أن شنف سمعنا في برهة من الزمان بخبر ويا له من خبر... خبر قدوم الشيخ لزيارة الحضرة الإدريسية فاشتاق الناس إلى محياه وخصوصا من كان قد حياه, فانقلبت السويعات أياما والشهور أعواما من شدة ما أصاب القوم من ألم الانتظار الذي هو أقصى على القلب من النار, والناس تزداد ظمأ في هواجر الطلب وأواما, فمدوا الأعناق والآذان لاستطلاع شروق شمسه ونزولها ومقامها وارتحالها حتى آن الحال وحان وطلع فوق الأفق ذنب السرحان.

فأشرقت بذور الحضرة السامية, أحسن الله أثرها وأعلى خطرها واظهر على يديه آيات المكارم وسورها, وأسجد لها الكواكب السيارة وشمسها وقمرها بهذه الحضرة الفاسية, حضرة العلم والمدنية الإسلامية عشية يوم السبت 6 ذي الحجة 1346هـ, فاقتبله الناس بكل فرح وسرور واظهروا له من الود ما تكنه الصدور مع الثناء عليه من صميم الفؤاد المنبئ عن خالص الوداد. وصارت الناس تتوارد عليه أفواجا, أفواجا, ويردون من عرفانه فرادى وأزواجا طالبين منه صالح الدعاء خاضعين لديه, والناس أمامه كأن على رؤوسهم الطير وهو يعاملهم بلطف وإحسان مع بشاشة خاصة وأخلاق محمدية وأحوال مرضية, وتواضع من الزائرين حضرته وهو يقرع الأسماع بجواهر لفظه وزواجر وعظه, وما زاده ذلك إلا رفعة في أعين الناس

وابتهاجا, وكيف لا والشيم الكريمة للإنسان بمنزلة المسك في سرر الغزلان غير أن الطيب الثاني يعبق بالأنوف والأول بالآذان وبالتأمل يظهران بينهما فرقا, فالثاني يذهب والأول يبقى, فقلنا سبحان الله فإن التعريف لا يؤثر فيه إذ لا يتزاحم معرفان على معرف واحد بجوهره, كيف والصباح لا يتمارى في أسفاره, ولا يفتقر إلى دليل على إشراق أنواره, ويظهر بحسب العلامات علو المقامات, فهو رجل قد اتخذ كتاب الله إماما متبعا وطريقا متوقعا وملما بالتأمل فيه أرجاء صدره, ويقتدى في طريقته المسلوكة بنهيه وأمره, ويستبين ببيانه, إذ ألقيت بين يديه المعضلات ويستضيئ بمصابيحه إذا عظمت المشكلات, والناس على اختلاف طبقاتهم من علماء وأشراف وفضلاء محدقون به إحداق الهالة بالقمر والأكمام بالثمر, إذ كيف ينهر عن الأنهار السائلون؟ ولمثل هذا فليعمل العاملون وفيه فليتنافس المتنافسون.

وهو رضي الله عنه وأرضاه يسبل على الناس دعاويه الربانية وتستمطر من فيه عبارات يتلقاها أولو الألباب الواعية, يخلل مذاكراته بنصائح إسلامية ونفحات ربانية, وهو يذكر الله حالا ومقالا في سويعات جاد الزمان بها رغما عن بخله بالمثل, أو بما هو على أخص الأوصاف فوائد قد ملئت منها الأوطاب ونورت بها الرحاب وتناقلها الناس وطارت بها الركبان, خصوصا أهل العرفان بما سيأتي إن شاء الله مجملا وتفصيلا. وقد يحوي التفاصيل من يستحضر الجمل, فطوبى لكم بمخالطة عين الإنسان الروحي الحقة.

ولم تكن مرامي سؤاله رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة نزله ومثواه إلا على أهل نسبه الله ما أسسوا بنيان الشريعة وأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا.

فأول ما اكتحل بصري بنور أثمد طلعته البهية يوم الأربعاء عشية عيد الأضحى, فجمع الله لنا بين عيدين بل بين أعياد لا تدرك إلا بمشاعر الفؤاد,

وذاك بعد إسفار الشمس على الحيطان في محل محب أهل نسبة الله وخديمهم التاجر الأجل السيد عمر الأبَّار, أوقفه الله مواقف الأبرار.

دخلت عليهم بعد الاستئذان فوجدتم يصلون المغرب جماعة يؤمهم الفقيه العلامة والذاكر المتصوف سيدي محمد بن الحبيب الفاسي, فجعلت أقلب أجفاني فيهم وأتوسم الشيخ من بينهم, فلما سلم الجميع تقدمت إلى الشيخ وحييته بتحية الإسلام وصافحته مصافحة الحبيب محبوبه, وعرفته تطبيق اسمي على شخصي حيث كانت المعرفة سابقة بيننا, فازداد في ذلك نشاطا وفرحا, وصرنا نتجاذب أطراف الحديث نحو الأربع ساعات كانت أسئلة وأجوبة على موضوعات مختلفة.

ومن جملة ما دار في الحديث:

"إن المدارج إلى معرفه الله تبارك وتعالى ثلاثة, فالأولى الشرائع, والشرائع جمع الشريعة وهي ما شرع الله لعباده يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه: **"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا"** (الحشر:7) وأول مراتبه الإيمان بالغيب والقيام بالأركان الشرعية من صلاة وصوم وحج وزكاة, لأن العبادة إما بدنيه أو مالية, وأجَّل العبادة البدنية الصلاة, وأجَّل العبادة المالية الزكاة, ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **"الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام"**, وأما الترك فهو داخل في الصلاة لقوله تعالى: **"إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ"** (العنكبوت:45).

وأما الطرائق فالجمع طريقة وهي طور التخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل, وبعبارة أخرى هي تطبيق الأوامر والنواهي على أحوال المكلفين, ومعرفه النفس بخسائسها المندمجة فيها من حقد وحسد وغضب واستعلاء.

قال بعض العارفين: إن الإنسان اصطحب في خلقته وتركيبته أربع شوائب, فلذلك اجتمع عليه أربع أنواع من الأوصاف: الصفة السبعية, والبهيمية, والشيطانية, والربانية...

فهو من حيث السبعية يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب.

ومن حيث البهيمية يتعاطى أفعال البهائم من الحرص والشره. ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني, فإنه ربما يدَّعي لنفسه الربوبية كما فعل فرعون, ويحب الاستعلاء والاستبداد بالأمور كلها, ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها, بحيث يفرح إذا نُسِبَ للعلم ويحزن إذا نُسِبَ إلى ضده الذي هو الأصل فيه.

أما من حيث الشيطانية فإنه يأتي أفعال الشياطين من استنباط وجوه الشر والتوصل إلى الأغراض بالحيلة والمكر والخداع, ويظهر الشر في معرض الخير, ويهيج أفعال الثلاث السالفة الذكر.

ولكن الله رزق عبده العقل ليدفع كيد الشيطان بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح, ويكسر الشهوة البهيمية والسبعية والروحية, فإن عجز عن قهر هاته الأربع قهروه واستخدموه.

فالقلب كالمرآة تكتفئ هذه المؤثرات, وإن كان القلب مشتغلا بذكر الله ازداد صفاء ولمعانا وضياءً حتى يظهر فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب, وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: "من أراد الله به خيرا جعل له واعظا من نفسه", وهذا القلب لا يستضيء تماما إلا بذكر الله والتفكر في مصنوعاته, قال الله تعالى: **"أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"** (الرعد:28), ثم الصلاة والصيام والزكاة والتحابب والتوادد وصلة الرحم والحكم بالعدل.

وأما إن امتثل أوامر السبعية والبهيمية والشيطانية, فذلك مثل دخان متراكم يتصاعد إلى مرآه القلب, ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تبارك وتعالى, وهو المعبر عنه بالطبع والرين.

قلت: ومن هنا تنشأ ملاحظة الإسلام وأهله بعين الازدراء فيتتبعون عوراتهم وينمقون كذبتاهم وتشوه أقلامهم أحوالهم, فيسبون الأولياء ومنه يرتقون إلى النبويات, وهكذا إلى الإلهيات, والله متم نوره.

وأما الحقائق فهو الأمر الوهمي الذي معناه مشاهدة الحق في سائر الأحوال وهو نتيجة الأمرين قبله وهو المعبر عنه بالفتح الرباني والواردات الربانية النورانية وهو مقام العارفين بالله. والأمر أن قبله كسبيات يلتقيها الإنسان من نتيجة الإيمان والإحسان, والله يجزي كل نفس بما تسعى وإليه الميعاد والرجعى".

هكذا كان الشيخ في كل أوقاته يبدي ما في وطائه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه والناس تستزيده وتستحلاه.

وكان في مدته إقامته مثلا للآية الكريمة: **"خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"** (الأعراف:199), لا يواجه أحدا بمكروه, فكان أحسن الناس سمتا, واليواقيت والدرر تتناثر من فيه بما فيه ما لا أقدر أن أستوفيه, وهو مع ذلك يتحلى برواء ورواية وتأمل ثاقب ودراية, وبلاغة في بابها رائعة, وآداب بارعة لأعلام العلوم النافعة, فكان ذلك له زينة عند الأنام ومزنة عند الأوام.

وكنت مع ذلك أورد عليه أسئلة عويصة وهو يجيب عنها باطمئنان تام, بأجوبة ينتفع بها الخاص والعام, وطالت بيننا المذاكرة خصوصا في قول ابن الفارض:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة *** فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

وكان قد أجاب قبل ذلك عن معنى البيت قائلا :

"حاشا لله أن يتوّهم ابن الفارض ذلك, وبيان المسألة أنّ سيدنا موسى عليه السلام, بعدما سدّ الله تعالى في وجهه باب الرؤية بقوله **"لَن تَرَانِي"** أعقبه جبرا لخاطره, وهو قوله **" وَلَـٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ"** (الأعراف:143) ولا شكّ أنّ في هذا الخطاب الأخير ما يستروح إليه طالب الرؤية, بخلاف ما لو قطع الحديث عند قوله لن تراني, وهو ما اختاره ابن الفارض أن يكون جوابا له, فكأنّه يقول إن وقع وسألتك أن أراك حقيقة, فلا تجعل جوابي مقصورا على قولك "لَن تَرَانِي", بل أعقبه بشبه استدراك مثل ما فعلت مع موسى, حيث أحلته على النظر إلى الجبل, لأنّ في استلفاتك له أن ينظر إلى الجبل ما يسليه عن منع الرؤية المجرّدة, وهذا ما كانت تنحصر فيه مسألة ابن الفارض, والله أعلم".

وأنا في ذلك الحال مع جماعة من طلبة العلم نستصبح بمصابيح أنواره, ونقتطف من فواكه أشجاره, وكان جل مرمى أسئلته عن الروابط الدينية والاتحاد الديني ويوصي بإقام الصلوات الخمس لأوقاتها كما أوصى به سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم, وكان كثيرا ما كان يكرر على لسانه:

"ما وجدتم من أقوالي وأفعالي مخالفا للكتاب والسنة فاطرحوه إلى وراء ظهوركم وانبذوه بالعراء, فربما يكون ذلك افتعالا أو حالا من أحوال الشطحات التي ليست داخلة تحت دائرة التكليف".

وعلى ذلك أحببناه وأحبنا كما قيل في الحديث الشريف: **"الحب في الله والبغض في الله"**, بمعنى أن الممتثل للأوامر والمجتنب للنواهي الشرعية محبوب ولو لم يكن لنا به معرفة سابقة, والآتي من المحرمات فهو مكروه ولو كان أخا شقيقا أو جارا قريبا. هذه هي شعب الإيمان الصادق, أما غيره فإنما هو زخرف من القول, لون حائل وظل زائل.

وكان في مدة إقامته بين أظهرنا يتوارد عليه العلماء والأشراف ليلتقطوا فرائد درره النفيسة, وكلما انقطعت المناظرات ينشد فقراءه الجزائريون أناشيد لدرجة تتمكن من القلب مع تخليل ذلك بكلمة الشهادة, والمجلس كله وقار والناس نواكيس الأذقان. وكان بعض الناس إذا صمت الفقراء يتلون كتاب الله العزيز, فإذا قضى وطره دعا سيدنا الشيخ العلاوي الناس حتى يلتف الجميع حوله كما كان يفعله الوعاظ سالفا, وقال لهم: "إن فلانا شنَّف سمعنا بكتاب الله فتلا قول الله عزَّ وجَّل: **"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ..." إلى آخر الآية (النور:35)", وفسر ذلك بتفسير أحلى من الشهد تتلقاه النفوس بالقبول وتستحسنه الطباع السليمة وتنشط له. ومع ذلك يقول أنه ليس سوى أحد من المسلمين وأن الكل عباد الله وأن الكل مكلف بإقامة دين الله والدعوة إليه, وأن الكل فيه الكفاءة, وذلك كل من تواضعه ولين جانبه بلسان رطب من ذكر الله بحيث يجزم أن ذلك الكلام لا يصدر إلا من رجل عارف بربه صادق في أحواله شاهد الله بقلبه, لا غرض له في الدنيا ولا في جميع حطامها.

هكذا كانت جلَّ أوقاته حين إقامته بمدينة فاس, ولقد استفدنا منه والحمد لله علوما نافعة, فالله يجازيه عنا أكمل الجزاء ويمده من بحر فيوضاته الربانية.

وكانت استدعاءات أعلى طبقات أهالي فاس تتهاطل عليه تهاطل الأمطار وهو لا يمتنع مستمطرا لفضل الله.

وزاره العلامة العارف بالله المشارك من غير مشارك الذي جمع الله له بين المعقول والمنقول والظاهر والباطن رئيس العلماء وأعلمهم شيخنا أحمد بن الجيلالي ليلة العيد, واستدعى الشيخ صبيحة العيد وراجت بينهما مذاكرات في التصوف, فأثنى عليه الشيخ ثناءً حميداً. وزاره أيضا العلامة الجليل الرحالة الأصيل الشريف مولاي أحمد البلغيثي, وراجت بينهما مذاكرات عديدة استنتج الناس منها فوائد جديدة. وزاره أيضا أكابر بيوت فاس وجلَّ علمائها.

وزرنا جميعا دار الشريف الأصيل الخَيِّر البركة سيدي محمد بن عبد السلام الطاهر بدرب الدرج من حومة فاس, وأكرمنا بزيارة النعال النبوية الشريفة الحقيقية, وعلى ظهرها شهادة أكابر المحدثين بأن هذه النعال هي النعال النبوية, كالإمام المسناوي والحافظ العراقي وغيرهم ممن يطول جلبهم في سويعة. كانت الدموع ساكبة فيها على خدود من حضر, واهتز الشيخ لذلك فرحا وسرورا وقبَّل النعال وتمسح بها, وتبرك بها جميع الحاضرين, ترى الناس في تلك الساعة من شدّة الفرح بمشاهدة الآثار النبوية سكارى ومن شدة ما أطربني أبكاني, فالحمد لله على ملة الإسلام.

وما أبالي إذ ما كنت مسلما *** على أي جنب كان الله مصرعي

هذا ما شاهدناه من الشيخ مده إقامته بطرفنا, فلم نشاهد منه أدنى شيء يستوجب الإنكار بل رأيناه في سائر أفعاله واقفا مع الكتاب والسنة, ونحن لا نحبذ إلا ذلك, فالحق أحق أن يتبع والصدق حقيق أن يستمع, والله يرزقنا وإياكم تقوى الله.

من مكناس

غادر الشيخ مدينة فاس يوم الاثنين صباحا وتوجه لمكناسة الزيتون حيث أرسل له مولانا الشريف الأصيل العلامة الجليل كبير مكناس ونقيبها سيدي عبد الكبير بن زيدان العلوي رسوله محمد السلاوي الذي كان يكتب سابقا في الشهاب يستدعيه لمقره, فأجابه الشيخ بالفرح والسرور, وجلس الرسول جنب الشيخ سويعة وقال له الشيخ: "سآتي غدا صباحا مكناسة", فرجع الرسول لأهله فرحا مسرورا. وعند وصول الشيخ العلاوي إلى مكناسة استقبله الشريف المذكور وأنزله عنده وجمع عليه أعيان مكناسة الزيتون وعلمائها وأفاضلها, فأقام عنده يومين.

من الرباط

واستدعاه جلالة وزير الأملاك سالفا المحب الأصيل السيد الحاج عمر التازي بعاصمة المغرب "الرباط", فشد سيدنا الأستاذ الرحيل لإتمام سياحته فنزل ساحة الوزير المذكور وفرح به وهشَّ وبشَّ وما قصَّر. كما استدعاه أيضا العلامة الشريف سيدي محمد المهدي الكتاني بالرباط.

من سلا

ثم عرَّج على ثغر "سلا" عند الفقيه العلامة الفاضل الأجل الوجيه النزيه الأمثل باشا "سلا" وقائدها سيدي محمد الصبيحي, فأكرم مثواه وفرح بلقاه, فجزاه الله أحسن الجزاء.

من الدار البيضاء, الجديدة: وزار مدينة الدار البيضاء ثم توجه نحو مدينة الجديدة (غياب تام لتفاصيل السياحة بهاتين البلدتين).

من مراكش

وتوجه الشيخ إلى مراكش حيث أن استدعاءات القائد السيد الحاج التهامي القلاوي وردت عليه كثيرا. وجاء في جريدة السعادة ما نصه:

"تحت عنوان "مرحبا بأهل الفضل والعلم", تشرفت العاصمة المراكشية في هاذين اليومين من شهر محرم (الأربعاء 20 جوان 1928م, 1 محرم 1347هـ) بسيادة العالم الفاضل الشيخ المربي سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي شيخ الطريقة العلاوية بمستغانم. وقد نزل ضيفا محترما عند جناب الأكرم مراقب أحباس هذه الحضيرة السيد أبي مدين, فكان لقدومه رنة فرح عند محبيه وأتباعه. ومن اليوم الذي حلَّ فيه هذا السيد الفاضل هذه المدينة السعيدة, وجنابه بين مظاهر الحفاوة والإكرام من لدن أحبائه الكثيرين نظرا لما له من الصيت المنتشر في الأقطار الإفريقية, وما له من كثرة الأتباع. وقد زاره العدد العديد من العلماء والشرفاء بمحل إقامته, فكان يقابل الكل بغاية اللطف والمجاملة, ويسأل كل واحد عن حاله وأحواله, ويتذاكر مع السادة العلماء الذين ارتاحوا لمذاكراته.

وقد أسعدني الحظ بالاجتماع مع سيادته في حفلة لطيفة أقامها لجنابه مراقب الأحباس السيد أبو مدين المذكور, فوجدنا لسيادته من اللطف والأخلاق الجميلة ما يعجز البنان عن وصفه. وما نشرته جريدة السعادة في أحد أعدادها في باب المراسلات لأحد الكتاب الأفاضل من التنويه بهذا السيد الفاضل يكفي عن التعريف به, فنرحب بهذا الضيف العظيم ونتمنى لجنابه بين أظهرنا مقام سعيدا وعودا حميدا". ثم من مراكش ولى الشيخ راجعا إلى فاس لقضاء بعض مآربه.

من فاس

وبعد عدة أيام من مكوثه بفاس, يقول المراسل (لعله محمد بن البشير الجريدي): تعد ليلة وداع الأستاذ العلاوي من مدينة فاس من أشرف الليالي المباركة لما انتشر فيها من جواهر اللآلئ العلمية والنكت الحكمية, وقد حضرها جم غفير من أجَّل العلماء الأعلام والأشراف الكرام, وعلى رأس الجميع حضرة شيخ الإسلام ورئيس العلماء الأستاذ الجليل سيدي أحمد بن الجيلاني, وألقى الأستاذ العلاوي درسا في تفسير سورة "الإخلاص" فبهر العقول وشنف الأسماع بما القاه عليها من الحكم الجليلة والمواعظ السنية, وقد أعطى المقام حقه بما يقتضيه ظاهر الآية, ثم تكلم بطريق الإشارة بما ينعش القلوب ويعطر الأنفاس حتى كنت ترى القوم كأنهم نشاوى بخمر الدنان بما ألقى عليهم من النفائس المستخرجة من كنوز القرآن, وقد دام اجتماعهم حتى بعد منتصف الليل بساعة.

وفي الأخير قام حضرة العلامة الأجَّل والنابغة الأحفل الشيخ سيدي محمد بن الحسين العراقي وألقى هذه الجمل العسجدية بالنيابة عن السادة الحاضرين قال فيها:

"حمدا لمن أنار الوجود بنور سنائه واطلع على ذلك النور من اصطفاه من أنبيائه وخاصة أوليائه, فشاهدوا بأسرار التوحيد آيات الله البينات وتحققوا عن عيان ما تقتضيه تصرفات الأسماء الإلهية في مظاهر المكونات, فأقروا لله بالوحدانية الحقة واعطوا المقام ما يستحقه, فسبحانك يا من تقدستَ في علاك وتفردت في ديموميتك وسناك, نشكرك اللهم على ما أنعمت علينا به من طرائف النعم, وعلمتنا من لدنك ما لم نكن نعلم, من غير رحلة منا لئلا نلقى في سفرنا نصبا, أو يضيع زادنا فنزداد تعبا, أو نقف مع زاد العلم فلا نستطيع صبرا, ولا نظفر بمرغوبنا, فنرجع صفر الأيدي. نقدسك يا منعم يا كريم, يا من أخرجتنا من الظلمات الوهمية إلى الأنوار الحقيقية حتى أبصرنا ما لم نكن نبصره, وسمعنا ما لم نكن نسمعه, اللهم لك الحمد على هذه النعمة وطي تلك النقمة, فنسالك يا الله الصلاة بالتجلي على نور الأنوار ومعدن الكرم وسر الأسرار سيدنا ومولانا محمد صاحب المعجزات وسلم سلاما تاما عليه وآله الطيبين الهداة ونقول: "اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات أتقرب لك بكل صلاة صليت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية للكمالات".

هذا وقد طلعت بمغربنا شمس العرفان وعين الإنسان, فضيلة العالم الأوحد, والفرد الأكمل, سيدنا صوفي وقته, الدال على الله بإذنه, الهادي إليه بعلمه وعمله, محط رحال المنى ومأوى المدح والثناء, سيدنا الشيخ الروحي, سيدي أحمد العلاوي, سقاه الله من بحر الكمال النبوي, فإنه ليس بعهد لعظيم أخلاقه القليل والكثير من الثناء, ولو حاز سحر البيان أو استعار فصاحة اللسان فإنه في جانب أوصافه قليل.

سيدي حللتم بفاس محفوظين من كل بأس, فأطربت لحلول محياكم ورقصت لعظيم وعظكم, وحللتم في القلوب فملكتموها, وسُخِّرَتْ لكم الأطراف, فنشطت

بخدمتكم الأشراف, وطأطأ لكم الرئيس والمرؤوس, ووضعت تآليفكم فوق الرؤوس, فأخذتم بمجامع قلوب الناس, وطهرتموها من الأدناس, ورفعتموها مكانا عليا عن الناس, ودب ناموس هذا الإصلاح في أفراد, وخالج قلوب آخرين بدون استعباد, بل على حسب ما يقتضيه الاستعداد, فكل ميسر لما خُلِقَ له.

سيدي الشيخ, قدس الله أسرارك وأظهر أنوارك, فقد عرفنا جميلك وأبصرنا فضلك, إذ لولاك لبقيت حقيقة الجهل ناشبة أظفارها بنا, ولأفل نجم حياتنا فيذهب عمرنا أدراج الرياح, فنرجع خاوي النفاض, ليس في زادنا نقير من فلاح.

لكن كيف أستطيع شكركم يا سيدي على هذه النعم الذي أوليتمونها حتى أثقلتم بها كواهلنا فلا نستطيع القيام بما تستحقونه من جزيل الشكر, فأي لسان يستطيع شكركم, وأي بنان يخطط بيان حمدكم, لكن نشكركم شكر الأسيل من أطلقه, والعبد لمن أعتقه, إن رضيتم, وإلا فمقامكم أعلى ومن الشهد أحلى.

وكيف لا, وقد أخرجتمونا من الصورة الحيوانية إلى الصورة الحقيقية, أم أشكركم على حسن أخلاقكم الجميلة وأجوبتكم الجليلة لأنها نبوية محضة.

لكن سيدي إنكم ستفارقون متوجهين لمسقط رأسكم, وتصحبون معكم الأصغرين: اللسان والقلب, وما الإنسان إلا بهذين, وتتركونا يتامى مهملين هائمين من فراق أكبادنا وتمزيق قلوبنا, فمزق الله كبد الفراق كما مزق أكبادنا, وأي ضرر على الإنسان أعظم من التفرق, وكيف لا وقد امتزجت محبتكم بلحومنا ودمائنا حتى صارت جوهرا أو عرضا ذاتيا لا تفنى إلا بفناء الذات, فإن كانت نسبتي عراقية حسينية, فروحي والله علاوية حقيقية.

سيدي, فقد رفعت عنا الحجاب, وملأت لنا الوطاب, وأحييت قلوبا ميتة بذكر الملك الوهاب, وأرسلت أنظارها من الجهات الست فلا تجد فيها نهاية, فقد انجلى الغبار وتقدم الإنسان في هذا المضمار, وهذا أمر قد استولى سلطانه على قلوبنا وتمكن من أنفسنا بحيث لا نستطيع دفعه, وليس لنا إلا أن نقر بالحقيقة.

نعم لا فراق ما دامت أرواحنا متآلفة, وقلوبنا واحدة, وعلى طاعة الله متحدة, وما عداه قد صار عندنا نسيا منسيا, أي لا نتوجه إليه ولا نعبأ به, وإن قلوبنا طويناها على خالص الود, وأنا أقول كما قال مجنون ليلى بليلاه, (قيس بن الملوح):

ولوْ تَلْتَقِـــي أصْدَاؤُنَا بعْدَ موْتِنـــا :: ومِنْ دُونِ رَمْسَينَا مِنَ الأرْضِ سَنسَبُ
لظلَّ صدَى صوْتِي وإنْ كنتُ رِمَّةً :: لِصَوْتِ صَدَى ليلَـــى يَهَشُّ ويطْـرَبُ

وهنا ألتفت لإخواني العلاويين وأوصيهم وإياي بتقوى الله الواحد القهار, والتآزر والتحابب والتوادد والمآخاة والتواضع, ورمي آلات الكبر والأغراض الشخصية في مكان بعيد, ولا يخالف هذا إلا رجل عنيد, وأوصيكم أيها الإخوان بالاتحاد فهي الكلمة الثمينة التي تمثل السعادة في جميع معانيها,

ويرشد المرء بها لربع الفلاح وأسنى منازل النجاح, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخميس 19 جويلية 1928, 30 محرم 1347هـ

من مستغانم

يوم الخميس على الساعة 7:00 مساء وطئت قدم الأستاذ العلاوي تراب مدينة مستغانم مسقط رأسه, وقد كان قبلا سبق الإعلام عن قدومه في عشية اليوم المذكور ببرقية من مدينة تلمسان وما شاع هذا النبأ بين أهل المدينة حتى عم السرور جميعهم, وما ذلك إلا لما له من الأيادي البيضاء عليهم.

وما أزفت الساعة 06:30 مساء أبان قدوم الرتل حتى اكتظت محطة السكة الحديدية مع وسعها بخلق الله على اختلاف طبقاتهم, وسدت الطريق بهم على عامة المارين, فكان خارج المحطة مسدودا على المارة بالسيارات التي جاء فيها أتباع الأستاذ لملاقاته وداخلها بالخلائق المحتشدة لاستقباله زيادة على أتباعه وقرابته الكثيرين.

ومن بين الجمع حضرة النائب المحترم الحكيم بالقاسم بن التهامي وفضيلة الشيخ بن كريتلي والتاجر الوجيه السيد أحمد بن إسماعيل والمقدم الأجل السيد الحاج بن عودة بن سليمان والعارف بالله السيد عبد القادر الثمناوي والكثير من خاصة أهل البلدة ممن لم استحضر أسمائهم.

وما وطئت قدماه الكريمتان أرض المحطة حتى هرع الكل للسلام عليه, وكنت أرى البِشْرَ يعلو وجوه الجميع وهم محدقون به ومزدحمون عليه, أيهم يصل إليه ويقبل يديه ويتبرك به, وهو رضي الله عنه وأرضاه مع ضعف البنية وتعب السفر الطويل يبتسم ويبش في وجوه الجميع ويصافح كل واحد على حدته, وبعد الفراغ من السلام جيء بعربة سيارة لحضرة السيد أحمد بن إسماعيل, فركب فيها الأستاذ وصحبه السيد المذكور والحكيم ابن التهامي,

وتوجهوا إلى الزاوية العلاوية المعمورة بتجديت, وقفت أثرهم بقية السيارات الحاملة لأتباعه, فكان ذلك اليوم يوما مشهودا بأبهته العيدية.

وبعد راحة قليلة للسلام على من بالزاوية من الأهل والإحباب كروا راجعين إلى دار العلامة السيد بالقاسم بن الحلوش الذي أعد لهم مأدبة العشاء, وبعد الفراغ منها ومن المحادثة رجع الأستاذ إلى محله وقد بات أهل الزاوية ومن بها تلك الليلة على أتم نشاط من ذكر ومذاكرة وسماع, أما ما يرجع للإكرام الذي لقيه من أهل المغرب, فالتعبير عنه باللسان أو إحصاء كليته بالبنان لا يدخل في حيز الإمكان لأي كان.

ونحن نرفع أخلص تهانينا القلبية لأصدقاء الأستاذ ومحبيه بهذه الأوبة الكريمة الميمونة, ونسأل الله من فضله أن يطيل لنا عمر الأستاذ ويبارك لنا فيه لنفع البلاد والعباد, وأن يوفق كبراء قطرنا الجزائري للسير إلى ما ينفع أمتهم المسكينة الضعيفة من جهة الدين والدنيا, وأن يرفع الغشاوة عن أبصارها لنعرف من يريد لها خيرا من غيره, ولله يرجع الأمر كله وهو ولي التوفيق وحسبنا السلام لرسول السلام.

========<<<<>>>>=======

رحلة الأستاذ العلاوي إلى بيت الله الحرام للحجّ وسياحته بالمشرق (1930م -49/1348هـ)

فاتح أبريل 1930م - ذي القعدة 1348هـ

الإعلان عن قرار الشيخ العلاوي للحج

تحقق سفر الأستاذ العلاوي إلى بيت الله الحرام بعد توفيق الله سبحانه وتعالى عل طريق المركب العمومي الذي سيخرج من الجزائر بتاريخ يوم الثلاثاء 15 أبريل 1930م, فمن أراد من الأصدقاء الاجتماع به قبل السفر فليكن قبل التاريخ بنحو اليومين, كما أنه سيمر على مدينة عنابة فيكون اجتماع أهالي تلك النواحي به هناك. أما فيما يخص إخواننا المغاربة وأهالي تلمسان ونواحيها فإن الاجتماع بهم سيقع كما تقرر بتاريخ يومي 2 و 3 من شهر أبريل بمدينة تلمسان بمناسبة الاحتفال الذي سيقع في الزاوية الجديدة هناك, والله ولي الحفظ. وقد عهد إلينا زميلنا الفاضل السيد عدة بن تونس (مدير هذه الصحيفة سابقا) بأنه سيتطوع بمراسلتنا بتقارير عن رحلتهم في طريقهم الى بيت الله حيثما حلُّوا إلى يوم عودتهم, بلَّغهم الله الأمل وجعل سفرهم سعيدا وغدوهم حميدا.

الخميس 17 أبريل 1930م, 18 ذي القعدة 1348هـ

من عنابة

أقيمت حفلة بالجزائر لتوديع الأستاذ العلاوي ومن قدموا صحبته من مستغانم وغليزان وغير ذلك بقصد أداء الفريضة. والوفود التي قدمت لتودعه من مستغانم وغليزان وتلمسان والمدية ومليانة والبليدة والذين قدموا من بلاد

القبائل وغيرها من نواحي العمالة القسنطينية لتوديعه بميناء عنابة عند ركوبه من هناك السفينة التي تقله إلى جدة. وقد كان الأستاذ بزاويته بمدينة عنابة فمكث بها نحو اليوم أو اليومين لتوديع أحبابه هناك قبل ركوبه السفينة. وقد أقم الفقراء العلاويون حفلا فخما بمناسبة وفود الحجاج عليهم كما هي عادتهم مع الحجاج في كل سنة, وبالجملة فإن تفاصيل الحفل تحتاج الى بسط كلام طويل من جهة ما حواه من ضروب الأبهة وجلائل الإكرام زياد على ما دار فيه من أنواع الأذكار والتلاوة والنصائح. وتجدر الإشارة أن الأستاذ وصل الى عنابة عشية يوم الخميس 17 أبريل 1930م, 18 ذي القعدة 1348هـ, وبمعيته ثلة من الأفاضل, فتلقاه الأتباع والمحبين بالمحطة الأمر الذي غصت بها القاعة وتراكمت السيارات على هيئة تخلب الألباب, ثم ذهب مصطحبا بذلك الجمع الى الزاوية العلاوية بعنابة, وكان الجمع يتألف من أهل البلد ومن غيرهم من بقية مدن العمالة. وسيركب السفينة في اليوم التالي أي الجمعة عشية أو يوم السبت على أكثر تقدير.

الجمعة 18 أبريل 1930م, 19 ذي القعدة 1348هـ
من مدينة وهران

يبدو أن الشيخ عدّة بن تونس توجه إلى وهران دون الشيخ العلاوي لأخذ السفينة واحتجاز المنزل المخصص للشيخ العلاوي والذي يبدو أنه فضَّل الركوب من مدينة عنابة, حيث ستقلع السفينة من وهران ثم تمر على الجزائر العاصمة ثم ترسو بعنابة وهي آخر محطاتها بالجزائر.

"آسيا" هو إسم السفينة التي حملت حجاج بيت الله الحرام من القطر الجزائري في هذه السنة (1348هـ - 1930م), وكانت قد أقلعت أولا من مدينة وهران

لتتجه إلى بيت الله الحرام ذلك البيت المقدس الشريف والذي تربته نبتت فيها الشجرة المباركة وسماءه طلعت منه شمس الهداية وهو مهبط الوحي وبربعه مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا.

ففي يوم الجمعة من مفتتح الشهر الجاري ذي القعدة كانت وفود الحجاج تملأ مدينة وهران كالكواكب الوضاءة وهي تزداد بورودهم رونقا وجمالا والناس ترنوا إليهم بعين الغبطة والاحترام وهم منتشرون في المدينة كأنهم ملائكة الرحمان لما كان يعلوهم من المهابة والإجلال. نادى منادي بالاجتماع بمقر الوالي, فهرع الحجاج ورفقائهم فعلت كلمة التكبير والتهليل والصلاة والسلام على أشرف الكائنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, وربات الخدور (النساء المستَتِرات) من بعيد يولولون (يزغردن) على هيئة مؤنسة تذيب الأكباد من خشية الله. فلما اجتمعوا ونودي كل واحد باسمه لتطبيق التساريح على جوازات السفر عل أربابها فكان الامر حسب المرغوب ولم يتخلف ولا واحد من حجيج بيت الله. وبعد الفراغ من ذلك ضرب لنا موعد بالمرسى على الساعة الثالثة حيث مكان السفينة "آسيا".

جاءت الساعة الثالثة وظل الناس يموج بعضم فى بعض وكل منهم يزاحم الآخر بقدر ما في وسعه ليفوت صاحبه بخطوة يقترب بهما إلى الله, وكان الحاج مهما حملت عليه الظروف بأنواع إسائتها إلا رأيته القطب الثابت الذي لا يتزحزح ولا تسمع منه أكثر من قوله في الله ما لقيت.

حان وقت الرحيل, فقام ملاَّح "آسيا" الفائزة وجنوده وكلا منهم أخذ مقامه, فرفعت القوانيس وطويت السناجق ورفعت السفينة صوتها الهائل للوداع وما هي إلا ساعة أو بعض ساعة إذا بالسفينة تجري بهم في موج كالجبال راكعة ساجدة قاصدة بيت الله الحرام, وهناك رأيت بعض الإخوان قد امتلكتهم صولة

البحر المتلاطم الأمواج, فما كان منهم إلا أن صاروا ينسلون إلى مراقدهم واحدا واحدا, فناموا في عافية وهناء, ولم يتألم منهم إلا كاتب هاته السطور وبعض الأنفار, فكنا نتمثل بقول القائل: وإذا كانت النفوس كبارا, تعبت في مرادها الأجسام. حتى وصلت إلى ميناء الجزائر العاصمة.

بعد المساء توجهت السفينة الى مدينة عنابة, وكان خروجها من مدينة الجزائر على الساعة التاسعة ليلا. وأخذ الحجاج يتسابقون بأنواع القربات, فهذا يتلو كتاب الله وهذا يدرس سنة رسول الله وهذا يصلي عليه وهذا يذكر مولاه, فمكثنا تلك اليلة والنهار بطوله. وعلى الساعة السادسة لاحت لنا قباب مدينة عنابة, فتنفست الحجاج الصعداء من التملل وتقلبات البحر الذي فعل فيهم في ذلك اليوم العصيب ما تفعل العقار بعقل العفيف النقي التقي.

السبت 19 أبريل 1930م, 20 ذي القعدة 1348هـ
من عنابة

في يوم السبت, وبينما السفينة تحمل في حجاج بيت الله الحرام, ودع الوافدون الشيخ العلاوي إلى السفينة بل ودعوه الى يد من لا تضيع عنده الودائع, تصحبه ان شاء الله ورفقاءه السلامة وتحفهم الكرامة, إذ أقبل جمع عظيم من تلاميذة الأستاذ المرشد الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي رافعين أصواتهم بذكر الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم بكيفية تسرق السامع وتسحر لبه من حيث لا يشعر, ولهذا كان بحقهم من عباد الله بما غصت به الأنهاج, الأمر الذي لم يقع له نظير. وعند وصولهم بساحة السفينة حلقوا حلقة وتقدم للخطابة الأستاذ المبجل الشيخ سيدي محمد المدني القصيبي وتلاه

الأستاذ الشيخ سيدي محمد بن سالم بن الوناس, وقد ألقى الأول خطابا بليغا ودع به الأستاذ العلاوي وقام على إثره الثاني فتلا قصيدة في وداع الأستاذ أيضا وهناك حصل للحاضرين على العموم وللأتباع عل الخصوص تأثر شديد وشعور عميق ويومئذ كنت ترى بعينك وتحس بقلبك ما هي المحبة ومن هم رجالها البررة الأوفياء. فنادى مناديه وخرج إليه الخبير فأدخله إلى الموسى وبات ساكنا بعد حركته مطمئن البال من كل الآفات.

كان خروج السفينة من ميناء عنابة على الساعة الثانية عشر من يوم السبت 19 أبريل, 21 ذي القعدة متوجهة على بركة الله إلى فتحة سعيد أي "بور سعيد" وهي مسافة تستغرق ستة أيام بلياليها, فسار الحجاج عل بركة الله متجهين إلى ناحية القبلة بأبدانهم وإلى رب الكعبة بقلوبهم ذاكرين الله شاكرين له على ما هداهم, غير أن البحر كان تلك الليلة على غير هدوء, فلحق الحجاج نوع من الفتور في أبدانهم. وفي صبيحة يوم الأحد كان الحال معتدلا والبحر ساكنا فأصبح الحجيج على أتم راحة وسرور مستبشرين يتسارعون للخيرات ويحافظون على الأوقات التي كانت منتظمة يؤدونها بآذان وجماعة., وباتت الحجاج تطوف على بعضها بكؤوس الشاي والمنشدون يترنمون بأنواع الأناشيد والأذكار, فأدبر الليل وأقبل النهار وتجلى السرور وتزايد الحبور وزال العناء وانتشر الصفاء وفتحت أبواب الأنس والطرب وصارت باخرة "آسيا" في تلك الليلة المباركة تمثل رياض الجنة تمثيلا.

وقد رتبت دروس تلقى عل الحجاج في المناسك, وممن قام بذلك حضرة العلامة الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بن كابو الوهراني وبعض الفقهاء هناك, وكانت تلك الدروس تلقى عشية. أما الأستاذ العلاوي حفظه الله فقد رتب درسا صباحا في الوعظ والإرشاد, فتلقته الأفئدة بكل ارتياح لأن كلامه كما لا يخفى

على من عرفه يدخل القلوب كما قيل بدون استئذان, وكان يتقدم هذا الدرس شيئا من الأذكار والمدائح النبوية وتلاوة الذكر الحكيم, وقد كان هذا الدرس مما ابتهج به الحجيج ايما ابتهاج وحضره الجم الغفير. وعند انتهاء المواعظ يطاف بكؤرس الشاي على الحاضرين, وهكذا كنا في نعمة شاملة نتخيلها من نعم الجنة.

غير أن البحر لا يدوم على حالة واحدة, فما لبث أن عج عجاجه وكثر لجاجه واضطربت أمواجه, فكنت تراء ما بين ارتفاع وانخفاض وانبساط وانقباض, فنال الحجيج من اضطرابه ما نالهم واستمر الحال على ذلك المنوال إلى ليلة الخميس 24 من أبريل فسكن شيئا في الجملة. أما في ظرف تلك المدة فقليل من المسافرين من كان يستطيع القيام, وعلى كل حال فالأمر لم يكن مهولا للغاية.

وفي حال كتابة هاته الأسطر كان يوجد في الحجاج من يستطيع أداء الفريضة جماعة, هذا من جهة, أما جهة أخرى, فعدد الحجاج لم يتجاوز حد 700 نفس وإنهم في وسع من جهة المنازل, أما أهل الرتبة الأول والثانية فإئهم عل أتم نعمة من جهة الأكل والمنزل. وأما أهل الرتبتين الثالثة والرابعة فقد لحقهم بعض الضنك من جهة المعيشة حيث إنها تصدر لهم عل غير انتظام في بعض الأحيان, أما معاملة أهل المركب وغيرهم حسنة جدا مع الحجاج لأنهم لم يلاقوا منهم ما يسؤهم حسبما شهدناه في ظرف هاته المدة, وعلى الإجمال فإن الحجاج في راحة تصحبهم السلامة إن شاء الله في الظعن والإقامة. أما أنا فمنذ مبارحتي مدينة عنابة ما فتئت صريعاً في كسر بيتي معتنقا وسادتي لا أفارقها إلا عند أداء الفريضة أو بعض اللوازم المتعين قضاءها, ولهذا لا استطيع أن أمدكم بأي خبر كان عما هو خارج السفينة, غير أني في اليوم

الثاني من سفرنا أخذت راحة فخرجت على سطح السفينة فرأيت على يمينها جزيرة "بانتيليريا" وهي تابعة لصقلية وهي قطعة أرض ملقاة في وسط البحر شبيهة بسلسلة جبال يعلوها بنيان لا يتجاوز علوها الطبقة الأولى, وقد ترآء لي أن أهاليها تغلب عليهم البداوة في هيأتهم ومساكنهم لما يتخبله من وقوعها في البساتين وعلى ما حواليها.

ثم في اليوم الثاني مررنا بمالطة وهي الجزيرة المشهورة ذات التاريخ المعلوم, وترى من بعيد أنها مغورة في الماء لا يمسكها إلا الرحمان, ومنذ رؤيتي لهاتين القطعتين الأرضيتين ما كنت أرى بعدها مهما خرجت من بيتي إلا السماء فوقنا والماء تحتنا ولا ملجأ يومئذ من الله إلا إليه.

هاج البحر بعد اليومين واستولى الفتور عل الحجيج حتى عجز الصديق عن زيارة صديقه وهو في جراره ملاصق لبيته وكانت باخرة "آسيا" على عظمتها وعلو كعبها تقلب ذات اليمين وذات الشمال كالفقاقيع على وجه الماء تعلو بها الأمواج أحيانا وترسب بها أخرى, وتغلو فتعلو فتبغي من فوقها مقعدا, وكأني بتلك الأمواج غبطتنا لما نحن فيه, فهي تريد أن تحج معنا وتزور, ولكنها تصعد على السفينة بدون رخصة فينزلونها مرغمة على الفور.

وهكذا قطعنا تلك الثلاثة أيام حسوما ما بين صحو واصطلام ولكن والمنة لله ورغم غلبة البحر وتلاطم أمواجه الغزيرة كانت السفينة معمورة بالدروس العلمية جلها في مناسك الحج وما ينبغي أن يلقن للحاج من آداب ذلك المقام المقدس وذلك الحرم الشريف. أما الأساتذة الذين كانوا يقومون بهذه المهمة, فهم الأستاذ بالقاسم بن كابو المدرس في مدينة وهران وخطيب جامع ولد قادة هناك والأستاذ العلاوي صاحب الطريقة العلاوية الميمونة والأستاذ الشيخ بالقاسم بن منيع المدرس بميلة نواحي قسنطينة والشيخ محمد بن الحاج علي

الفجيجي, وهؤلاء الأساتذة الأعلام الذين كانوا يصيرون سفينتنا في بعض الأحيان مدرسة علم لا سفينة حجيج. دامت علينا هذه النعمة الشاملة إلى يوم وصولنا لفتحة "بور سعيد".

الخميس 24 أبريل 1930م, 25 ذي القعدة 1348هـ
من بور سعيد

قربت السفينة من أعتاب فتحة "بور سعيد" الهائلة النظام والبنيان فأقبل أبنائها على زواريقهم يلهجون بأنواع التحية ويدعون بالسلامة لزوار بيت الله الحرام بلسان ود ومجاملة تؤنس الزائر وتذهب عنه كرب الوحشة وتبعث فيه حياه أنس وسرور.

وهناك رأيت ثلة من الضباط جاءوا في سنبوك خاص ترتسم على جباههم سيم الحذق والشطارة, فيهم من هو مطربش وفيهم من هو متبرنط وهي هيئه تنبئ عن اختلاط الجنسين الإسلامي والإنجليزي, ثم صعدوا فوق المركب فاستقبلهم أربابه بكل حفاوة وترحيب, ثم بعد هنيهة أخذوا في فحص محلات الحجاج ولوازمها المعدة لها من مستشفى ومطبخة وهلم جرا. وقد لاحظت هذه الثلة العبقرية على رؤساء المركب عدم اهتمامهم ببعض المسائل المخلة بواجب الاعتناء بالحجيج, ولقد كان بودنا لو تتبعنا تلك الملاحظة حرفيا ونشرحها شرحا جيدا, ولكن خشيت أن نجر سبة وعارا لرجال الهيئة من أعضاء جمعية الحرمين الشريفين, وإن سمحت الظروف بذلك فسوف نوافيهم بها في السنة القادمة إن شاء الله.

بدأت السفينة سيرها في الفتحة على الساعة 9:30 ليلا فما خرجت منها إلا الساعة الثانية نهارا, حيث يوجد على يمينها القصور العالية ذات البنيان

الشامخ المرصوص وهي المسماة بـ "فتحة سويس". أما ما كنا نشاهده على يمينها صباحا فلم يزد على بعض الأشجار من النخيل والسرول والصنوبر وشيء من الفلاحة لا يذكر لقلته. أما ما كنا نشاهده على يسارها فصحراء بعدها صحراء تعلوها جبال من رمال بعضها فوق بعض.

والذي يهمنا ذكره أن مسلمو هذه التربة الطيبة يبتهجون كثيرا بالقاصدين الى بيت الله الحرام, فإننا مهما مررنا بمسلم أو مسلمة إلا ورأيته يخفق بيديه ويتلو بلسانه "على السلامة يا حاج" مع تكرير مستمر إلى أن يغيب عنهم الزائر, وهي خصلة لا محالة تشعر بقوة الإيمان كانت تتخلل تلك القوائم الطاهرة ورأفة إسلامية كانت تجذب تلك الأرواح لتحيي إخوانها قولا وفعلا.

في مساء يوم الجمعة دخلنا البحر الأحمر وشرعنا في المسير, والبحر على غاية من الهدوء, والحجاج على أتم راحة محلقين على ظهر السفينة على الأرائك متكئين, كل منهم مشتغل بما يعنيه من أنواع القربات وكيفية التعبد بتلك البقاع المقدسة.

الأحد 27 أبريل 1930م, 28 ذي القعدة 1348هـ

الإحرام بميقات رابغ

وفي مساء يوم الأحد اقتربنا من "ميقات رابغ" وهي الجهة التي يحرم منها كافة إخواننا المغاربة (المغرب الكبير) الذين يأتون البيت الحرام عن طريق البحر, وفي ذلك اليوم المبارك كنت ترى الحجاج كسرب الحمام الأبيض تعلو الوجوه سيمة الخشية والخنوع والخضوع وإفراد الوجهة لله عز وجل, متجردين عن المحيط والمخيط وألسنتهم تردد عند كل حركة من قيام وقعود وغير ذلك: "لبيك اللهم لبيك, لبيك لا شريك لك لبيك, إن الحمد والنعمه لك

والملك, لا شريك لك". وبالجملة فهي حالة حسناء نغبطهم عليها ملائكة الرحمن.

الثلاثاء 29 أبريل 1930م, 30 من ذي القعدة 1348هـ

الوصول إلى جدة

وفي يوم الثلاثاء رفعت السفينة لواء الدولة السعودية على الديار الإسلامية بمدينة جدة نظرا أن هذه المدينة لم يكن لها ميناء يصلح لكنف البواخر ويقيها عنفوان الرياح العاصفة, ولهذا ترى البواخر ترسو عن بعد من مدينة جدة بنحو ثلاثة كيلومتر تقريبا, ثم ينزل الركاب على السنابيك إلى المدينة. نزل الحجاج على تلك السنابيك تتهلل جباههم سرورا وابتهاجا والهواء الطلق يعبث بأمواج البحر والسنابيك تميل له ميلا. وكنت لا تسمع كلما مال السنبوك إلا ضجة تعلو بها الأصوات: "لبيك اللهم لبيك, لبيك لا شريك لك لبيك, إن الحمد والنعمة لك والملك, لا شريك لك" ممتزجة بابتسامة حلوة تنبئ عما كان يتخلل تلك الأفئدة الممنونة بتجليات السعادة. وعند نزولهم استقبلهم رجل من طرف الحكومة ومعه جماعة عليهم سيم الفضل والإحسان فرحبوا بالحجاج بهذه الصيغة بتكرير مستمر: "أهلا بكم يا وفد الله", وفي الحين نفسه سألونا هل أخذ منا صاحب السنبوك شيئا من قبل أجرة النزول أم لا, فكان جوابنا لا, رفقا ورحمة بصاحب السنبوك, أما والحقيقة فنعم.

ثم ذهب بحقائبنا وزادنا إلى إدارة التفتيش, وذهب بنا إلى أداء أجرة النزول مرة ثانية, فمروا بنا في مأزق وطلبوا منا 15 فرنكا فرنساويا غير القرش السعودي, وللعلم فإن القرش السعودي يقدر بـ 50 سنتيما فرنساويا ويتفرع عنه أربعة هلالات وهو الصرف الأخير الذي لا يقبل انقساما في صرف

الحكومة السعودية. وفي ذلك المأزق وجدنا وكلاء المطوفين جالسين ذات اليمين وذات الشمال, ويسألون كل حاج عند مروره بهم: "من هو مطوفك", وبما أننا كنا جماعة واحدة صرحنا باسم مطوف واحد, فأَخَذَنَا وَكيله ومال بذلك ناحية من ذلك المكان وأخذ أسماءنا وأسماء بلداننا, ثم ذهب معنا ليأخذ حقائبنا وما معها من زاد, واستقر بنا النوى ببيت المطوِّف وهو بيت من أرفع البيوتات بنيانا وأجملها منظرا في مدينة جدة.

أقمنا بجدة يومين وتجولنا في أرجائها الفسيحة فوجدناها بلدة طيبة ذات تجارة مقنعة, ولم تكن التجارة تلك بمناسبة موسم الحج بل هي دائمة الحركة التجارية حتى في غير أيام الموسم هناك. شاهدنا بأعيننا ما هي نعمة الإسلام وفضله على أبنائه من طهارة وعفاف, فهيهات أن ترى مؤمنة متبرجة في الطريق أو مؤمنا تعبث به يد الضلال, والذي يجدر بنا ذكره هنا هو أننا مررنا ذات يوم بإدارة المحافظة فوجدنا على يمين بابها عدة صور شمسية لأشخاص معلقة على جدرانها وتحت كل صورة إسم صاحبها, وتلك الصور هي لمجرمين الذين قُطِّعَتْ ألسنتهم لِسَبِّهِمْ الدِّينْ وأيديهم لأجل السرقة ثم أبعدوا من البلاد الإسلامية, فقطع دابر الفجرة الفاسقين وجراثيم من المفسدة, وهو عمل جليل قامت به الحكومة السعودية فكانت نتيجته أن صار الحجاز المثل الأعلى في مسألة الأمن على النفس والمال.

الخميس 1 مايو 1930م, 2 ذي الحجة 1348هـ

نحو مكة المكرمة

وفي اليوم الثاني من ذي الحجة ركبنا متن السيارة متجهين الى المسجد الحرام, فما كاد قرص الشمس يغرب حتى كنا في متسع الفيافي نجد أطرافها

ميلا فميلا, وبينما نحن كذلك إذ عبرت بنا السيارة في بحر من الرمال, وصرنا مهما سرنا فيه ذراعا إلى الأمام إلا ورسبت بنا السيارة إلى الأسفل شبرا, فما قطعنا بعض الخطوات على تلك الحالة حتى انفجرت العجلة وفاض نَفَسُهَا وسكنت حركتها, والظلمات قد علا بعضها فوق بعض ولم يبقى إلا بصيص الكواكب. نزل السائق والركاب معه والأسف قد أخذ من الجميع مأخذه, فما انفككنا من تلك الورطة إلا بعد تدمير وزفير فنفير, ثم امتطينا السيارة مرة ثانية وأخذت في المسير تميس بدون فوانيس في تلك المفازة المترامية الأطراف. وعلى الساعة العاشرة ليلا دخلنا محطة من محطات السيارات المعدة من طرف الحكومة لمثل هذه الحوادث, وهناك تكلم السائق مع شركته تليفونيا ليستنجدها في النازلة, فما هي إلا ساعة ونصف إذ بالسيارة مستنيرة الفوانيس تقبل علينا, ثم جددنا السير من جديد وما قطعنا 15 ميلا حتى انفجرت العجلة الثانية في بقعة بعيدة عن المحطات, والذي سائني بوجه خاص هو أن السيارات تمر بنا واحدة بعد الأخرى ونحن في حاجة لنجدتهم ولم يعنا ولا واحد منهم حتى أننا ألحقنا التعب الكبير, ولو لم نكن ممن لهم الماما بفن السيارات (الميكانيكا) لما استطاع السائق أن يدخلها بنا مكة في تلك الليلة الظلماء, وقد دخلناها ولكن بعد العناء الشديد.

دخلنا مكة المكرمة فجر يوم الجمعة فوجدنا مطوفنا في انتظارنا ولم يبقى لصلاة الفجر إلا القليل من الوقت, وفي الحين نفسه ذهب بنا إلى منزله فتناولنا وجبة العشاء وذهب بنا أيضا إلى أداء طواف القدوم, فطفنا وصلينا الصبح بالمسجد الحرام ثم سعينا ورجعنا إلى منزل المطوف لنأخذ شيئا من الراحة, فاسترحنا ذلك اليوم بتمامه ثم انتقلنا بعد ذلك إلى إدارة السفير الفرنساوي وبها كانت إقامتنا مدة مكوثنا في مكة المكرمة.

الأربعاء 21 مايو 1930م, 22 ذي الحجة 1348هـ

احتراق السفينة"آسيا"

دمّر حريق في ميناء جدة سفينة "آسيا" وكان على متنها 1500 إلى 1700 حاج , مما أدى إلى وفاة 162 شخص, ووردت آخر الأنباء بأن السفينة كانت تتهيأ لحمل بعض الحجاج الصوماليين إلى بلادهم. وقد وجهت الحكومة الفرنسية باخرة أخرى لتنقل الحجاج الجزائريين إلى ديارهم بعد آداءهم فريضة الحج. ووردنا كتاب من صديقنا الفاضل الشيخ الحاج سعيد سيف أحمد اليماني, مقدم الشيخ العلاوي باليمن وأحد تجارها بعدن يصف فيه حال الحجاج ساعة احتراق السفينة "آسيا" التي كانوا على ظهرها يريدون التوجه الى جيبوتي. وقد أثنى على جلالة الملك ابن سعود لاهتمامه بأمرهم وعينايته بهم وعلى الأستاذ ابن عليوة كذلك, وقال في رسالته تلك بعد كلام: "صعدنا على السفينة متوجهين إلى عدن, وكان عدد الركاب 1700 يماني, وكان انتهاء ركوب الركاب وقت صلاة العصر, وعندما صلينا المغرب على ظهر السفينة, إذ بالنار ملتهبة في خزان الدهن, وسرت منه الى بقية الأمكنة على مواد غازية سهلة الالتهاب. وقد هموا بإطفاء النار فلم يفلحوا, حيث كلما رموها بالماء من جهة ازداد التهابها وبسرعة مدهشة من جهة أخرى, ولما أدركوا عسر الخلاص, ولات حين مناص, هرب النصارى ربان السفينة ونجوا بأنفسهم. أما الركاب اليمانيون فقد انحصروا في وسط السفينة وأمامها, لو رأيتهم وهم على حالة يرثى لها بين باك ومستغيث. وداموا على هذه الحال من ذلك الوقت الى الساعة العاشرة ليلا, لا من ينقذهم ولا من يرحمهم.

واتفق في تلك الليل وصول جلالة الملك ابن السعود من مكة الى جدة, ولما طرق سمعه نبأ الحادث أعطى الإذن لإنجاد الحجاج, فأقبلت زوارق الإنجاد

نحونا مسرعة من بواخر الميناء, فكنت في تلك الساعة المظلمة ترى الركاب بين متعلق بحبال الفلك ورامي نفسه في البحر مستجيرا من الحرق بالغرق, فالذي يعرف السباحة نجى والذي لا يعرفها غرق ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم. وداموا في إنقاذ الخلائق حتى الساعه 1:00 ليلا, ثم أركبونا باخرة أخرى من بواخر الهنود, وهناك تفكر كل أخ أخاه وكل صاحب صاحبه.

وكنت أول من نزل من السفينة إلى البحر, وكانت لي خبرة في السباحة, فنجاني الله وجميع الإخوان الذين هم رفقائي وعددنا آنذاك 33 شخص استتشهد منا 3 غرقا وهم السيد علي يحيى المحاوي من عدن والأخ عبده حيدر من بلدة الشيخ عثمان والسيد حيدر ثابت من جزيرة ميمون باليمن. وعندما تنفس الصبح أقبلت نحونا الزوارق السعودية وأنزلونا من السفينة فأخذنا جلالة الأمير ابن سعود في ضيافته. فنزلنا من السفينة الهندية ونحن حفاة عراة ما نملك شيئا من النقود لأن جميع ما معنا ذهب ضحية الحرق والغرق, ومكثنا في حامية عسكرية لجلالة الملك نأكل ونشرب من عنده.

ولما علم بنا جناب الأستاذ الفاضل والهمام الكامل سيدي الشيخ أحمد بن عليوة بالحادثة (ربما من طرف الشيخ سيف بن أحمد حاجب), أقبل نحونا وكان جنابه يريد التوجه إلى بيروت ومكث معنا بعض الوقت, وعنذ عزمه على الانصراف أدخل يده في جيبه وأخرج 1000 فرنك فرنسي وقال لي: "خذ هذا القدر الضعيف واستعن به أنت ورفقائك", فقبلت منه وجلا شاكرا, فجازاه الله عن إحسانه الجزاء الأوفى.

وفي ثاني يوم أركبونا جميعا نحن اليمنيين باخرة أخرى مع ما نحتاج إليه من الزاد, كل ذلك من جلالة الملك ابن سعود, حتى وصلنا الى وطننا ولله الحمد.

هذا وإني أشكر جلالة الملك ابن سعود المعظم رجل العدل على عنايته بالحجاج وبسطه الأمن في الحجاز بصفة لم تعهد من قبل, فنسأل الله أن يؤيده ويديم ملكه مادام ناصر للدين والحمد لله رب العالمين",اه.

وكان برفقة الشيخ سعيد سيف, الشيخ سيف بن أحمد حاجب, إلا أن هذا الأخير قرر إتمام طريقه إلى مكة. وفي يوم عرفة أقبل الشيخ سيف باحثاً عن الشيخ العلاوي بين الخيام التي نُصبت هناك, وبينما هو على تلك الحالة من البحث, أبصر شعاع نور يقوده إلى خيمة شبيهة بتلك التي رآها في المنام في الليلة السابقة لعرفة, فوجد الشيخ سيف شيخه العلاوي الذي كان في انتظاره, فما أن وصل باب الخيمة حتى فاتحه الشيخ العلاوي بالترحيب قائلا له: "أهلاً بمفتاح اليمن", وبلمحة اللقيا جاد له بالسر وأوصله إلى الله في لمح البصر. وفي نهاية الحج أراد الشيخ سيف مرافقة الشيخ العلاوي إلى الجزائر, إلا أن الشيخ العلاوي أمره بالعودة إلى اليمن لنشر الطريقة مجازا بالإرشاد والدلالة على الله.

======<<<>>>========

رحلة الشيخ إلى بلاد الشام

أواخر جوان 1930م, أواخر ذي الحجة 1348هـ

من دمشق الشام

وصل الأستاذ دمشق الشام على أحسن حال وقد تلقاه علماء دمشق وصلحائها بما يليق بجنابه من الحفاوة والتكريم.

للأسف فاتنا ما هو جدير بالنشر عن سياحة الأستاذ العلاوي أبقاه الله, ونحن نعلم أنها لم تخلو من فوائد تفيد قراء البلاغ على العموم وأتباع الأستاذ على الخصوص, ولكن ما باليد حيلة إذا كان رفقاء الأستاذ الذين هم أولى بالمحافظة على ما يجري في تلك السياحة الميمونة, وهم على علم من أننا أحوج إلى ما يصلنا من عندهم, ولكن ومع الأسف إنهم لم يواصلونا إلا بالقليل من القليل إلى أن أصبحنا أجهل الناس بما جرى ودار في تلك الأيام, ولولا أن بعض صحف الشام أطلعتنا على شيء في الجملة لفاتنا جميع فوائد تنقلاته وترحاله.

نقلت جريدة الشعب الدمشقية تحت عنوان "قدوم عالم جليل" ما نصه: "وصل مؤخرا إلى دمشق حضرة العالم الجليل الأستاذ الشهير أحمد بن مصطفى العلاوي المستعانمي يصحبه صديقه عدّة بن تونس المدير السابق لجريدة البلاغ الجزائري التي تصدر في الجزائر, وقد خَفَّ لزيارته علماء دمشق وأدباؤها واستقبلوه بالحفاوة والتكريم سيما والقادم الكريم من المتطلعين بالوقوف على الأحاديث النبوية الشريفة وايضاح ما أشكل من كلام القوم, وقد أخذ حضرة القادم بردِّ الزيارات لزائريه، فزاره سماحة الأكبر **الأستاذ الشيخ**

بدر الدين الحسني في داره العامرة وتذاكرا طويلا فيما يعود على المسلمين بالنفع والخير, وقد لبى حضرة القادم دعوة قرية كفر سوسة, فقصد إليها مع فريق من علماء دمشق وقد أكرمهم الأهالي كل الإكرام, وكذلك لبى دعوة الدرمانيين حيث ذهب إلى درما يرافقه فريق كبير من العلماء في طليعتهم المحدث المحترم الأستاذ السيد مكي الكتاني وضيفه الشريف الحاج السيد عبد الله القاسمي الشيخ توفيق الأيوبى الأنصارى الحسني الشامى والعلامة الفقيه الشيخ الشريف العربي الزرهوني والأديب الأستاذ الشيخ عبد الجليل الدِّرَّا والفقيه مفتي المالكية سيدي المبارك نجل المرشد الكبير المربي العظيم الشيخ الطيب ابن المبارك والفقيه الأديب الشيخ محمد الزروق وفريق من أهل العلم والفضل.

وقد تليت في الحفلة التي أقامها الدرمانيون سيرة المولد النبوي الشريف من تأليف الأستاذ سيدي محمد بن جعفر الكتاني, وقد كانت المدة التي أقامها حضرة القادم حافلة بالفوائد العظيمة يسودها السرور التام. وقد عاد إلى دمشق فحضر اجتماع أتباعه في زاوية العلاويين, وكان فيها جمع غفير من علماء المدينة وقد أقيمت الأذكار قياما وقعودا, وألقيت النصائح النبوية على الطريقة الشاذلية, وخَتَمَ الحفل العلامة المحدث الشيخ محمد هاشم بن رشيد الخطيب الحسني بتلاوة آيات من كتاب الله العزيز, ثم تكلم الأستاذ العلاوي ذاكرا فيه نصائح في العثرة النبوية, فطاف بها الأستاذ على المجمتمعين وهم في غاية السرور يرتلون الصلوات على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم. ولما علم الجميع بعزم القادم الكريم على السفر الى بيت المقدس يوم الإثنين لزيارة المسجد الأقصى الشريف ومنها يقصد الى غزة لزيارة أصدقائه الكثيرين هناك, ودعوه وداعا حارا في تلك الحفلة, وكذلك ودعه فريق كبير عند السفر

حتى امتطى السيارة, وقد غادر دمشق مرفوقا بالسلامة والكل يلهج بالثناء عليه والإعجاب بعلمه الغزير.

وها نحن الآن ننقل نبذة لقراء البلاغ كنا وقفنا عليها في رصيفتنا الدمشقية الغراء شاكرين حسن اعتنائهم بالموضوع حيث جاء في عدد 178 وتحت عنوان "قدوم عالم كبير من الغرب" ما نصه: شرَّف عاصمة بني أمية الأستاذ الكبير والعالم النحرير فضيلة الشيخ أحمد بن عليوة الجزائري بعد أن أدى فريضة الحج وقد استقبله أهالي دمشق في محطة البرامكة على اختلاف طبقاتهم, وكانت وفود العلماء ومشايخ الطرق في مقدمة الجمهور, وقد خرج قسم كبير من بيروت وريّاق والزيداني على سبيل المسابقة للإجتماع بسماحته. وكان يوما عظيما جرى لاستقباله اعترافا بفضله وعلمه وزهده وورعه. والأستاذ من عظماء مشايخ الطرق وشيخ الطريقة الشاذلية وهو يرأس 50 زاوية في الجزائر والمغرب وكل زاوية تضم عددا وافرا ليس بقليل, وقد طاف سماحته في أنحاء سوريا وزار المتاحف العربية والآثار القديمة ودار الصناعات.

وكنت تجد خلفه عددا كبيرا ناكسين رؤوسهم في الأرض بكل احترام وآداب ووقار, وكان الأستاذ يمتطي السيارة الخصوصية المعدة له وتسير في مقدم السيارات في شوارع دمشق وكنت تجد الناس يركضون في الطرقات ويقبلون أذياله ويطلبون منه الدعاء فقابلهم بوجهه البشوش بكل لطف ويدعو لهم. وقد زار سماحته زاوية الشاذلية في سوق ساروجة في مسجد الشامية ليلة الجمعة, وكانت الزاوية تغص بالرجال والأولاد, وفي نهاية الذكر الشريف توافد القوم لأخذ الطريقة منه وكان هو يجيزهم فردا فردا.

ثم زار الأستاذ مدرسة الناشئة العربية بعد العصر مع عدد كبير من العلماء الأفاضل, وقد اديرت كؤوس المرطبات على الحاضرين وطاف بعد غرف المدرسة وتفقد شؤونها وانظمتها وقوانينها وشكر القائمين بها, وخابرت المدرسة بواسطة الهاتف أحد المصورين ليحضر ويأخذ رسم الأستاذ الجليل لأن هذه فرصة عظيمة وكنز لا يعوض, ولكن وللأسف الشديد عارض بعض السادة الجزائريين من طائفته أخذ الرسم, فتكدرنا جدا معارضتهم التي لا تنطبق على أساس متين, وقد سررنا جدا بتشريف الأستاذ وتكدرنا في نفس الوقت من معارضة هؤلاء. وفي 12 جويلية غادرنا مع حاشيته إلى القدس الشريف, وربما يعود الى دمشق, فعلى الطائر الميمون" اه.

وقد جاء في مجلة المناهج الدمشقية في عددها المرقوم 4 و 5 أنه اجتمع مديرها المحترم بالأستاذ العلاوي في تقرير تحت عنوان "الأستاذ المربي الكبير الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي في دمشق" وجاء فيها مايلي: زارني يوما صديقي السيد عبد الغني القادري فأخبرني بقدوم عالم جليل من الجزائر وقد اجتمع به قبل ببضع سنوات بباريس (1926م) وأخبرني أن له زاوية روحية هناك فسررت جدا من هذا الخبر وقلت لا زال المثل اللاتيني المشهور ساري بصدق حتى اليوم: "النور مطلعه الشرق".

فذهبنا إلى زيارته مساءً فلاقيناه وتكلمنا معه نحو ساعة, وهو رجل طويل القامة, نحيف الجسم, ينوف عن الخمسين من العمر, حسن المعشر, بديع البيان, حُرَّ الفكر, طويل الباع في علم أدب النفس, وذي اطلاع واسع على روح العصر وتقدم الحضارة الإنسانية, وهَمُّهُ تنوير القلوب وإرشاد النفوس إلى ما فيه نجاحها ونجاتها.

فتطرق في غضون حديثه إلى التصوف فقال: "التصوف عبارة عن الفكر الراقي الجوَّال الطامح إلى العلو وكشف الحقائق. والصوفي لا يقف عند التقاليد والصيغ اللفظية بل هو ينظر إلى ما وراء الألفاظ والعبارات, وإنما ضل من ضل من أهل المذاهب والأديان لأنهم أخذوا العبارات على ظاهرها".

ثم سأله شخص عن شطحات الصوفية فقال مجاوبا: "إن الكلمات التي تحتوي على الشطحات ما هي إلا كلمات قالها قائلها في غير حالة الصحو, بل هي حالة التجلي الرباني والوجد الروحاني, وهم يعنون بها في المعنى الظاهري ولا يمكننا أن ننكر عليهم بها, وقد استعمل الشرع ألفاظا لا يراد بها ظاهرها, وكما جاء في حديث (وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلى بالنَّوافِل حَتَّى أُحِبَّه, فَإِذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ, وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ, ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا ورِجلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا)". ثم قال في مجلس آخر: "كل العلوم تُطْلَبُ لتَكون وسيلة لغيرها وأما التصوف فيُطْلَبُ لذاته".

ثم استطَّر المحرر في نفس العدد المذكور جملا للأستاذ العلاوي عند كلامه على الإنسان الكامل فقال: وَضَّحَ الأستاذ الكبير الشيخ أحمد العلاوي المستغاني هذا المطلب في كتابه (الأبحاث العلاوية) بصورة رائعة وخلاصته: أن الإنسان لا يصير كاملا إلا إذا تدرج في الرقي بالتخلص من الإنقياد الحاصر في المادية والأجسام النامية والأجسام الحيوانية كما جعل العقل السليم رائده إلا أن العقل قد يخطئ أيضا لأنه لا يمكن أن يدرك بواطن الأمور ولأن الشهوات تستولي عليه, فلذلك يجب على الإنسان أن يتبع طريق الكاملين من الرجال حتى يتسنى له بلوغ درجات الكمال" اه.

من بين ما بلغنا من مذاكرات الشيخ العلاوي بدمشق, ما قاله الشيخ نوح حميم كلر نقلا عن الشيخ عبد الرحمن الشاغوري الذي كان حينئذ لا يزال في العشرينات من عمره وكان قد أخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ محمد الهاشمي ممثل الشيخ أحمد العلاوي لاحقا في دمشق. يقول الشيخ الشاغوري: قدم الشيخ العلاوي إلى مسجد رابعة الشامية وبعد صلاة المغرب ألقى درسًا ذاكرنا فيه عن أهمية الذكر, ونظرت حينئذ بارتياب إلى جوارب الشيخ, وكانت من صنع فرنسي وليست من صنع محلي جزائري محض, فقلت في نفسي: أنظر إلى تلك الجوارب, ومن المفروض أن يكون هذا الرجل شيخًا؟ ثم بدأ يتحدث عن حكمة من حكم الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري: "لا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضورِكَ مَعَ اللهِ فيهِ, لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلتِكَ في وُجودِ ذِكْرِهِ, فَعَسى أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَفْلَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ, وَمِنْ ذِكرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ إلى ذِكرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ, وَمِنْ ذِكرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ إلى ذِكرٍ مَعَ وُجودِ غَيْبَةٍ عَمّا سِوَى المَذْكورِ, {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} (سورة إبراهيم, الآية 20), وكان تعليقه شيئًا آخر... يُحَيِّرُ الأذهان ويذهل العقول ويُحَرِّك القلوب ويَرْفَعُ الهِمَمْ). فلما فرغ وحانت صلاة العشاء، ابتسمت وقلت لنفسي: هذا الشيخ له أن يلبس أي نوع من الجوارب ما شاء.

نقل الشيخ عبد الله محمد عكور مايلي: في تلك الأيام تلقى الشيخ العلاوي دعوة من أحد العلماء, ودعى هذا العالم جمعا كبيرا من علماء سوريا احتفاءً بالشيخ العلاوي, فأحب أحد العلماء سماع بشارة من الشيخ فقال له: يا سيدي نريد أن نسمع بشارة من جنابكم! فقال الشيخ العلاوي: أبشروا, من رآني ومن رأى من رآني الى يوم القيامة دخل الجنة. ففرح العلماء لهذه البشارة فرحا كبيرا حيث كانوا معتقدين لأولياء الله ولم يناقشوا في هذا أبدا. ولكن فيما بعد أنكر بعض الجهلة على الشيخ العلاوي قوله قائلا: هذا رسول الله وهو أفضل

من الشيخ العلاوي رآه أبو جهل ولم يفلح فكيف يكون هذا؟ فأجاب الشيخ رحمه الله: - أبو جهل لم ير النبي صلى الله عليه وسلم, إنما رأى يتيم أبي طالب ولو رآه صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار, أي إنه لم يره بالتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله, ولو رآه بهذا المعنى لم تحرقه النار, ولكنه رآه باحتقار واعتقاد أنه يتيم أبي طالب, فلم تنفعه تلك الرؤية, ولو رآه بالعين التي رآه فيها أبو بكر لكان مؤمنا.

ويقول الشيخ الفيتوري: في أثناء سياحتنا وصلنا إلى دمشق ووجدت الفقراء هناك يتحدثون عن شيخ قدم من الجزائر يدعى الشيخ أحمد بن عليوة وكان مقيما آنذاك عند الشيخ الهاشمي التلمساني رضي الله عنهما وهو من أجَّل مشايخ سوريا في ذلك الوقت, فصممت على مقابلته والذهاب إليه, و بالفعل ذهبت إلى مقر إقامته عند الشيخ الهاشمي فوجدت كثيرا من المشايخ والفقراء يطلبون الإذن في الدخول عليه فاستأذنت مثلهم للدخول عليه فدخلت وسلمت عليه ولاحظت في أثناء سلامي أنه مسك يدي وسلَّم علَّي أكثر من باقي الفقراء ونظر في عيني نظرة وابتسم ثم أخد جمع من الفقراء في التسليم عليه أيضا. بعد هذا اللقاء أخذ الشيخ الفيتوري العهد على الأستاذ وقال الشيخ العلاوي للشيخ الهاشمي: "يا سيدي الهاشمي هذا المريد يخُّصني أنا على طول, وضرب يده على صدره, وأنا ما جئت لهذه الديار إلا من أجل فقير مثل هذا يبحث عن روحه." ثم قال الشيخ العلاوي لمريده الفيتوري بعد أن لقنه الأوراد وأدخله الخلوة: "إنك احترقت شوقا, لن تطول في خلوتك.", فمكث ثلاثة أيام بلياليها. ثم أذن له الشيخ العلاوي بعد ذلك بالإرشاد والدلالة على الله قائلا: "يا بني أرجع إلى أهلك والمقام الذي تصل إليه ذاكر فيه اهلك."

يقول الشيخ عبد الرحمن الشاغوري في درس له مسجل في سنة 1978م, 1398هـ, في اربد: أنه لما قدم الشيخ أحمد العلاوي إلى دمشق بعد أداءه فريضة الحج, نزل في بيت أحد كبار أولياء وصلحاء دمشق وهو الشيخ أبو كمال الشميساتي رحمه الله في سوق ساروجة قرب جامع الورد, وذكر له أنه جاء ليقدم الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني كخليفة له في المشرق, فسمع بذلك الشيخ الهاشمي فاختبأ تواضعا وهربا من تحمل الأمانة وبعث لشيخه بأن يقدم العلامة الكبير الشيخ محمد هاشم الخطيب, وكان من كبار العارفين بالله وكونه سوريا وابن البلد والشيخ الهاشمي نزيل مهاجر، فقال له الشيخ العلاوي: "أنا أجيزك وأنت تجيز من تريد، نحن أعلم بمن نقدم ومن يخلفنا"، لأن الشيخ جاء لدمشق بأمانة عليه تسليمها قبل الوفاة.

يقول الدكتور محمد معتز السبيني: "إن أثر الشيخ بن عليوة بدمشق الشام عميق وعظيم, فمعلوم أن الشيخ ساح في بلاد المغرب العربي والأستانة وأدى فريضة الحج, وفي أثناء ذهابه إلى الحج يمَّم نحو دمشق وأحدث فيها مجداً وخلَّف فيها علماً، كما أنه وصل بها صديقاً (الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني) كان لذلك ثمارا يانعة قطفت وما زال الغدق مستمرأ إلى اليوم."

إن المتأمل ليعجب ويتساءل إذا كان أثر ابن عليوة قدس الله سرَّه, بدمشق في هذا الدخول الخاطف والمرور العابر, فكيف لو قصد دمشق واتخذها دار هجرة ومحل إقامة إذن لكان هناك كلام آخر ورأي مختلف. وصل الشيخ ابن عليوة دمشق عقب عودته من الحج ويصل الى محطة الحجاز فيهرع العلماء والأعيان والطلاب والفقراء من الصوفية لاستقباله وفي مقدمتهم طلاب الشيخ محمد بن يلَّس التلمساني وعلى رأسهم الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني وعدد من مشايخ آل الخطيب. وقد طلب كثيرون نزول الشيخ العلاوي عندهم

ولكنه امتنع شاكرا حتى إذا فرغ من السلام على الجميع التفت وقال أين الشيخ محمد الهاشمي, وكان الشيخ الهاشمي واقفا مع صاحبه الوفي أبي عادل الشميساتي الذي ينقذه من ورطة استقبال الشيخ الجزائري كونه كان لا يملك إلا غرفة واحدة, ويذهب ابن عليوة الى بيت عادل الشميسلتي الذي يقع في حي سوق "ساروجا" بجوار جامع الورد.

إن الأجواء في دمشق الشام كانت مهيأة لاستقبال رجل طبّقت شهرته في أرجائها ووصل اسمه الى أسماعها قبل أن يشخص إليها بنفسه ويحل فيها بشخصه, وفي هذه الرحلة يجيز الشيخ العلاوي الشيخ محمد الهاشمي بالإرشاد والدلالة على الله ويعلن أنه خليفته في دمشق, ولكن كان الشيخ الهاشمي يرى من مصلحة الطريقة أن يكون الشيخ محمد هاشم الخطيب هو المجاز والمستخلف في ذلك لكونه من أبناء البلد وهو غريب نزيل, فيمتنع الشيخ ابن عليوة بقوله: "أنا أجيزك وأنت تجيز من تريد".

مايو, جوان 1930م, ذي الحجة 1348, محرم 1349هـ

من الفالوجة

قد تشرف أهالي الفالوجة بقدوم السيد المحترم الشيخ محمد بن عيمور الهلالي الأزهري الجزائري من أتباع الشيخ العلاوي والذي صار له في قلب كل من رآه أعظم منزل, ومكث ليلتين ضيفا مكرما ما بين الفقراء على ذكر ومذاكرة, وقد دخل في بيعته جمع من الأهالي, ثم غادرها إلى غزة وصدور أهاليها مثلجة من إرشاداته الجذابة, نفع الله به المسلمين.

الخميس 16 مايو 1930م, 16 ذي الحجة 1348هـ

من غزة

وصلت إلى السيد الهلالي بغزة برقية من فضيلة الأستاذ العلاوي يخبره بقدومه لزيارة القدس الشريف, وليس في المبالغة في شيئ إن قلنا إن جميع الأهالي ينتظرون قدوم سعادته بفارغ الصبر, نسأل الله أن يمتع الأمه بمحبته دنيا وأخرى. والزاوية العلاوية التي بغزّة والتي تعمر بأهل البلدة من أفراد الطائفة العلاوية, وهم جماعة من خيرة أهل البلد, كان سبب فتح هذه الزاوية الشيخ الهلالي حيث كان قد هاجر في طلب العلم إلى الأزهر الشريف العامر, غير أنّه قبل انقطاعه إلى القراءة, ذهب ليصل الرحم الروحيّ مع اخوة له في النسبة, فكان من نتيجة زيارته فتح زاوية ببلاد غزّة هاشم, وقد وقع عليه إقبال كبير من أهلها, فمكث بين ظهرانيهم مدّة تردّد فيها على عدّة قرى من القرى القريبة من غزّة, فكانت وطأته مباركة, حيثما حلّ وأينما ارتحل.

أوائل شهر جوان 1930م, أوائل شهر محرم 1349هـ

من القدس الشريف

نأسف لافتقادنا لأدنى معلومة عن زيارة الشيخ العلاوي للقدس الشريف ما عدا أنه نزل في بيت أحد الإخوان العلويين السيد الحاج المهدي, وأن الشيخ مصطفى بن عبد السلام الفيلالي الشهير بالقدسي اجتمع بحضرة الأستاذ العلاوي في بيت المقدس, وكذلك الشيخ حسين بن محمد بن سليمان الفالوجي المكنّى بأبي سردانة الذي أجازه الشيخ العلاوي في إعطاء الأوراد العامّة من النسبة.

الخميس 12 جوان 1930م, 15 محرم 1349هـ

من الفالوجة

يقول المراسل لجريدة البلاغ مايلي: حظيت بمقابلة العارف بالله سيدي الشيخ أحمد العلاوي الجزائري وفي معيته ثلاثة أنفار تشرفت بمعرفه أحدهم وهو سيدي الفاضل الشيخ عدة بن تونس في القدس الشريف حيث نزل في بيت أحد الإخوان العلويين سيدي الحاج المهدي, وبعد أداء فريضة العصر زاره صاحب الفضيلة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى يصحبه أحد أعضاء المجلس زعيم غزة الحاج سعيد أفندي الشوَّا ووفد من العلماء.

الجمعة 13 جوان 1930م, 16 محرم 1349هـ

من غزة

أقلعنا إلى غزة فشرف الأستاذ في الزاوية العلاوية وبدأ أداء فريضة العصر, ثم ألقى جنابه مذاكرة دينية, ثم توجه الى الدار التي أعدها السادة العلاوية لقدوم حضرته وهي دار أخينا في الله السيد عبد الرحمن العاني.

السبت 14 جوان 1930م, 17 محرم 1349هـ

وفي ثاني يوم أقيمت لسيادة الأستاذ حفلة تكريم في الزاوية المذكورة حيث كانت غاصة بالحاضرين, فألقى لفيف من العلماء والأدباء خطب الترحيب والتهاني نثرا ونظما (يضيق النطاق عنها وربما تنشرها البلاغ في أعدادها الآتية) بقدوم هذا السيد العظيم.

الأحد 15 جوان 1930م, 18 محرم 1349هـ

وفي ثالث يوم أقيمت له حفلة رسمية في جماعة من العلماء والأعيان, مرموقا بعين الإجلال, بأمر من المجلس الإسلامي الأعلى في مسجد غزة الكبير المسجد العمري المبارك والتي حضرها جميع العلماء ورجال المحكمة الشرعية ورئيس محكمة الصلح وكبار الدوائر. وبعد أداء مكتوبة العصر افتتحت الحفلة بآي من القرآن الحكيم, ورغم ما كان عليه الأستاذ من ضعف البدن فقد اقترحوا عليه أن يلقي عليهم درسا, وما كاد يستوي على منصته حتى اكتظ المسجد بالجماهير فتكلم عن الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ, مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى) وبعد الفراغ من درسه أعجب به الجميع وأخذ بمجامع قلوب الحاضرين في هذا اليوم المشهود الذي يكل اللسان عن وصفه, وألقيت في الثناء عليه الخطب والقصائد, ترحيبا به, وتقديرا لما استخرجه من اللألىء المكنونة في قوله عليه الصلاة والسلام. وبالجملة فقد مكث الأستاذ أربعة أيام صرفها في ذكر ومذاكرة مع أعاظم المذكورين وهم على أتم خضوع وأكمل أدب مع الإعتقاد العاري عن الإنتقاد. وكثيرا ما ناب عن جنابه في الإرشاد الشيخ ولي الله سيدي الشيخ عدة (بن تونس) حيث جذب قلوب المستمعين بحكمه الدالة على طول باعه وكثرة اطلاعه.

يقول الكاتب القدير والأديب الشهير الشيخ مصطفى بسيسو الكيالي المحامي الشرعي بغزة بفلسطين: لقد سعدت غزة ورفلت في ثياب المجد والفخار وتاهت وفاخرت غيرها من بقية سائر الأقطار بتشريف الأستاذ الكبير السيد أحمد العلاوي بلدتنا غزة هاشم وزار بعد البلاد الفلسطينية كالقدس ويافا, وقد

وقع له من الإقبال والاحترام وتعظيم كبار القوم وأعيان العلماء والوجهاء عند مقابلته وزيارته ما لا يكاد يحصيه القلم.

أما غزه فقد انتظره سادتها وعظماءها قبل تشريفه وبعد مجيئه بادروا بزيارته والسلام عليه, فرأوا فيه رجلا عالما وصوفيا محققا ذا بصيرة وَقَّادَة ورأي سديد حازم, ومحيا جذاب ولفظ رقيق, سريع الخاطر, حاضر الدهن, كلماته مثمرة وأقواله مفيدة نَيِّرَة, فما رآه أحد إلا وأحبه وأقبل بكليته عليه. وقد كانت المدة التي اقامها ثلاثة أيام تقريبا معمورة بالمذاكرات العلمية والمحاضرات والتلاوة والأذكار. وكان المكان المعد له (دار ندوة) للعلماء والوجهاء والفقهاء. وقد أقبل الناس على زيارته والتبرك وأخذ العهد عليه. وقد ألقى في المسجد الكبير بغزة كلمة كان لها تأثير في القلوب والأفئدة, فعرف القوم كيف أن المسلم للمسلم كالبنيان وأنه كالجسم الواحد إذا تألم عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى. والحقيقة أن ذلك الحديث معلوم لكثير من الناس ولكن كيفية الإلقاء والإخلاص في الوعظ لا يتيسران لكل واحد. ولقد زار الأستاذ بعد من زاره, ومن جملتهم كاتب هذه الأسطر.

وحينما أراد السفر ودَّعه على المحطة جمع غفير من سادة غزة وفضلائها, فكان الناس يفدون عليه زرافات ووحدانا, بعضهم مودعا والآخر مُسَلِّماً أو مصافحاً أو متبركاً وآخذا العهد عليه أو يقدم أولاده الصغار لينالوا بعض الدعوات الخيرية.

وبالجملة فقد كان ذلك اليوم مشهودا في غزة يكاد يكون هو الوحيد. وتكاد تكون الأيام عقيمة بمثله وأن بعض البلدان كـ يافا متعطشة تواقة للأستاذ ولمن له بهم صلة أو أمرا وعلاقة أو بعث له بعهد وطريقة. وفقنا الله لفهم كلام الله

وسنة رسوله والعمل بموجبهما وفهم كلام السادة الصوفية والشرب من الكأسين الحقيقة والشريعة وخدمة البلاد والعباد بما فيه الخير إنه سمع مجيب.

الإثنين 16 جوان 1930م, 19 محرم 1349هـ

وفي اليوم الرابع اجتمعت أهالي غزة وجموع الضواحي منهم العلماء وأبناء النسبة لوداع الأستاذ حيث جميعهم بايعوه وانخرطوا في نسبته. والحاصل صار له يوم مشهود تعجز الأقلام عن وصفه.

ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما　　قد حدثوك فما رأى كمن سمع

ثم امتطى الأستاذ القطار وانصرف الجمع وهو آسف على فراق هذا السيد الجليل الذي لم يسمح العصر بمثاله, متع الله المسلمين بحياته إنه على ما يشاء قدير.

الثلاثاء 24 جوان 1930م, 27 محرم 1349هـ

من يافا

وفي يوم الثلاثاء 27 من شهر محرم, اجتمع وفد عظيم جله من السادة العلاويين على ميناء يافا لوداع الأستاذ حيث هناك السفينة "كندا" في انتظاره التي سترسو بميناء بيروت قبل أن تنطلق نحو مرسيليا, صحبته السلامة.

الخميس 26 جوان 1930م, 29 محرم 1349هـ

عودة السيد صالح بن دمراد

ومن جهه أخرى قدم من الديار الحجازية هذا الأسبوع جناب الفاضل الوجيه السيد الحاج صالح بن دمراد التلمساني التاجر الشهير بغليزان والذي رافق الأستاذ العلاوي إلى بيت الله الحرام, وقد استعجل لمآربه, فخلف رفقائه في بيروت وعجل أوبته. وقد اجتمعنا به وبإخوانه الذين أتوا للعاصمة لملاقته بالعاصمة ليلة, ثم توجه إلى بلدته تصحبه السلامة وتلحقه الكرامة.

الأحد 29 جوان 1930م, 2 صفر 1349هـ

من مرسيليا (فرنسا)

حل الأستاذ العلاوي بمرسيليا قادما من بيروت بعد الحج إلى بيت الله الحرام بتاريخ 29 جوان بصحبة جماعة منهم السيد الحاج الغوثي بن أباجي التلمساني وابنه السيد الحاج عبد المجيد ومدير البلاغ السابق السيد عدة بن تونس, وقد احتفل بقدوم الأستاذ خلق كثير وجمع غفير, وكان أكثر المحتفلين به أبناء اليمن ومكث بها نحو اليومين, ثم ودَّعوه ورفقاءه مصحوبين بالسلامة والسلام, فامتطى ومن معه السفينة (لاموريسيار) لشركة ترانس أتلانتيك.

الأربعاء 2 جويلية 1930م, 5 صفر 1349هـ

عودته إلى الجزائر

وصل فضيلة الأستاذ المحترم الشيخ أحمد بن عليوة إلى الجزائر العاصمة من حجه الميمون وسياحته المباركة يوم الأربعاء 2 جويلية, 5 صفر على الساعه 1:00 بعد الظهر. نزل الأستاذ ورفيقه السيد عدة بن تونس من السفينة القادمة من مرسيليا, وكان في انتظارهما جمع كبير من أهل النسبة العلاوية وبعض الأفاضل من تلمسان ومستغانم والعاصمة.

وبعد أن نزل الأستاذ من السفينة خفقت القلوب فرحا وتهللت الوجوه بشرا وحيوه تحية ودادية صادقة ثم ركب وركبوا سيارات قاصدين محل الأستاذ في "سانت أوجان". وهناك توافدت عليه جموع كثيرة من مختلف النواحي من الأتباع وغيرهم لتهنئته وتحيته, وأقيم حفل بمناسبة رجوعه من الديار المقدسة, واستمر الحال على هذا المنوال إلى مساء يوم الجمعة حيث ودعهم الأستاذ وسار قاصدا أهله بمستغانم. وكان في الحسبان أن حضرته يمكث أكثر من أسبوع في الجزائر, لذلك كان في أملنا أن نخصص مع فضيلته جلسة نسأله عما شاهده في رحلته هذه من الإصلاحات الحيوية في الحجاز وغيره, ولعل حضرته سيشتغل بشيئ من ذلك على قراء "البلاغ" في المستقبل إن شاء الله.

أما بقية الحجاج الذين جاءوا في السفينة التي خلفت "آسيا" المحترقة على غير طريق مرسيليا فكان وصولهم صباح يوم الجمعة الماضية. وقبل نزولهم ذهب لرؤيتهم كثير من أقاربهم وأصدقائهم الذين كانوا في انتظارهم, وقد ذهب إليهم أيضا مدير هذه الصحيفة مع بعض أفاضل عنابة على مراكب

بحرية صغيرة, ولقد لاحظنا على وجه الحجاج أثر التعب, والذي يدعو للأسف أن السفينة الحاملة لهم لم تكن من اللياقة كما كان في الحسبان, فقد سمعنا منهم شكاوى مما لحقهم من التعب بسبب إهمال النظام اللازم داخل السفينة, زد إلى ذلك النظافة التي لم تكن مستوفرة على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه, ولا شك أن اللوم في هذا كله يتوجه إلى أولي الأمر لعدم عنايتهم بشؤون الحجاج. فإلى ذلك نلفت نظر أولي الأمر من الحكام فيما يأتي من سني الحج كم نلفت نظر أعيان المسلمين ونوابهم إلى هذه المسألة ليعطوها حقها من عناية خاصة فيما يأتي وليوقفوا الحكومة لتكون على بصيرة من كل ما هو ضروري للحجاج حتى لا يقع أي تقصير يلحق الحاج بمضرة ولتتكفل لهم بما يوفر لهم راحة في سفرهم وسلامة في أبدانهم إلى أن يعودوا لأوطانهم, وبهذا يكونون قد قاموا بواجبهم على الوجه الأوفى مستوجبين عليه شكرا منهم لهم.

يقول الشيخ الخضر عمروش: زرت من الحجاج الأستاذ المرشد صاحب الفضيلة الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي بزاويته المعمورة بحضيرة مستغانم فوجدت فيها عدة وفود جاءت لتهنئته بسلامة الإياب من الحرمين الشريفين. أما أهالي بلدته فما فتأت منذ إقامتي عنده تتردد عليه صباحا ومساء بمناسبة ما لحقه من الوعك وهو أمر يعرب لك عما في الأفئدة الطاهرة من الاحترام والعطفة الودية نحو حضرة الأستاذ. أما جنابه فلقد كان يقابل كلامتهم بما يليق به من حفاوة وإكرام رغم ما كان يساوره من الألم الشديد من حين إلى آخر حتى يكاد في بعض الأوقات لا يسمح له بالقعود في فراشه وهو يتكلف القيام لزائريه, صان الله تلكم الشمائل الكريمة. هكذا كانت حالته أما الآن فقد انهزمت جيوش تلك العسرة المؤلمة وأصبح الأستاذ, زاد الله في عافيته, يتراوح شفاءه شيئا فشيئا, بهذا استبشر أصدقاءه الكثيرون, شاكرين

فضل الله وإحسانه الجزيل داعين الله له بالبقاء لصالح هذه الأمة إنه على ذلك لقدير وبالإجابة جدير.

يقول مكاتبنا عن الحجاج عندنا في هذه السنة جلهم لا زال متوعكا وعلى الأخص المرشد سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي, فهو الآن على فراش العلاج يزوره الطبيب كل يوم, صان الله تلكم الشمائل الكريمة وحفظ الأمة في تلك الذات العاملة. زرته بمحله المعمور فوجدت عنده خلقا كثيرا تتألف أفراده من أصدقائه من نوازع شتى يتخللهم بعض أفراد من طلبة العلم عرفت منهم الأستاذ الشيخ عبد القادر بن سودة الفاسي والشيخ محمود الصنهاجي والشيخ الحبيب بن عبد المالك المفتي بالديار الوهرانية ومفتي الديار المستغانمية الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى والشيخ بلقاسم السايح والشيخ القاضي بمستغانم الشيخ القاضي بغليزان والشيخ علي موسى العقبي والشيخ أحمد الرايسي نائب البلاغ.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆□□□□□☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

- 3 -

من المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي رضي الله عنه

بعض المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي

من المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي رضي الله عنه والتي جاءت في كتاب "إتحاف ذوي النهى والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر - للشيخ عبد ربه البوزيدي رضي الله عنه":

كان للشيخ العلاوي رضي الله عنه, كلام ومذاكرات مع إخوانه ونصائح في شتى المناسبات.

فمن ذالك كان يمتثل بقول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: "الخذلان كل الخذلان لمن ظهرت له صورة نفسه ولم يخنقها".

ومنها أنه كان جالسا مع بعض الفقراء وكانوا من بلدة بعيدة فقال لهم: "هل تجتمعون؟", قالوا: "لا", قال لهم: "إذا لا طريق لكم, لأن الإجتماع لازم ولو مرّة في الأسبوع ".

ومنها أنه كان يوما جالسا مع الإخوان وكان بجانبه فقير, فقال له الشيخ: "إذا وجدت الجنة مفتوحة والفقراء جالسين على بابها يذكرون الله تعالى, فماذا تختار, أتدخل الجنة أم تجلس مع الذاكرين الله؟", فقال الفقير: "أدخل الجنة", فقال الشيخ: "بل أنا أختار الجلوس مع الفقراء, لأن مجلسهم رياض الجنة".

ومنها انه كان مرة جالسا مع الإخوان وفي يده كأس فقال: "إن الفقير لا يدع الإسم حتى يعرف هذا الكأس على أربعة أوجه, من فوق ومن تحت وعلى الجانبين".

ومنها أنه رأى بعض الفقراء على هيئة لم يرضها, فقال لهم: "لا تكونوا كسالى عاجزين وكونوا أقوياء ومتوجهين إلى الله تعالى بأدب وحسن هيئة, فمالي أراكم تدخلون الزاوية بنعالكم, فتأدبوا فإن الطريقة كلها أدب وكونوا

قائمين بحق العبودية وطاعة الله, فالفقير كلما فرغ من عمل صالح شرع في عمل آخر".

ومنها أن فقير كان إلى جنبه فنظر في ساعته فقال له الشيخ: "هذه الساعة صنعة ولا بد لها من صانع, وهذا البيت الذي نحن فيه مصنوع ولا بد له من صانع, وهكذا هذا الكون الواسع هو مصنوع ولا بد له من صانع, وليس هناك أحد إلا الله فهو خالق كل شيء ".

ومنها أنه لم يسمع مرة أثراً لذكر الفقراء في الزاوية, فسأل عن سبب ذلك فقيل له أن عالما يلقي درساً على الفقراء, فخرج ودخل الزاوية وجلس إلى جنب ذلك العالم, فنظر إليه وإذا هو حالق لحيته متفرنج, فقال له الشيخ: "ماذا تقول؟", فأجابه: "يا سيدي استسمحك إني ألقي بعض الكلمات على هؤلاء الإخوان", فقال له الشيخ: "إن علمك هذا لا إدام فيه ولا يقبله الفقراء ولا يستسيغونه". ثم صفق بيده فقام الإخوان وشرعوا في الذكر والحضرة, فلما فرغوا من الذكر قال لهم: "سادتي الفقراء الحال يكفي عن السؤال, إذا وجدتم عالما مثل هذا متفرنجا حالقا, خذوه هو وعلمه واضربوا به لج البحر".

الشريعة والطريقة والحقيقة

من المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي, الحديث الذي دار بينه وبين كاتب المقال في رسالة من المغرب الأقصى, والذي وقع بمدينة فاس العريقة أثناء سياحة الشيخ العلاوي بتلك الديار والذي محوره حول المدارج إلى معرفة الله ابتداءً بالشريعة ثم الطريقة ثم الحقيقة.

إن المدارج إلى معرفة الله تبارك وتعالى ثلاثة: فالأولى الشرائع وهي جمع الشريعة وهي ما شرع الله لعباده يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه: **"وَمَا آتَاكُمُ**

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا" (الحشر:7) وأول مراتبه الإيمان بالغيب والقيام بالأركان الشرعية من صلاة وصوم وحج وزكاة, لأن العبادة إما بدنيه أو مالية, وأجَّل العبادة البدنية الصلاة, وأجَّل العبادة المالية الزكاة, ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **"الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام"**, وأما الترك فهو داخل في الصلاة لقوله تعالى: **"إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ"** (العنكبوت:45).

وأما الطرائق فهي جمع الطريقة وهي طور التخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل, وبعبارة أخرى هي تطبيق الأوامر والنواهي على أحوال المكلفين, ومعرفه النفس بخسائسها المندمجة فيها من حقد وحسد وغضب واستعلاء.

قال بعض العارفين: إن الإنسان اصطحب في خلقته وتركيبته أربع شوائب, فلذلك اجتمع عليه أربع أنواع من الأوصاف: الصفة السبعية, والبهيمية, والشيطانية, والربانية.

فهو من حيث السبعية يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب.

ومن حيث البهيمية يتعاطى أفعال البهائم من الحرص والشره, ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني, فإنه ربما يدَّعي لنفسه الربوبية كما فعل فرعون, ويحب الاستعلاء والاستبداد بالأمور كلها, ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها, بحيث يفرح إذا نُسِبَ للعلم ويحزن إذا نُسِبَ إلى ضده الذي هو الأصل فيه.

أما من حيث الشيطانية فإنه يأتي أفعال الشياطين من استنباط وجوه الشر والتوصل إلى الأغراض بالحيلة والمكر والخداع, ويظهر الشر في معرض الخير, ويهيج أفعال الثلاث السالفة الذكر.

ولكن الله رزق عبده العقل ليدفع كيد الشيطان بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح, ويكسر الشهوة البهيمية والسبعية والروحية, فإن عجز عن قهر هاته الأربع قهروه واستخدموه.

فالقلب كالمرآة تكتفئ هذه المؤثرات, وإن كان القلب مشتغلا بذكر الله ازداد صفاء ولمعانا وضياءً حتى يظهر فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب, وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: **"من أراد الله به خيرا جعل له واعظا من نفسه"**, وهذا القلب لا يستضيء تماما إلا بذكر الله والتفكر في مصنوعاته, قال الله تعالى: **"أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"** (الرعد:28), ثم الصلاة والصيام والزكاة والتحابب والتوادد وصلة الرحم والحكم بالعدل.

وأما إن امتثل أوامر السبعية والبهيمية والشيطانية, فذلك مثل دخان متراكم يتصاعد إلى مرآه القلب, ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تبارك وتعالى, وهو المعبر عنه بالطبع والرين...

قلت ومن هنا تنشأ ملاحظة الإسلام وأهله بعين الازدراء فيتتبعون عوراتهم وينمقون كذبتاهم وتشوه أقلامهم أحوالهم, فيسبون الأولياء ومنه يرتقون إلى النبويات, وهكذا إلى الإلهيات, والله متم نوره.

وأما الحقائق وهي جمع الحقيقة فهو الأمر الوهمي, الذي معناه مشاهدة الحق في سائر الأحوال وهو نتيجة الأمرين قبله, وهو المعبر عنه بالفتح الرباني والواردات الربانية النورانية وهو مقام العارفين بالله. والأمر أن قبله كسبيات يلتقيها الإنسان من نتيجة الإيمان والإحسان, والله يجزي كل نفس بما تسعى وإليه الميعاد والرجعى.

سرّ الإجتماع

من المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي هذه المذاكرة التي وقعت أثناء الاحتفال السنوي فى مدينة مستغانم بزاوية الأستاذ العلاوي في شهر أوت 1928م, نقلها لنا الكاتب تحت إمضاء "ابن هاشم": قال حضرة الأستاذ ما معناه:
"إن الغرض الوحيد من الاجتماع هو التعارف والتآلف وبث النصائح والإرشادات فيه, وإنه ينتج منه, لو تدبر الإنسان, خير عميم وثواب عظيم, ولكن الكثير من إخواننا, سامحهم الله, لا زالوا يجهلون سر الاجتماع وقد هجروه هجرا غير جميل, وكان الواجب عليهم أن لا يتأخروا عن حضوره ليتبن لهم الحق بعد ما يدركون حقيقته عيانا وتظهر لهم فوائده العظيمة وما بعد العيان بيان. ومن المخجل، بل مما يؤسف عليه، أن بعضهم، عفا الله عنهم يسعى بكل قواه في تعطيله وذلك بعراقيل كثيرة لتثبيط العزائم ولكن ينبغي الصبر عل كل حال حتى يأتي يوم يرجع فيه أولئك المعرقلون هدى الله رشدهم إلى الصواب..."
ثم مِن أعظم ما نعرضه عليكم المواظبة على أوقاتكم المفروضة ونوافلكم وأذكاركم وعضّوا عليها بالنواجد, واشكروا الله سرا وعلانية يزدكم من فضله ويتقبل أعمالكم. واحذروا من الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء, وكونوا يدا واحدة في السراء والضراء, وعليكم في جميع الأمور بمزج الرأفة بالغلظة, واللين بالعنف, "وَاتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا"... (آل عمران, 102-103)."

وواصل الشيخ من مثل هذه المواعظ السامية الجليلة وتضرع إلى الله عز وجل أن يهدي عموم المسلمين إلى أقوم طريق وأن ينزع ما ران على قلوبهم وأن يجمع كملتهم و يوحد وجهتهم ويعلي كلمة الدين ويخذل جميع المبتدعين وهو يتولى الصالحين.

زِنُوا قولي بميزان الشريعة

من الأقوال الشفوية المأثورة عن الشيخ العلاوي والتي نقلها لنا الكاتب تحت إمضاء "ابن هاشم", حيث قال: فقد كان كثيرا ما يقول الأستاذ العلاوي عند اجتماع الفقراء:

"أناشدكم الله تعالى أيها الإخوان إن رأيتم منا أو سمعتم عنا شيئا, فزنوه قبل كل شيء, بميزان الشريعة الإسلامية السمحاء, فإن وافق فخذوه واعملوا به, وإن خالف كتاب الله وسنة رسوله الأكرم صلى لله عليه وسلم, فينبغي أن تبحثوا عنه, هل هو صدر منا حقيقة ؟ وبعد السؤال والمفاهمة قد نكون على صواب وقد نكون مخطئين في شيء, فترشدوننا إلى السبيل الأقوم, إذ لسنا بمعصومين, والإنسان محل الخطأ والنسيان, وإذا بينتم لنا خطأنا ولم نرجع عنه, ورأيتموه مخالفا للشريعة الحنيفية الغراء, فأنبذونا نبذ النواة والله تعالى يجازيكم عنا خيرا ويعوضكم بما هو أفضل منا, ففي أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخير العميم, والأمر أمر الله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

وقال نفس الكلام بصيغة أخرى:

"ما وجدتم من أقوالي وأفعالي مخالفا للكتاب والسنة فاطرحوه إلى وراء ظهوركم وانبذوه بالعراء, فربما يكون ذلك افتعالا أو حالا من أحوال الشطحات التي ليست داخلة تحت دائرة التكليف".

الدين والإيمان

من المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي, ما يتعلق بديننا الحنيف ومما ترمي إليه تعاليمه العالية وحسن أسلوب القرآن, والتي نقلها لنا الكاتب تحت إمضاء

"محمد البشير الجريدي", وكان ذلك في يوم الجمعة 04 مايو 1928م, 14 ذي القعدة 1346هـ بزاوية وهران:

"قد تقرر عند الأمم الغربية من الفلاسفة والحكماء أن القرآن هو أحكم كتاب أنزل من عند الله, وأن تعاليمه ليست مختصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقط, فهي صالحة لكل عصر ومصر بحيث لا يختص بها جيل دون الأخر. أما غيره من الكتب المنزلة فهي مختصره على تلك الأمة التي أنزلت على أنبيائها فقط, وقد انقضى أمدها ببعثه سيد الرسل صلى الله عليه وسلم, وذلك لأن كتابه محتوي على جميع أسرارها, فهو الدستور الكفيل بسعادة بني الإنسان على اختلاف مللهم, ولذلك قال بعض أساطين العلم من أهل أوروبا: "إن الإسلام هو الدين الذي يجدر بجميع الأمم الحية اعتناقه وأن يهتدوا بهديه لأن كتابه هو الكتاب الفذ الصالح لارتباط الأمم ببعضها ارتباطا محكما غير منقسم القوى", وإنه ليسوء الإنسان أن يرى أبناء هذا الدين المتين ناكبين عنه غير عاملين بأوامره ونواهيه, ميالين إلى كل جديد مما أحدثته هذه العصور الأخيرة من دعوى التجديد والرقي الموهوم ذي البروق الخلابة, فمثل هذه الدعوى **"كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا"** (النور:39).

أما الذي يتبادره فهم العاقل فهو أن هذا الفريق غير ذائق حلاوة الإيمان ولا متحقق بأسرار الديانة الإسلامية, وإلا لما انكبوا عنها ومالو إلى غيرها من بقية الأديان, ومَنْ هذا شأنه لا يُعْبَأُ به, لأنه على غير بصيرة من أمره, ولذلك تراهم تارة يُسْلِمُونَ وأخرى يَكْفُرُونْ, لا يلبثوا على حالة واحدة, مثلهم كمثل الحرباء, كلما دخلت أرضا تلونت بلونها. أما من كان على بصيرة من معتقده وبينة من أمره, فإنه لم يزيغ ولن يبغي بدينه بديلا ولو تكبد كل المتاعب ولاقته كل العقوبات والمصائب, ودليلا على ذلك ما لقيه أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من تضييق من مخالفيهم ومطارداتهم إياهم وما لحقهم من التشرد في البلاد, ومع ذلك كله لم يبالوا بشيء منه وما يزيدهم ذلك إلا انزواءً إلى الدين ومحبة في سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم, مع أنه صلى

الله عليه وسلم لم يكن ذا ثروة يمدهم منها أو يَتَّبِعُونَه لأجلها, وإلا لقال المقابل ذلك ومع ما تقرر, فما هو الباعث لهم يا ترى على شدة هذا التمسك والعض على الدين بالنواجذ؟ ذلك أنهم كانوا على بينة من أمر دينهم وبصيرة فيما يعتقدونه, قال تعالى آمرا لنبيه: **"قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"** (يوسف:108).

ثم إن الإيمان ينقسم إلى قسمين والناس فيه فريقان: الفريق الأول إيمانه كأصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا تهزه الزلازل ولا تخلخله عواصف الرياح, والفريق الثاني إيمانه بحسب ما يراه من المعجزات وخوارق العادات, فهذا الأخير لا يثبت إيمانه لأنه ناشئ عن رؤية بصرية وخارقة شفاهية, والدليل على ذلك ما وقع لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام, والكل يعلم أن إيمانهم ناشئ عن الخوارق, كإلقاء العصا وانفلاق الحجر اثنى عشر عيناً وما شاكل ذلك كانشقاق البحر، ويدلك على عدم ثبات إيمانهم, ما وقع منهم بعد خروجهم من البحر ومشاهدتهم إلى تلك الخارقة العظمى وهي انشقاق البحر وانفلاقه, كل فلق كالطود العظيم, فإنهم ما جفت أقدامهم حتى قالوا لموسى: **"اجْعَلْ لَنا إِلَهًا كَما لَهم آلِهَةٌ"** (الأعراف:138) إلى غير ذلك من طلباتهم. وقد عبدوا العجل وذلك لأن الإيمان لم يستقر في قلوبهم كما استقر في قلوب الأمة المحمدية التي كان إيمانها ذوقا ووجدانا, قال عليه الصلاة والسلام: "مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ, وَلَكِنَ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ". وهكذا اتباع المرشدين في طريق الله من ساداتنا أهل التصوف, فإن من تبعهم بقصد أن ينال نصيبا من ذلك السِّر الذي وقر في صدر أبي بكر وحصل على ما كتبه الله له منه, فإنه لن تهزه عواصف الرياح.

وهناك من تبعهم لأجل كرامة أو إحياء حيوان مثلا, أو أن الشيخ يفعل كذا وكذا... فهذا لا يثبت ويبقى يتخبط, تارةً يُقْبِلُ وتارةً يُدْبِرْ, لأنه إن رأى أحدا أحيى له دجاجة مثلا (كما يشاع عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه) فإنه يؤمن به في ذلك الحين, ولو جاءه آخر وأحيي له كبشا مثلا أو بقرة

لاستبدل الثاني بالأول, وبالأحرى إذا رأى من أحيى له جملا أو فيلا, لأتبعه أيضا, والفرق بعيد بين الشقين" (اه).

الصَّديق نوعان

من المذاكرات الشفوية للشيخ العلاوي: "الصديق نوعان, صديق الإنسان وصديق الزمان, فصديق الإنسان تبقى صداقته ببقاء الإنسان. أما صديق الزمان فتتغير صداقته بتغير الزمان. فاحرص على أن تعامل صديق الإنسان بما تعامل به نفسك, وصديق الزمان بما تعامل به زمانك".

مَنْ تحقق ومن لم يتحقق في طريقتنا

من المذاكرات الشفوية المأثورة عن الشيخ العلاوي والتي نقلها لنا الكاتب تحت إمضاء "محمد البشير الجريدي", حيث قال: فقد كان كثيرا ما يقول الأستاذ العلاوي عند اجتماع الفقراء:

"يا أحبابنا, من رأى نفسه أنه نال شيئا من طريقتنا وتحقق أنه على فائدة وزيادة فيما يقربه إلى الله, فالله حسيبه إذا استبدل بنا. ومن بقي كما دخل ولم يزدد شيئا, فالله حسيبه أن يبقى على طريقتنا, لأن شرط الصحبة في الطريق هو النفع. ومن رأى منكم شيخا آخر عنده شرابٌ خيرٌ من شرابنا, فالله حسيبه إن لم ينصحنا لنذهب جميعا نتبع ذلك الشيخ".

وقيل أنه جاء أحد الفقراء إلى الأستاذ العلاوي رضي الله عنه وقال له: "أنا معك ثلاثين سنة ولم يتحسّن حالي مع الله", أي لم يبلغ المقامات التي يتحدّث عنها شيخه فقال له: "إنك يا سيدنا ثلاثين سنة مع لحيتك", وكان لهذا الفقير لحية جميلة وهو شديد الولع بها".

=========//////=========

الشيخ العلاوي إلى مشايخ التصوف وأرباب الزوايا

إلى مشايخ التصوف وأرباب الزوايا, أعني الخاصة منهم, لا المتداخلين...., ما كان يجمل بمثلي أيها السادة أن ينتصب لتذكيركم وأنتم المذكرون أو ينتدب لوعظكم وأنتم الواعظون لولا أن في القوم من فشلت عزائمه ,وتضعضعت دعائمه, فأصبح يعمل على خلاف ما يطلبه منه المقام الذي لم يكن إلا لمحض التذكير.

أيها السادة, إن منزلتكم في نظر الخصوص والعموم تعتبر من أشرف المنازل وأعلاها ,وأسنى المقامات وأغلاها, لما كساكم الله به من حلل الهيبة والمهابة, وتوجكم به من تاج العز والكرامة, وطوقكم به من النفود بين عباده, فأصبحتم وأنتم الأعلون, تأمرون وتنهون, كلمتكم مسموعة وإرادتكم متبوعة, ولِمَ كان ذلك يا ترى؟ فهل هي خاصية في أشخاصكم تستلزم رضوخ العامة إليكم بالطبيعة؟ كلا ثم كلا. وإنما هو الانتساب إلى الله والتظاهر بالانحياش إليه. ذلك هو الذي أكسبكم العز والجاه, الأمر الذي عجزت الجبابرة عن نيل أقل القليل منه.

وإذاً فهل يحسن بكم أيها السادة أن تتركوا ذلك النفوذ الذي منحكم الله إياه يذهب سدى؟ وماذا عسانا ينفعنا نفوذكم في المستقبل إذا لم ينفعنا الآن؟

لا شيء نرجوه أكثر من أن تبالغوا جهدكم في تبليغ دعوة الدين بين أفراد المسلمين خصوصا من يصل إليه نفوذكم, فيبتون فيه روحا جديدة وعهودا أكيدة تأخذونها منهم على أن يقوموا بواجب دينهم, فيحللون حلاله ويحرمون حرامه ويفعلون واجبه.

تفعلون ذلك بصفة تجدد للامة مجدها, إذ لا مجد للأمة إلا بمجد دينها, حتى إذا سرت تلك الروح في الخاصة والعامة, ودبت تعاليم الدين في الصغير والكبير, وعلم كل فرد منا واجبه, أصبحنا وقد أدركنا كل شيء. فهذا أقل ما

نرجوه منكم أيها السادة وما أظن أن يعجزكم نظيره. أما من لم يصرف نفوذه في مثل هذا السبيل فلا أبقى الله بيده نفوذا.

أيها السادة, إنه لقبيح بكم أن تفعلوا على خلاف ما تطلبكم به نسبتكم, تلك النسبة التي أكسبتكم من العز ما قد علمتم وعلم الناس أجمعون.

أنا لا أبرر مجموعكم ولا اتهم جميعكم بالتقصير, إنما أقول إن منكم القاسطون ومنكم دون ذلك, وعلى الإجمال, فالضعف مستحكم بالنظر لأسلافكم فإنهم **(كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)** سورة الذاريات, الآية 17, فالآية شاهدة من الله, ومن أحسن من الله قيلا.

أيها السادة فإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض, بدأ هذا الدين (الإسلام) غريبا وسيعود غريبا, كما جاء في الحديث الشريف, وقد علمتم ما تمخضت به الدهور وحملت به العصور, واذاً, فماذا يكون واجبكم أمام هاته الكوارث المدلهمة التي دهمتكم في أعز عزيز عندكم وأشرف مقتنيه وهو دينكم الذي ارتضاه الله لكم, هل أعددتم لمقاومة تياراتها عدة أم تريدون مسايرتها على قاعدة الاستسلام؟ فإن كان كذلك فقد سرتم على غير ما يرضاه الشرع منكم, كان نبي هاته الأمة إمام المستسلمين, لكن لا فيما يمس بشرف الدين.

أيها السادة, فإن واجبكم اليوم ليس هو عين واجبكم بالأمس, كنتم وكان الدين في مطلع سعوده وأوج كماله, تحتاجون إليه أكثر من احتياجه إليكم, أما الآن وقد أصبح غريبا من أهله, مهددا من أعدائه, يرتقب نجدة أبنائه, فهل أنتم المرتقبون؟ فإن كنتم أنتم, فالعَجَل العَجَل, و **(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** سورة محمد, الآية 7, وأنتم إذا سمحتم لنا أيها السادة, صحَّ مني أن أقول لكم أنكم مقصرون في القيام بواجبكم الحالي, أعني ما يطلبكم به الوقت من حقوقه التي لا يمكن قضاءها إلا وأن ذلك ما يطلبكم به مقام الإيمان **(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)** سورة التوبة: 11.

ما يضركم أيها السادة لو قمتم لنصرة الدين مثنى وفرادى, جماعات وأفذاذا؟ فتنشرون ما اندرس من تعاليمه وتحيون من اندثر من معالمه, وأنا أظن أنه لا يسركم ما ترونه متزايدا يوميا من ضعضعة أركانه وانحلال أوصاله, حتى طمع في تنصير أبنائه المبشرون, وفي تشكيك أفراده الملحدون, وهاهم يعملون على ذلك غير متوانين ولا متكاسلين, على مرآى ومسمع منكم ومن غيركم, وأنتم لا تبدون حسيسا ولا تنتصرون. فإن يكن ذلك واجبهم فما هو واجبكم أنتم يا ترى؟

وإني إلى الآن لم ادرِ من وكلتموه للقيام بمقامكم في مقاومة ما لحق بدينكم الذي ارتضاه الله لكم وكنتم أنتم حراسه الحامين ذماره, فهل تريدون أن يستبدل الله بكم غيركم ثم لا تعجزونه فيما يفعله معكم جزاء تغافلكم, أم ماذا تنظرون؟ فان الوقت يطلبكم بالتفكير فيما يكون وقاية لدينكم, فتدبروا واعملوا إننا معكم عاملون, والسلام.

الشيخ العلاوي - إليكم يا مشايخ الزوايا

أيها السادة, إن من واجب النصيحة أن نستلفت أنظاركم السامية إلى أمر عظيم نصبتم أنفسكم للقيام به وكرستم حياتكم على الوفاء بحقه, وهو واجب الإرشاد, وبث النصائح المفيدة بين العباد, جريا على طريقه أسلافكم الطاهرين الذين **(كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)** سورة الذاريات, الآية 17, يأمرون ويأتمرون وينهون وينتهون. فكم أثبت لهم التاريخ من الخصال الجميلة, وكم شهد لهم الواقع بالأوصاف الفاضلة, أثرهم على الناس عظيم, وكأني بكم أنتم البقية الصالحة التي تمثل لنا مظهر الغابرين من رجال الدين.

وإذاً, فهل فكرتم في أمركم؟ هل أنتم على أثرهم عاملون وقائمون بواجبكم, أم أنتم ونحن على منهجهم ناكبون؟ فالأمر أيها السادة خطير والدعوة عظيمة

والواجب يطلبنا أن نبرر صحة ما تظاهرنا به, ولا مبرر لنا إلا الفعل الصادق.

أيها السادة, إن وجودكم بتلك الزوايا التي ترمز على كونها أسست على تقوى من الله لكافي في كونكم قائلين إنكم الهداة المهديون والقادة العاملون, ولو لم يكن منكم قول البتة, فكيف إذا سمعنا منكم وسمع الناس من صريح عبارتكم ما يفيد أنكم قائمون في عصركم هذا بمقام الإرشاد محاربون لضروب الزيغ وأنواع الفساد.

أمع هذا يجمل بأستاذ الزاوية ومرشد الجماعة أن يفقد من الأوصاف ما هو بصدد الدعوة إليها؟ أيها السادة, إنما مقام التصوف عرَّفه العلماء بالله وبأحكام الله بعدة تعريفات, ولا واحد منها إلا وأفاد أنه الغاية لمنتهى الكمال الإنساني, وقصارى القول فيه أنه مذهب كله جدلا يخالطه شيء من الهزل, ولنا أن نقول فيه أنه مذهب بنيت دعائمه على ارتكاب العزائم, فأهله في كل عصر يكونون المثل الأعلى والمظهر الأجلى في تمثيل مكارم الشريعة ومحاسن الدين, ومهما كان المذهب بتلك الصفة وكنتم انتم المتمين إليه والعامليين على تحقيق مبادئه لزمكم تطبيق أحوالكم وأحوال من ينتهي إليه نفوذكم على أصول المذهب وفروعه حالا ومقالا, وإلا فيخشى علينا وعليكم الدخول في دائرة قوله تعالى **(كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)** سورة الصَّف, الآية 3.

أيها السادة, إن وجودكم بتلك الصفة وتظاهركم بذلك المذهب لكاف في دعوى الاستقامة, وما إن قادت إليكم العباد إلا لأنكم الرافعون لنسبة الله, تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله, فذلك الأمر هو الذي أكسبكم تلك الصبغة وأعاركم ذلك الثوب الجميل الذي أصبحتم تتمتعون به بين الخاصة والعموم, ويا ما أجمله من ثوب لو صحبنا وصحبكم في يوم تحق فيه الحقائق ويظهر فيه كل كاذب وصادق.

أيها السادة إن المقام خطير والغفلة عن أداء واجبه منه أخطر أخرج الطبراني في كبيره: "إن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون: بم دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل". أيها السادة, إن وجود الضعف الساري بين طبقات المرشدين لا ينكر حصوله له إلا مكابر, الأمر الذي كاد أن يربط الخاصة بالعموم, فضروب الغفلات مستحكمه في كلٍ بحسابه, وإذا كانت الغفلة لا يحسن استحكامها بين الأتباع والمريدين فيكون استحكامها بين رجال الزوايا أبشع من ذلك وأفظع. أخرج الطبراني والبزار عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حي من قيس أعلمهم شرائع الإسلام, فإذا هم قوم كأنهم الإبل الوحشية, طامحة أبصارهم, ليس لهم همٌّ إلا شاة أو بعير, فانصرفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا عمار ما عملت؟ فقصصت عليه قصة القوم وأخبرته بما فيهم من السهوة, قال: يا عمار, ألا أخبرك بأعجب منهم؟ قوم علموا ما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم". (اه). قلت لا يبعد أن يكون هذا مما اشترك فيه الآمر والمأمور في زماننا هذا غير أن الدرك على من يتظاهر بخلاف ذلك.

أيها السادة إننا لم نعرج على ذكر البعض من أعمال أبناء المشايخ الذين شوَّهوا نسبة القوم بأفعالهم, ولربما نفرد لنظير ذلك فصلا في غير هذه العجالة. إنما حديثنا مع من يستحق الحديث ومع من يرى للنصيحة أهلا, (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**) سورة الأعراف الآية 201.

أيها السادة, إن واجبكم في عصركم هذا يزيد على واجبكم من قبل, فإن الضرورة تبعثكم على أن تقوموا لله مثنى وفرادى وجماعات, رافعين أصواتكم ناشرين أعلامكم داعين إلى الله بالفعل لا بمجرد القول, فان الزمان استدار كهيئته (بدأ هذا الدين (الإسلام) غريبا وسيعود غريبا) كما جاء في الحديث الشريف, وإذا ها هو دينكم الذي هو عصبة أمركم أصبح كما علمتم, وإذا فما فائدة وجودكم؟ ولأي شيء ترجون؟ فهل خلقتم لأن تكونوا حماة

الدين أم لتكونوا بأنفسكم مكتفين لا عليكم في غيركم من بقية المؤمنين؟ أعاذنا الله وإياكم مما يبعدنا عن أداء واجبنا ومما يجعلنا ممن يؤثر الحياة الدنيا على الأخرة, أمين.

===========

مقابلة صحفية مع شيخ زعيم مسلم - 06 يناير 1924م

مقاطعة زمورة - 30 نوفمبر 1923. ضيف مميز - سعدنا هذه الأيام بلقاء الولي الكبير سيد أحمد بن عليوة من الطائفة العلاوية بمستغانم, والذي زار منطقتنا (زمورة). هذا الشيخ والزعيم الديني المسلم, وعلى الرغم من عدم اهتمامه بالسياسة, أدلى لنا بتصريح في غاية الأهمية بعد مقابلتنا الصحفية حول الأوضاع الحالية, والذي سيتم نشره قريبًا. ونتقدم بالشكر الجزيل للسيد الشيخ بن عليوة على استجابته لطلبنا. (نشر يوم 05 ديسمبر 1923 بجريدة "Le Petit Oranais" في Le Petit Oranais خطر لمراسل صحيفة
مقاطعة زمورة فكرة جديرة بالثناء, تتمثل في إجراء مقابلة مع شخصية دينية من العالم الإسلامي, السيد أحمد بن عليوة, الزعيم الموقر للطائفة العلاوية بمستغانم. سيكون لأبناء مدينة وهران اهتمام كبير بقراءة السطور التالية...
في هذه الأيام, وعندما علمت بوصول السيد بن عليوة إلى مدينة غليزان, عزمت على إجراء مقابلة صحفية معه, لأن العديد من الشخصيات من العالم الإسلامي وصفته ليع على أنه رجل مثقف وذكي ومؤثر للغاية بين جماهير العالم الإسلامي, إخوانه في الدين. فذهبت إلى زاويته الجميلة, وتم إدخالي بكل ترحيب إلى ديوان الشيخ.
كان الشيخ جالسا, حسب عادة المجتمع الإسلامي, على سجادة من الصوف ذات الزخارف الجذابة, باتجاه القبلة, وكانت بيده مسبحة كبيرة, يردد بتمهل تسبيحاته.

الشيخ أحمد بن عليوة رجل لطيف للغاية, عمره حوالي 45 عامًا. إن ملامحه توحي بروح عاطفية, وجهه محاط بطوق من لحية سوداء, والتي تعطيه مظهر القائد الحقيقي.

أجاب على سؤالي الأول, بعدما ذكرت له اختصاصاتي (في مواضيع الصحافة) فأجابني بنبرة حادة ممزوجة بشيء من اللين:

- "أنا لا أخشى أسئلة الصحفيين, حتى تلك التي تكون أحيانًا جد خصوصية, فمهامنا ننجزها أمام الملأ في وضح النهار, والسياسة لم تتجاوز أبدًا عتبة زوايانا, استمع إليكم".

- "بادئ ذي بدء سأكون سعيدًا بمعرفة الغرض من سياحتك عبر الدوائر الغربية لولاية وهران".

- "الغرض من سياحتي هذه, هو زيارة الزوايا التي أنشأتها في كل مكان تقريبا. فعندما وصلت إلى وهران, عزمت على الذهاب إلى زاويتي بمستغانم بسبب البرد القارس الذي يسود مناطق الزوايا الأخرى, لكن بإصرار من الكثير من المريدين بتلمسان, ذهبت إلى هذه المدينة والتي مكثت فيها ستة أيام, ثم ها أنا في طريق العودة (إلى مستغانم) بعدما أجلت زيارتي إلى الزوايا الأخرى إلى وقت لاحق".

- "هل تحافظ على علاقات جيدة مع السلطات المحلية (الاستعمارية) في المناطق التي تزورها؟".

- "طبعا, تذكروا تلمسان, زيارتي الأولى كانت إلى نائب والي هذه المدينة الجميلة, حيث استقبلني بلطف شديد. وينطبق الشيء نفسه على نائب والي مدينة مستغانم. على كل حال, في كل مكان أذهب إليه, أحظى بترحيب حار من قبل المسؤولين والسلطات المنتخبة, الذين لا أتردد لزيارتهم أبدًا. ولإعطائك فكرة عن هذه العلاقات الطيبة, لك أن تقرأ هذه الوثائق".

أخرج السيد بن عليوة عدة شهادات من محفظة وسلمها لي. كل تلك الرسائل, والموقعة من قبل السلطات المنتخبة في بعض المدن الجزائرية, تشهد على أن السيد الشيخ بن عليوة تمكن من خلال سياسة دينية ممتازة, من إعادة النظام (الاجتماعي والأخلاقي) في بعض المناطق".

وبعد أن تفحصت تلك الشهادات انتقل بنا الحديث إلى مواضيع أخرى فسألت الشيخ: "هل الدين الإسلامي معادي للحضارة عامة والتقدم (الحضاري) الحالي خاصة؟"

فأجاب: "لَا ! على الإطلاق. الدين الإسلامي منفتح للغاية, ويوصي بالتعليم والعلوم في كل من البلدان الإسلامية والمسيحية على حد سواء, فهو يضع العلم فوق العبادات الدينية (اقرأ). من خلال قراءة تاريخنا (الإسلامي) نرى أن المسلمين كانوا معماريين وأطباء ومهندسين وبحارة وجغرافيين وفلاسفة أيضا. اهتم المسلمون بالحضارات القديمة, وخاصة الحضارة اليونانية. وبالفعل تمت ترجمة كتب مؤلفين يونانيين, وما زالت كتبهم (المترجمة) موجودة إلى الآن. لماذا تريدوننا نحن المعاصرين للحضارة الأوروبية ألا نهتم بهذه الحضارة الرائعة؟ من جهتي, فلا يمر يوم دون أن أوصي أتباعي بإرسال أبنائهم إلى المدارس لتعلم اللغة الفرنسية, على غرار توصيتي لهم إلى مراعاة قواعد النظافة (الوقاية الصحية) واحترام ممتلكات الجيران, احترام قوانين الدولة. إن الدين الإسلامي يقوم على احترام جميع المعتقدات, ويركز على الأخلاق وكذا الإحسان إلى الغير (مضيفا بنبرة حادة). إن تعلم قيادة السيارة, والاندماج في الأعمال الرائعة للميكانيكا (علم الآليات أو علم القُوى المُحَرِّكة والساكِنة) والمواظبة على مزاولة التفكير, والتأمل في كل ما يمكن أن يحقق الرفاهية للإنسانية, فهذا كله لا يتعارض مع الدين بتاتا. قيل لي أن "لويس باستور" كان رجلاً متدينًا, لكن ذلك لم يمنعه من تقديم أعظم الخدمات للإنسانية من خلال اختراعاته الرائعة (علم الأحياء الدقيقة) لا! الدين لا يمنع الإنسان من الوصول إلى أعلى قمم العلم, الدين مجرد دليل أو مرشد, يسعى لجعل الإنسان أفضل من خلال تدمير الغرائز السيئة فيه. ولو أراد الله أن يترك الإنسان لنفسه, لما أنزل على أنبيائه الكثيرين, كتبه السماوية كالتوراة والتلمود والإنجيل والقرآن ليرشدوا الناس إلى الطريق الصحيح. إننا لا نحيي في أذهان الناس إلا تعاليم سليمان وإبراهيم والمسيح عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين".

توقف سيدي أحمد بن عليوة عن الكلام للحظة واغتنمت الفرصة لأطرح سؤالاً آخر فقلتله:

- "أشكرك جزيل الشكر على هذه الأطروحة الجميلة. وأود أيضًا أن أعرف ما رأيك في مشروع إنشاء مسجد باريس؟"

- "إنه عمل عظيم. أهنئ عليه بحرارة السيد قدور بن غبريط, نائب القنصل الفخري لفرنسا بالمغرب الأقصى, وهو صاحب المبادرة. ويمكن لفرنسا أن تكون متأكدة من أن المسلمين سيكونون ممتنين لها إلى الأبد. ولا ينبغي أن يكون مسجد باريس مكانا للصلاة فحسب, بل مكانا للتعليم أيضا. وينبغي أن تبقى هناك مجموعة من العلماء بشكل دائم لترجمة الكتب التي تتناول النظافة (الوقاية الصحية) والزراعة والعلوم, ومن ثم نشرها في جميع أنحاء البلدان المغاربية (التي تفقه اللسان الفرنسي) ليتمكن المجتمع المسلم على التعرف على الحضارة الحالية. وأنا أتسائل لماذا القائمين على المطابع للكتب الفرنسيين لم يقوموا بترجمة هذا النوع من الكتب إلى اللغة العربية, لأن هذه الكتب تستجلب الكثير من الطالبين لها".

- "من تصريحاتك, أرى يا سيادة الشيخ أنك تعيش فعلا في عصرنا الحالي. وقبل أن أنهي كلامي, سأسألك كم عدد أتباعك الموجودين حاليًا, وما هو مصدر نفقاتكم على متطلبات الزاوية الكبرى بمستغانم؟".

- طريقتي تمتد من المغرب الأقصى إلى تونس. لا أستطيع تقدير عدد المريدين بدقة. ومن الممكن أن يتجاوز عددهم 120 ألفًا. أما بالنسبة للمصادر التي يتم من خلالها الإنفاق على متطلبات زاويتي بمستغانم, فهي تتكون جزئيا من بيع الكتب التي أطبعها وجزئيا من محصول الزراعة (من مزرعة دبدابة).

بهذه الكلمات قمت, وصافحني السيد بن عليوة بحرارة ثم ودعته, حاملا معي أفضل انطباع عن شخصه.

=========<<<>>>=========

الفهرس